هوجو شافيز
أسد فنزويلا ومرعب أميركا

أسرار انتصار الثورة في أميركا اللاتينية
بالصور والوثائق والشهادات

عادل الجوجري

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

هوجو شافيز

أسد فنزويلا ومرعب أميركا

أسرار انتصار الثورة في أميركا اللاتينية
بالصور والوثائق والشهادات

اسم الكتاب: هوجو شافيز أسد فنزويلا ومرعب أميركا

اسم المؤلف: عادل الجوجري

المراجعة اللغوية والتدقيق: محسن حسين

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٨ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولى: I.S.B.N.977-376-278-5

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكري كوسا

تصميم الغلاف: كامل جرافيك

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد - ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني - ت : ٢٢٢٢٣٧٢

الطبعة الأولى
٢٠٠٧



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ - ص.ب ٣٤٨٢٥ - فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
لبنان - تلفاكس: ٠٥/٤٢٤١٨٦ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب. ٣٠٤٣ الشويفات
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

إهداء

إلى روح أبي الذي ظل مصريًا حتى استلم الله الفؤاد

والنخاع

وظل أبيًا

مرفوع الهامة

إلا لصاحب الهامة الأكبر

وقد رباني -وإخوتي- من عرق جبينه

قبل أن تظهر المعونة الأميركية

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل أن يؤذن الديك

في الساعات الأولى من صباح الاحد٣ ديسمبر ٢٠٠٦ كانت فنزويلا تستيقظ بين أحضان الوردة كي تستعيد رسم ابتسامة على شفتي مستقبلها كواحدة من أهم الدول الناهضة، المناهضة للهيمنة الأميركية، فقد توجه ١٦مليون ناخب إلى صناديق الاقتراع لانتخاب أحد طريقين أو مرشحين متنافسين ، المرشح اليميني مانويل روزا ليس الذي يحظى بدعم رجال الأعمال وأصحاب مكاتب الاستيراد والتصدير وكبار ملاك الأراضي، كما يحظى بدعم الولايات المتحدة، وكان روزا ليس من أهم قادة الانقلاب الذي جرى ضد الشرعية التي يمثلها الرئيس هوجو شافيز عام ٢٠٠٢ .

وهو الانقلاب الذي أحبطته جماهير الفقراء، والمهمشين الذين هبوا للدفاع عن الرجل الذي يحني العاصفة ولا تحنيه، والنظام الذي صار قلبا للمشردين وقد أنصفهم، وحولهم من محرومين إلى ملاك أسهم في الشركات المنتجة والموزعة للنفط، فضلا عن استفادتهم من عائدات النفط -التي كانوا يسمعون عنها ولا يرونها- عبر سلسلة مشاريع اجتماعية ساهمت في تخفيض معدلات البطالة.

إنه المرشح الثاني، الرئيس الثوري شافيز نفسه الذي بدا متأكدا من فوزه، وهو الذي اظهر في الزمن الصعب انه لن يكون أول... ولا أخر من يغادر الثورة، وقد

تمكن من حشد ملايين الشباب (ذوي القمصان الحمراء) من أنصاره النشطاء الذين عملوا بدأب في حث المواطنين للذهاب إلى صناديق الاقتراع لهزيمة الشيطان، أي هزيمة الإدارة الأميركية مجسدة في شخص الرئيس جورج بوش الابن، التي ناصبته العداء منذ تولى الحكم عام ١٩٩٨وشجعت ودعمت انقلابا ضده نظمته الاحتكارات النفطية الكبرى في كاراكاس.

وقام أنصار شافيز بالمرور على البيوت الرطبة بابتسامة الصباح، و إيقاظ المواطنين في الأحياء الشعبية بعد الفجر مباشرة، وقدر المراقبون عددهم بعشرة ملايين ناخب، معظمهم من الشباب أعطوا أصواتهم للرئيس شافيز في وقت مبكر ما منحه فوزا كاسحا بعد فرز ٧٨٪ من أصوات الناخبين، وأعلنت اللجنة المشرفة على الانتخابات فوزه قبل فرز باقي الأصوات، ما عده المراقبون فوزا كاسحا لم يحصل في تاريخ فنزويلا من قبل،، ليحظى بولاية جديدة مدتها ستة أعوام.

اشتراكية القرن ٢١

ومن شرفة قصر "ميرافلوريس" الرئاسي في كاراكاس حيث احتشدت الجماهير، وجه شافيز التحية إلى الزعيم الكوبي فيدل كاسترو، وهو الأب الروحي للثورة، كما قدم التحية إلى روح الثائر الأممي تشي جيفارا، مؤكدا أن الاشتراكية هي مستقبل فنزويلا، وأن بلاده التي تعتبر الأغنى في مجال النفط في أميركا اللاتينية لن تكون على الإطلاق مستعمرة أميركية بل ستكون مجتمع المساواة والعدالة والتنمية والفضيلة.

وراح شافيز يغني وسط مؤيديه عبارات من قصيدة "الفضيلة"، للشاعر اللاتيني بلاوتوس:

" جائزة الفضيلة هي الفضيلة نفسها، فهي أفضل الجوائز

إنها تأتي قبل كل شيء

بها تحتمي وتسلم الحرية والأمان والحياة نفسها

وكذا الثروة والأبناء

نعم، تملك الفضيلة داخل نفسها كل الأشياء

فمن الفضيلة أمتلك كل الخيرات"

ومضى شافيز وسط الجماهير يقول:" لقد لقنا الإمبريالية الأميركية درسا، إنها هزيمة أخرى للشيطان الذي يدعي قيادة العالم، فقد وجهنا اليوم درسا آخر في الكرامة وللرئيس بوش الذي ظن أن فوز اليسار يهدد الديمقراطية، وأدعوه أن يتأمل هذه الحشود الضخمة ليتأكد أن الديمقراطية الحقيقية هي الانحياز إلى الفقراء أي إلى اليسار، فالانتخابات الفنزويلية تمت في جو ديمقراطي في ٣٢الف مركز اقتراع مزودة بكل تقنيات الشفافية من بينها آلات أوتوماتيكية لتسجيل بصمات الناخبين ومقارنتها ببصمته في البطاقة الانتخابية، وفي حضور ١٢٠٠مراقب دولي سجلوا في تقاريرهم مايؤكد نزاهة الانتخابات، وعدم تدخل الإدارة في سير العملية الانتخابية.

وترتكز شعبية شافيز على برنامجه الاجتماعي الطموح الذي طبقه في البلاد وهو ما يسميه الثورة البوليفارية نسبة إلى سيمون بوليفار الزعيم التاريخي وملهم الثوار الجدد، كما يسمي برنامجه الاجتماعي "اشتراكية القرن ٢١" وهو يقصد نمطا جديدا من الاشتراكية اللاتينية غير الماركسية اللينينية،تستند إلى

المنهج الديمقراطي في الوصول إلى السلطة عبر صناديق الاقتراع وليس عبر الانقلابات ، ومع إعادة انتخابه أعاد طرح قضية وحدة أميركا اللاتينية بالاعتماد على زعامات التغيير في القارة الجدد ومنهم رافاييل كوريا في الإكوادور ودانييل اورتيجا الذي عاد إلى السلطة في نيكارجوا بعد غياب دام١٦سنة والزعامات القديمة وأبرزهم كاسترو ولولا في كوبا والبرازيل، و مستفيدا من ثروة نفطية هائلة كانت مبددة في السابق، فأعاد توزيعها بقدر من العدالة على كافة القطاعات الاجتماعية، واستطاع أن يبني عشرات المصانع الوطنية ويوظف فيها آلاف الشباب الذين كانوا يشكلون بؤرة توتر بسبب البطالة، قبل أن يجدوا فرص عمل كريمة، اشاد بها تقرير للبنك الدولي صدر عام ٢٠٠٥ أكد أن معدلات التنمية في فنزويلا بلغت ٦٪، وهو من أعلى معدلات التطور في القارة اللاتينية.

وكان شافيز تسلم السلطة لأول مرة عام ١٩٩٨ عندما كان ٥٠٪ من المواطنين في بلاده تحت خط الفقر، بينما هذه البلاد من أغنى الدول النفطية والتي يقدر دخلها بـ٨٥٠ مليون دولار شهريا، واستطاع أن يحقق نقلة اجتماعية كبيرة من خلال التركيز على رفع مستوى معيشة المواطنين من خلال تأميم النفط وإعادة توزيع عائداته على المواطنين، ورفع شعار "القضاء على بيوت الصفيح" التي كانت منتشرة في فنزويلا بسبب التردي الاقتصادي، وتبنى مشروع إنشاء ٢٠٠ألف مسكن اقتصادي توزع مجانا على المحتاجين.

من هنا بدا شافيز واثقا من قدرته في الفوز في الانتخابات على منافسه القوي الذي يمتلك علاقات داخلية وثيقة مع رموز الشركات النفطية التي أممها شافيز ويريدون التخلص منه، كما له علاقات قوية مع الولايات المتحدة التي تريد الثأر من الرجل الذي هزمها أكثر من مرة ويعاندها على طول الخط.

لكن ١٠ ملايين صوت حصل عليها شافيزجاءت من الريف وضواحي المدن وإحيائها الفقيرة وبخاصة في أوساط الشباب من الجنسين الذين ارتدوا القميص الأحمر الذي اشتهر به مع الطاقية الحمراء التي تعيد إلى الأذهان صورة الثائر الأممي ارنستو تشي جيفارا، لكن شافيز الذي تجري في عروقه دماء هندية يتميز عن الثوار جميعا بأنه -ويشاركه موراليس في بوليفيا- من أبناء أميركا اللاتينية الأصليين، وليس مثل الآخرين تجري في عروقهم دماء أصلية وإسبانية مختلطة، لذلك تجد ملامحه مميزة ما اكسبه شعبية هائلة في أوساط العائلات التي حافظت على نقائها العرقي ورغم أنها قليلة لكنها جماعات مؤثرة في الأوساط الشعبية، وقد انحازت بالكامل إلى شافيز الذي صار رمزا في القارة اللاتينية كلها، وورث عن كاسترو بجدارة زعامة المد الثوري في القارة.

ولاشك أن فوز شافيز المتكرر منذ ١٩٩٨ساهم في إنعاش الاتجاهات الراديكالية في القارة التي فقدت بريقها مع انهيار الاتحاد السوفيتي وعدم قدرة موسكو على تحمل أعباء الارتباط بدول مرهقة بالديون والبطالة والفقر، وقد عادت التيارات التغييرية الرافضة للعولمة والهيمنة في زمن تراجع هيبة القطب الأميركي الأوحد، والذي تورط في العراق بعد غزوه في ٢٠٠٣ مثلما تورط الاتحاد السوفيتي من قبل في أفغانستان وأدت إلى تصدعه.

وسوف يكون الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز ثوريا في تعامله مع إمداد الفقراء الأميركيين بملايين الجالونات من النفط في إطار برنامج يقوم على مدى الأسابيع الشتوية بتوفير وقود رخيص للتدفئة بأسعار مخفضة للفقراء في بوسطن ونيويورك خلال شتاء ٢٠٠٦، وأعلنت شركة سينجو التابعة لشركة النفط الفنزويلية، ومقرها هيوستن إطلاق برنامج يقوم على توفير وقود التدفئة

بأسعار مخفضة تضامنا من فنزويلا مع فقراء أميركا، ورحب عضو الكونجرس عن الحزب الديمقراطي خوزيه سيرنو بهذا القرار موضحا أن سكان برونكس سيحصلون على ٨ ملايين جالون من وقود التدفئة في المنازل بأسعار مخفضة. وتعتبر هذه الخطة من أهم الأمثلة على كيفية استخدام شافيز لعوائد النفط الكبيرة بعد ارتفاع أسعار النفط كأداة دبلوماسية.

وقال المحلل السياسي الأميركي اللاتيني باتريك استرولاس أن هدف شافيز الأساسي تأجيج النار،لاسيما بين الفئات المهمشة في الولايات المتحدة حسب ما أوردت صحيفة واشنطن بوسط.

ويحظى الزعيم الفنزويلي شافيز بشعبية واسعة في أوساط الجالية الاسبانية في الولايات المتحدة، وأوساط الزنوج والجالية العربية في حين تناصبه إدارة الرئيس بوش العداء. وقد اتهم شافيز الاستخبارات الأميركية وجورج بوش بالوقوف وراء قرار المعارضة الرئيسية بمقاطعة الانتخابات، معتبرا أنها مؤامرة ضد حكومته.

وأوضح شافيز أن زعيم الإمبراطورية السيد "خطر بوش" يتحمل مسؤولية الانسحاب مشددا على أن لديه دليلا على تورط الاستخبارات الأميركية في المؤامرة.

وفي لهجة تعكس التحدي، توجه شافيز إلى بوش قائلا: سيد بوش، أراهنك على دولار حول من سيبقى مدة أطول في الرئاسة، أنت في البيت الأبيض أم أنا في القصر الجمهوري في كاراكاس.

وقد كسب شافيز الرهان ليس في فنزويلا فقط وإنما في القارة الأميركية.. كيف؟

هذا هو بابلو نيرودا شاعر تشيلي العظيم يقول:

"آثرت شعبي

آثرت هؤلاء الذين يشقون الأرض بأيديهم

والنحاس والملح والبصل

وأسماك البحر وسلفات الكبريت

والأحذية والبرتقال والقطارات،

يستخرجون هذه الأشياء جميعها

يحركونها

يصعدون بها

يهبطون بها

فيما لا نهاية له، وإلى الأبد،

فهنا لا احد يهمد أو يخمد

شعبي حركة

وطني طريق"

لا يختلف اثنان أن شافيز افتتح مجددا طريق التغيير الديمقراطي الثوري في القارة اللاتينية، وليس في فنزويلا فقط.

التقدميون يصعدون للسلطة

في غضون عام واحد (نوفمبر٢٠٠٥-ديسمبر ٢٠٠٦) شهدت المنطقة ١١ انتخابا رئاسيًا، كان أبرزها عودة الرئيس اليساري دانييل أورتيجا إلى الحكم في نيكارجوا، وسقوط مرشح جبهة الكونترا المدعومة من واشنطن، ثم انتخاب

القائد اليساري رافاييل كوريا رئيسا للإكوادور، وإعادة انتخاب الرئيس البرازيلي لويس ايناسيو لولا دي سيلفا للمرة الثانية، وقد سبق وان فاز ايفو موراليس كأول رئيس من أصل هندي في بوليفيا، وحققت ميشيل باتشيليت وهي القيادية البارزة في الحزب الاشتراكي التشيلي فوزا مهما في الانتخابات الرئاسية في شيلي، مايوفر بيئة سياسية واقتصادية لتحقيق حلم القارة في التكامل الاقتصادي ووحدة الموقف السياسي ضد الإمبريالية الأميركية وأتباعها، وإعادة الاعتبار إلى العلاقات اللاتينية مع روسيا والدول العربية وأفريقيا، وتشكيل جبهة عالمية ضد العولمة في جانبها الاستغلالي وليس ضدها في نطاق التطور العلمي حسب قول شافيز.

وكان شافيز قد وقع أهم صفقة أسلحة مع روسيا في أبريل ٢٠٠٦حيث تقوم روسيا بتزويد فنزويلا ب٢٤ طائرة مقاتلة من طراز "سوخوي٣٠ امكا٢" و٣٠مروحية، وشنت واشنطن حملة إعلامية عنيفة ضد الصفقة والقائمين عليها بدعوى أن فنزويلا الثورية تشكل تهديدا للنظام الأمني في المنطقة، لكن قيادات عسكرية فنزولية ردت أن غضب واشنطن يعود إلى أن طائرات سوخوي الروسية ستحل مكان الطائرات الأميركية وطائرات الميراج الفرنسية، لان الطائرة الروسية هي الأفضل، فهي نسخة مطورة عن طائرة سوخوي ٢٧ القادرة على تنفيذ أنواع مختلفة من المهمات القتالية على مسافات بعيدة عن القاعدة، وتحت أي ظروف مناخية نهارا وليلا.

وقال شافيز إنه سيعزز قدرات بلاده العسكرية ليس لتهديد السلم مثلما فعلت أميركا عندما غزت العراق وأفغانستان وتهديدها المستمر لكوريا وسوريا وإيران، وإنما لردع من يحاول أن يفرض إرادته على الشعب ، مشيرا إلى أنه سوف يستفيد

من تجربة الزعيم الكوبي في بناء جيش شعبي قادر على مواجهة التهديدات الداخلية والخارجية، مع تطوير قدرات القوات المسلحة وإعداد جيل ثان من القيادات يستطيع حماية الثورة والحفاظ على برنامج فنزويلا الوحدوي في القارة وقد خاطب رجاله بلسان الحكمة "لا أفكر إلا في السلم وتنمية بلادي ولكني لا أرى غير التهديد الأميركي بالحرب".

ومن المؤكد أن ما جرى في فنزويلا وأخواتها مَثَّل نكسة جديدة للسياسة الخارجية الاميركية في العالم الثالث، فقد فقدت مصداقيتها وخسرت أصدقاءها، وسقطت ادعاءاتها عن الديمقراطية، فالنظم الراديكالية التي تحكم أميركا اللاتينية اليوم جاءت عبر صناديق الاقتراع ومع ذلك تناصبها واشنطن العداء، في حين أن واشنطن تدعم أنظمة استبدادية لم تعرف أبدا صندوق الاقتراع ولم تحترم أي مؤسسة تشريعية.

شافيز وفلسطين

ومن وجهة نظر المصالح العربية اكتسب شافيز مصداقية كبيرة على مستويين:

الأول: على مستوى الشعوب العربية برز شافيز كأهم زعيم في العالم منحاز إلى الحق العربي ، عندما وصف العدوان الإسرائيلي على لبنان "العدوان البربري النازي"وقرر سحب سفير بلاده من تل أبيب احتجاجا على العدوان ، ماجعل اسم شافيز حاضرا في البيت العربي مشفوعا بالإعجاب والاحترام حتى إن العرب كانوا يهنئون بعضهم بإعادة انتخاب شافيز ويعتبرون انتصاره في الساحات المختلفة انتصارا عربيا، وإذا كان منطقيا أن يقدم اليساريون العرب التهنئة

لشافيز، فقد لفت النظر توجيه جماعة الإخوان المسلمين المصرية التهنئة لشافيز بعد نجاحه الساحق.

ثانيا: على المستوى الرسمي اكتسب منهجه الاقتصادي اهتماما عربيا بالنظر إلى سياسته النفطية التي ساهمت في ارتفاع الأسعار مع الحفاظ على النفط في باطن الأرض من خلال ترشيد عملية الضخ ما لا يفقد الدول النفطية ورقة مهمة للمساومة السياسية أو المزايدة الاقتصادية، واللافت أن شافيز أقدم على هذه السياسة في الوقت الذي تعد فيه السوق الأميركية هي التي تستوعب أغلبية الإنتاج الفنزويلي من النفط.

وسعيا إلى تامين أسواق جديدة للنفط الفنزويلي وتحسبا من أي إجراء قد تتخذه واشنطن فجأة بمنع استيراد النفط الفنزويلي كنوع من الضغط على حكومة شافيز، قام بفتح السوق الصيني وهو من أهم الأسواق العالمية.

سوريا وليبيا مع شافيز

في الجانب الآخر اهتم العرب بالانتخابات الفنزويلية وكان هناك تأييد واضح للزعيم شافيز،خاصة على الصعيد الجماهيري، ونرصد هنا موقفين رسميين تطابقا مع المشاعر العربية وعبرا عنها بشكل صادق، وقد انضم الرئيس شافيز إلى اتحاد شبيبة الثورة السورية التي خصصت موقعا اليكترونيا عالميا لتأييد شافيز، وقال عدنان عربش رئيس الاتحاد في تصريح لمندوب سانا أن هذه الخطوة تأتى تقديرا لمواقف الرئيس الشاب السوري للرئيس شافيز وتضامنهم معه شأن كل المواطنين السوريين بل العرب كما في معظم بلدان العالم.

شافيز كان له موقف مشرف من القضايا العادلة للأمة العربية إضافة لمكانته المرموقة التي يحتلها في أميركا اللاتينية وفى العالم لمواقفه المبدئية وتبنيه العمل على بناء مجتمع دولي يحترم إرادة الدول والشعوب .

وأضاف عربش أنه على الرغم من مضي يومين على إطلاقه تلقى الموقع مئات الرسائل التي تعبر عن إعجاب وحب أطلق اتحاد شبيبة الثورة موقعا على شبكة الإنترنت خصصه للتضامن مع الرئيس هوجو شافيز وشعب فنزويلا البوليفارية الصديقة تحت اسم دبليو دبليو دبليو دوت فيفا شافيز دوت نت.

ويتضمن الموقع مجموعة من الدراسات والمقالات التي تناولت شخصية الزعيم الفنزويلي وسيرة حياته النضالية والعلاقات السورية الفنزويلية والجالية السورية في فنزويلا ومواقفه المبدئية من القضايا العربية العادلة إضافة إلى الإنجازات التي تحققت في فنزويلا رغم الضغوط والتحديات التي تمارسها قوى الهيمنة في العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة .

ويتيح الموقع لزواره التعبير عن آرائهم وتضامنهم مع الرئيس شافيز في الانتخابات الرئاسية، ويتم نشرها على الموقع مباشرة .

وأكد الدكتور عدنان عربش رئيس الاتحاد في تصريح لمندوب سانا أن هذه الخطوة تأتي تقديرا لمواقف الرئيس الشاب السوري للرئيس شافيز وتضامنه معه شأن كل المواطنين السوريين بل العرب كما في معظم بلدان العالم .

وكان الأخ قائد الثورة معمر القذافي قد وجه يوم الانتخابات نداء حارا إلى الشعب الفنزويلي خاصة الفقراء بأن يصطف إلى جانب "شافيز" في هذه الانتخابات.

وقال القذافي في كلمته بالجلسة الافتتاحية لقمة أفريقيا أميركا الجنوبية التي عقدت في أبوجا (في هذه الساعة لابد أن نعلن تضامننا القوى مع شقيقنا

المناضل الكبير "شافيز" في فنزويلا، ونوجه نداء إلى شعب فنزويلا أن يصطف وراء "شافيز" .

وأن نوجه نداء إلى الجماهير والشعوب المتطلعة التي تعشق الحرية وإلى الفقراء في كل مكان خاصة في فنزويلا ، أن يعطوا أصواتهم لشافيز لأنه حبيب الفقراء ونحن نسانده ونعاضده وأيضا نؤيده .

ولو كانت عندنا الآن أصوات لصالحه لوضعناها في صندوقه ، ولكن عندنا القوة المعنوية وهذا النداء الحار القوي الذي نوجهه إلى شعب فنزويلا بأن يصطفوا في هذه الساعات الحاسمة إلى جانب " شافيز " فنزويلا المقاتل في سبيل الحرية وصديق الفقراء.

أما رئيس الوزراء اللبناني الأسبق سليم الحص فقد ذكر لمجلة الغد العربي القاهرية تعليقا على قرار شافيز سحب سفير بلاده من تل أبيب "أن هذا الرجل أعاد إلى ذاكرتنا صورة الزعامات المستقلة التي لاتنصاع للغرب،ونحن نشكره على موقفه المتعاطف مع الشعب اللبناني، والذي يعبر عن صحوة ضمير في مواجهة القوى العالمية المتغطرسة، ولاشك أن أفضل وصف أطلقه زعيم عربي على شافيز هو الوصف الذي أطلقه السيد حسن نصر الله على شافيز عندما خاطبه بعد النصر على العدوان الإسرائيلي في مهرجان النصر ٢٠٠٦/٩/٢٢ قائلا: "بصمودكم ومقاومتكم يستطيع رجل، استطيع أن أقول عنه عربي كبير كبير كبير كشافيز أن يقول ما قاله بالأمس في الأمم المتحدة: المقاومة اللبنانية اليوم تلهم كل مقاومي العالم وكل أحرار العالم وكل أشراف العالم وكل الرافضين للخضوع والإذلال الأميركي في العالم".

العرب في انتخابات فنزويلا

مواقف عرب فنزويلا الذين يصل تعدادهم إلى نحو مليون ونصف المليون اتسمت بالفرح والسعادة لإعادة انتخاب الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز. وتدفق آلاف الناخبين من جذور عربية إلى صناديق الاقتراع لتأييد شافيز وقدرت الأوساط العربية النسبة التي حصل عليها شافيز في أوساط الجالية العربية بـ٨٠٪ وهي أعلى نسبة تصويت منحها الناخبون العرب حسب تقديرات موقع الجالية العربية في كاركاس.وأبدى الناخبون والمواطنون العرب فرحتهم بفوز شافيز على الطريقة العربية حيث نحرت الذبائح، وامتدت حفلات السمر حتى الفجر في عدد من أماكن تجمع العرب.

ويعزو الفرحون سبب ابتهاجهم بإعادة انتخاب شافيز إلى دعمه للقضايا العربية ولاسيما القضية الفلسطينية، ولمعاداته للإدارة الأميركية والرئيس الأمريكي "جورج بوش" الذي وصفه شافيز بـ"الشيطان"في إطار حملات سياسية متبادلة.وجه فيها بوش انتقادات حادة لشافيز من بينها انه يسعى إلى إقامة ديكتاتورية البروليتاريا من جديد في القارة، واستغلال ثروة فنزويلا النفطية لإقامة حزام يساري يهدد امن الولايات المتحدة.

و من المؤيدين لشافيز خالد الهندي (الفلسطيني الأصل)، الذي يقطن في حي كاو ، احد معاقل منافس شافيز في الانتخابات "روزا ليس"، وقال خالد أن جيرانه اعترضوا تعليقه صورة كبيرة للرئيس الفنزويلي على شرفة منزله، وقد علق بجانبها أيضا كلا من العلمين الفلسطيني واللبناني، مؤكدا أنه لم يكن يستطيع أن يرفع العلم اللبناني أو الفلسطيني سابقا، ولكن الأحداث الأخيرة في لبنان (حرب حزب الله مع إسرائيل) مكنته من ذلك بسبب موقف شافيز

المتمثل في سحب سفير فنزويلا من تل أبيب احتجاجا على العدوان الإسرائيلي على الشعبين اللبناني والفلسطيني..

وذكر خالد، الذي يعمل في مجال التجارة، لـ"العربية.نت" أن "عددا كبيرا من الجالية العربية أعطت صوتها لشافيز الذي أبدى تأييدا كبيرا لقضايا الشعب الفلسطيني، ولأنه لا يخاف من الولايات المتحدة ولا الرئيس جورج بوش"، ويضيف: "قبل وصول شافيز إلى سدة الحكم لم يكن أحد يعرف شيئا عن عدالة القضية الفلسطينية، وكان كثير من الفلسطينيين في البلاد عرضة لملاحقات ومضايقات أمنية.

أما الآن - والكلام ما زال لخالد الهندي- فإنني " أرفع العلم الفلسطينى فوق سيارتي بكل حرية وعندما أمر بمحاذاة المارة يصرخون بفرح "باليستينا" أي فلسطين، يرفعون قبعاتهم احتراما وتقديرا لقضيتنا".

وترتدي زوجة خالد وتدعى "جهاد" وشاحا أحمر فوق رأسها وهو رمز "الشافيزتا" مؤيدي شافيز، وتوضح جهاد، المولودة في الأردن، أن سبب حبها وإعجابها بشافيز يرجع لتحسن أمور الحياة في البلاد، "كل شيء أفضل، الخدمات الصحية والمستشفيات مجانية، ومستوى الرعاية الاجتماعية حسن منذ توليه السلطة".

من هو هوجو شافيز؟

كيف دخل كل كوخ، كل بيت ، كيف أقام في كل حقل، كل بئر،في بلاده، وصار بعدها مقيما في التاريخ؟

ماهي السلطة التي أسسها فجعل الفنزويليين شعبا ناطقا بعدما كانوا ملايين من البكم؟

ماهي مصادر موهبته الخطابية التي تعيد إلى الأذهان عصر الزعماء الكبار من وزن عبدالناصر و كاسترو وتيتو ونهرو الذين أعطوا للخطاب السياسي نكهة البرتقال والتمرد؟

ماذا يقصد باشتراكية القرن٢١،هل هو مجرد تعبير "شيك" لنظرية توارت خلف سنابك العولمة أم هي إعادة روح لنظرية تتألق عندما تستمد عطرها من زهور الواقع بعيدا عن نظريات أكلها الصدأ؟

وهل صحيح أنه يحمل دعوة مقدسة لتحرير القارة اللاتينية من الهيمنة الأميركية، ومناطق التجارة الحرة، وهو الوريث الشرعي للثائر الكبير كاسترو؟

وإلى أي مدى يمكن أن يناضل من أجل تحقيق الوحدة الاقتصادية للقارة عبر حزمة أحلام وردية ومصالح واقعية، وكيف ينعكس تحولات أميركا اللاتينية على وطننا العربي الكبير في جسده الصغير في حريته؟

أسئلة لها إجابات في الفصول القادمة....

شافيز الثوري الذي لم يبلغ الخمسين من عمره والذي أصبح شوكة في حلق الولايات المتحدة الأميركية التي لم تعد تستطيع حيلة ولا سبيلا سوى الانتظار والتدبير..

والمحاولة الفاشلة تلو الأخرى، إنه اشتراكي بقلب مؤمن كما وصفه كاسترو. يحمل في داخله بعضا من صفات المُخَلِّص بمعناه الديني. ولا عجب أن تراه يحمل الصليب في جيبه أينما ذهب كما يحمل أيضا الدستور الفنزويلي.

شافيز رجل يذكرك أيضا بأبطال التاريخ الأسطوريين الذين نذروا أنفسهم لنصرة الفقراء والمعدمين. هو ثوري يحكم شعبا منقسما بين فقراء لا يجدون ما يقيمون به أودهم، وأغنياء تكتظ بنوك واشنطن ونيويورك بأرصدتهم. ومع كل

هذه التناقضات هو رجل بكل ما تحمله الكلمة من معنى. رجل يعشق جمال عبدالناصر يتحدث عن تاريخ العرب كعالم يعرف تراث العرب المقاوم أكثر من بعض العرب.

يقف شافيز معلنا إدانته للوحشية الصهيونية ولم يكتف بذلك بل أعلن أنه أمر بسحب سفير بلاده لدى إسرائيل تعبيرا عن رفضه للهجوم الإسرائيلي على لبنان. وأوضح شافيز أنه أمر مثير للغضب حقا أن نرى كيف تستمر إسرائيل في القصف والقتل بكل القوة التي يملكونها، وبمساندة الولايات المتحدة الأميركية. متهما واشنطن بإثارة العنف في الشرق الأوسط.

ولأنه رجل.. فلم تجد إسرائيل أمامها سوى التعامل معه بندية فقد أعلنت تل أبيب أنها سحبت سفيرها في كراكاس احتجاجا على تصريحات شافيز الذي شبه عدوانها على لبنان بحملات هتلر النازية.

وأنه انتقد في مقابلة تليفزيونية العدوان الإسرائيلي على لبنان وفلسطين وقارنه بالعمليات التي كانت تشنها النازية أثناء حكم أدولف هتلر.

شافيز أيضا لم ترتعد قطرات دمه داخل جسده عندما يفكر في سلطان البيت الابيض لمجرد الاتصال به.. كان قد هاجم بوش، واصفا إياه بأنه "وحش إمبريالي" وأنه سيقاوم أي غزو قد تشنه الولايات المتحدة كما قاومت فيتنام الهجوم الأمريكي على أراضيها.

شافيز كان يرد على تصريحات لجورج بوش اعتبر فيها أن شافيز "لا يشكل خطرا عسكريا" بل يشكل خطرا يهدد بزعزعة الديمقراطية ولم تتوقف شجاعة الرجل عندالوقوف ندا للحاكم بأمره ولكنه تعدى ذلك إلى الفزاعة التي يرعب شكلها وصوتها كثيرا من الحكام العرب فقد رد شافيز بقوة علي انتقادات

كونداليزا رايس لسياسة فنزويلا قائلا: إنها "أمية حقيقة". وقال أثناء احتفال في كراكاس إنه اقترح على الرئيس الكوبي فيدل كاسترو أن يرسل إلى كونداليزا رايس كتب برنامج "مهمة روبنسون" لمحو الأمية الذي تنفذه الحكومة الفنزويلية بمساعدة كوبا حتى "تتعلم (رايس) احترام كرامة الشعوب".

كلمات شافيز جاءت ردا على تصريحات رايس التي انتقدت سياسة الرئيس الفنزويلي وأخذت عليه إقامة علاقات جيدة مع نظام كاسترو، مدعية أن فنزويلا "تضطلع بأدوار ليست إيجابية جدا".

رايس انتقدت شافيز لسعيه إلى "عرقلة إجراء استفتاء تطالب به المعارضة الفنزويلية لإقالته". وعلق الرئيس الفنزويلي قائلا: إن مستشارة بوش "أطلقت مدفعيتها على شعبنا بالقول: إن على شافيز ألا يعارض إجراء استفتاء". وتساءل: "لماذا لم تبد رايس قلقا علي العملية الانتخابية المشكوك فيها التي أوصلت بوش إلى البيت الأبيض؟".

وفي الوقت الذي يقف فيه شافيز بعزة وكرامة يدافع عن القضايا العربية فقد نقلت بعض وسائل الإعلام عن مسئول عربي كبير في أحد المجالس الخاصة أنه قال ان هوجو شافيز "يزايد علي العرب" لأنه أمر بسحب سفير بلاده من إسرائيل: احتجاجا على العدوان الإسرائيلي علي لبنان، والإمعان في قتل المدنيين اللبنانيين، في الوقت الذي يفشل فيه الجيش الإسرائيلي في تسجيل منجز عسكري حقيقي على الأرض!

المسئول قال أيضا إن شافيز بعيد عن بؤرة الصراع ولا يهمه حقيقة ما يجري في بلادنا، وهو لا يعلم مدي تعاطف شافيز مع القضايا والحقوق العربية، فهو من أشد المنتقدين للغزو الأمريكي للعراق. وكان قد زار صدام حسين في بغداد

قبل سقوط بغداد وتضامن معه، كما أعلنت بلاده استعدادها لاستقبال قادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي تقود الحكومة الفلسطينية الحالية، بعد أن فرض الغرب حصارا اقتصاديا وسياسيا عليها بعد فوزها في الانتخابات التشريعية كما أن العلاقات بين فنزويلا والولايات المتحدة تشهد توترا متواصلا، وهددت فنزويلا مرارا بقطع البترول عن واشنطن رغم الخسارة الاقتصادية التي قد تواجهها!!

فقد لقيت ترحيبا شعبيا عربيا واسعا وصل إلى إطلاق شعارات في مدونات الإنترنت، منها "عاشت فنزويلا حرة عربية" وهو شعار لم يكن فريدا وليس الأول من نوعه، فقد سبق أن تكرر هذا الهتاف في مناسبات سابقة إعجابا بمواقف إيجابية لدول أجنبية اتخذت مواقف بالمقاطعة أو سحب سفراءها من إسرائيل كنوع من النقد المستتر لبعض الحكومات مثل الهتاف لبلجيكا التي اتخذت مواقف ضد إسرائيل في وقت سابق، وقاطعت منتجاتها عقب الانتفاضة الفلسطينية عام ٢٠٠٢ بشعار: "عاشت بلجيكا حرة عربية". كما رفعت أيضا شعار "عاشت كوريا حرة عربية" نكاية في بعض الحكومات بعدما صمدت كوريا الشمالية في وجه الضغوط الأميركية وأصرت على إنتاج سلاح نووي رغم تعرضها للحصار.

عادل الجوجرى
القاهرة
ديسمبر ٢٠٠٦

الفصل الأول

أميركا اللاتينية

نظرة إلى الوراء.....

مدخل إلى الحاضر

أمـيـركـا؛ هـي أرض المسـتـقـبـل، وسـوف يتكشف في العـصـور القـادمـة شـأنهـا التـاريخي وربما كان ذلك على شكل نـزاع بين أميـركا الشـمـاليـة وأميـركا الجنوبيـة، إنهـا بلاد الأحلام لكل أولئك الذين ملوا وضجوا من المتحف التـاريخي في أوروبا القديمة.... إن ما يحدث هنا حتى الآن ليس إلا صدى للعالم القديم، أو انعكاساً للحياة الغربية عنها، كما أنها بوصفها أرض المستقبل، لا تهمنا هنا. إن أمريكا لا تهمنا إلا بمقدار ما هي بلد المستقبل ذلك أن الفليسوف لا يقوم بالتنبؤات.

ما هي أميركا اللاتينية؟

حسناً: قد مـر قـرن ونصف القـرن منذ قام هيـجل بنبـوءته عن أمـيـركا في حين كان ينفي أنه يتنبأ، وما كان مستقبلاً بالنسبة إليه أصبح الآن حاضراً بالنسبة لأميركا، والقارة التي كانت بالنسبة إليه طبيعة "أصبحت تاريخاً"، وقد تحدث عن أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية: وفي أميركا الشمالية تقوم حالياً أقوى دولة في العالم، أما الجنوبية، تحت الاسم الجديد لأميركا اللاتينية، فتمثل إحدى أكثر الأفكار ديناميـة في العالم المعاصر. وقد وضعتها سلسلة من العوامل في مكان الصدارة من التوقع العام: أول هذه العوامل هو الانفجار السكاني، إذا قبلنا هذا التصنيف التكنولوجي الذي يصف عملية الميلاد، فمعدل تزايد القارة هو أكبر معدل في العالم: ٣,١٪ سنوياً، وتعدادها الحالي يزيد على ٤٠٠ مليون من السكان، موزعين بصورة غير منتظمة على مدار ٢١ مليوناً من الكيلو مترات المربعة. هذا الانفجار، الذي يجري في إطار السياق الاقتصادي المسمى بالتخلف، يهدد بأن يتحول بدوره إلى انفجار سياسي. لكن ما يهمنا الآن بالتحديد هو أنه بدءاً من هذه السلسلة من الانفجارات، أو الانفجار المتسلسل، تأخذ أميركا اللاتينية في توقع انفجار آخر: الانفجار الثقافي.

ورغم ذلك، يظل تعبير أميركا اللاتينية تعبيراً غير دقيق بصورة واضحة، فما هي أميركا اللاتينية؟ وفي المقام الأول، لماذا نسميها لاتينية؟ لقد بدأت كل اللاتينية في الليسيوم، وهو إقليم صغير مجاور لمدينة روما، إيطاليا كلها، ثم اتسعت بعدها للجزء من أوروبا الذي استعمرته الإمبراطورية الرومانية، لتعود فتقتصر على البلدان والمناطق التي تتحدث بلغات مشتقة من اللاتينية، ثم لتنتقل أخيراً إلى القارة الأميركية التي كان أولئك الأوروبيون قد اكتشفوها واستعمروها على هذا النحو تصبح أميركا اللاتينية هي الحلقة الرابعة في ذلك التوسع المدهش.

ومن بين الدول التي حققت اكتشاف القارة الجديدة وغزوها واستعمارها كانت ثلاث منها لاتينية لغوياً: إسبانيا، والبرتغال، وفرنسا. ومن ثم فإن أشمل مفهوم تاريخي للإقليم، يجب أن يضم كل أراضي القارة الجديدة التي سكنتها تلك القوى المعارضة في مجموعها لأميركا الأنجلو سكسونية، المتمركزة في الشمال. يقول إستواردو نونييث" في أواخر القرن التاسع عشر: يبدأ التمييز بين ما هو أميركي شمالي وما هو أميركي لاتيني، بسبب نشوء الظاهرة السياسية لاستقلال الشمال.

أما بالنسبة للتركيب الحالي لأميركا اللاتينية فإن خوسيه لويس مارتينث يشير إلى أنه " شيء أكثر تعقيداً من الفسق البسيط الذي ظل حتى منتصف القرن، فقد بقيت هي المجموعة الأصلية المكونة من إحدى وعشرين دولة (هي الأرجنتين، وبوليفيا والبرازيل، وكولومبيا، وكوستاريكا، وكوبا، وتشيلي، وجمهورية الدومينيكان، وإكوادور، وجواتيمالا، وهايتي، وهندوراس، والمكسيك، ونيكاراجوا، وبنما، والباراجواي، وبيرو، وبويرتوريكو، والسلفادور، وأورجواي، وفنزويلا). إلا أن بويرتوريكو ولاية حرة منضمة

إلى الولايات المتحدة ويحمل مواطنوها جنسية الولايات المتحدة، وبعد عام ١٩٦٠ نشأت خمس دول جديدة هي: جامايكا، وباربادوس، وترينيداد، وتوباجو، وجويانا، تسود فيها اللغة الانجليزية، وتكون جزءاً من الكومنولث البريطاني".

وكما هو واضح، فإن المحصلة التي تؤدي بنا إليها فكرة اللاتينية تتجاوز تلك الفكرة ذاتها وإذا حاولنا الآن الرجوع إلى الوضع الأصلي للإنسان الأميركي، فإن الصفة في تعبير أميركا اللاتينية تذوب في السياق التاريخي، ونجد أنفسنا غارقين في الجوهر البشري الخاص للموصوف، الذي من الواضح أنه أسبق مما هو أوروبي وغريب عنه. وبذلك نجد أنفسنا في مواجهة الثقافات العظيمة السابقة على الاكتشاف، وفي مقدمتها ثقافات (ميسو-أميركا) وأميركا الوسطى- وثقافات الأنديز.

قضى غزو القرن السادس عشر عملياً على تلك الثقافات العظيمة، لكنه، في الوقت نفسه، منحها حياةً جدلية جديدة بقدر ما حولها إلى شرط ضروري لعملية " أوروبة"، كما أثرت هذه العملية في سكان أميركا المتبقين، الذين نالوا في تلك الفترة درجات أدنى من التطور: أولئك السكان الذين أطلق عليهم كجنس اسم الهنود من قبل المكتشفين بدافع الخطأ الجغرافي الهائل الذي حملهم على الاعتقاد بأنهم قد وصلوا إلى آسيا (وإلى الهند منها).

بالإضافة إلى ذلك، يجب التأكيد، داخل أميركا اللاتينية الحالية، على وجود عالم آخر غير لاتيني بصورة جذرية: هو الإفريقي. وطبقاً للنظرية المسماة "قدرة القارات على الانجراف" فإن أميركا كانت تشكل، في عصر جيولوجي سحيق، وحدة" عضوية مع أفريقيا، وبانفصالها إثر ذلك بفعل القوى الجوفية في كوكبنا، اكتسبت ذاتيتها كقارة. وفي تلك المغامرة الرائعة انتزعت القارة الأميركية نباتات وحيوانات أفريقيا فقط، دون بشرها.

كذلك قدم الأفريقيون بعد ذلك إلى أميركا. بعد ذلك بزمن لا يحصى، أي في العصور التاريخية. ففي الكاريبي الأخضر الشفاف، في ذلك البحر الذي يكشف في دعة عن حميميته، وفي تلك الجزر التي ترصعه بإطار ثمين مزدوج من الطحلب والرمل، جرت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الظاهرة الفظة لتجارة العبيد: استخدام البشر من لون معين كأدوات من جانب بشر من لون آخر.

تم "اصطياد" ونقل مائة مليون من أفريقيا، لم يصل سوى ثلث عددهم إلى وجهتهم الأميركية ولقي الآخرون مصرعهم في عرض البحر. ورغم ذلك أدت هذه العملية إلى النتيجة المدهشة التي يمكننا الآن رؤيتها: فقد أضاف العبيد على سادتهم الكثير ناقلين إليهم كل ما استطاعوا الحفاظ عليه من ثقافتهم، ومعلمين إياهم الكثير من الأمور: من الغناء والرقص حتى النضال من أجل حريتهم.

وفي الوقت نفسه فإن ما هو إفريقي في أميركا اللاتينية صار هو السمة المشتركة التي تربطها مع أميركا الأنجلو سكسونية: إذ أن ذلك الجنس وثقافته هما اللذان يتوليان اللحمة بين جزئي شبه اللذين يشكّلان الأميركتين، فجزر الكاريبي وأميركا الوسطى تمثل انتقالاً بين أميركا الجنوبية، اللاتينية بصورة نموذجية، وأميركا الشمالية، الأنجلو سكسونية بصورة نموذجية، في هذه المنطقةلا يصبح دقيقاً حتى ذلك التحديد المتبادل والأساسي بين تلك الثقافتين المستعمرتين، إذا أن كلتيهما قد تعايشتا ومازالتا تتعايشان فيها.

وأميركا الإفريقية هذه محسوسة بقوة، لا في هذه المنطقة الوسيطة فحسب، بل كذلك في حدودها مع المنطقتين الأخريين، أي شمالي أميركا الجنوبية، وجنوبي أميركا الشمالية. بحيث تمثل هذه البينية "الوضعية الوسطى الآن

حاجزاً وطريقاً معاً كما تمثل في كل الحالات إثراء للنسق الكلاسيكي الذى نشأ منه مفهوم أميركا اللاتينية نفسه: فالأميركتان المتباعدتان تتقاربان في ثقافة ثالثة لدرجة أن تشكلا، سويًا أفرو أميركية واحدة، هي صلة الوصل التي تتجه إلى توحيد الأميركات الجغرافية الثلاث ثقافياً.

ربما كانت ملاحظة التبعية هذه أول ما يوضع في الاعتبار عند تحديد المفهوم المراوغ لأميركا اللاتينية. والملاحظة الثانية هي انغماسها في أقوى استقطاب تاريخي راهن: وهو الهوة التي تنفتح بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة، وهذا تقابل أوسع من سابقه، لكنه لا يتناقض معه، وهو يتضح في مجموع الأميركتين فالغنية هي الأنجلو سكسونية والفقيرة هى اللاتينية ويكمل ويؤكد هذين المعيارين معيار ثالث أكثر أولية: هو المعيار الجغرافي، الذي يرتكز عليه، صراحة أو ضمناً، كل ما ضاهيناه حتى الآن.

وتتكون أميركا اللاتينية، من كل تلك الأراضي الأميركية التي تقع جنوبي نهر الريو جراندي أو الريو برافو (الذي يرسم حدود الولايات المتحدة مع المكسيك ويكون شيوع هذا التعبير جنوبى الريو جراندي أوالريو برافو) هو برهان صحته: فجنوبي هذا النهر ثمة تجانس معين ثقافي، وسياسي، واجتماعي، ولغوي، وديني.

من الدهشة إلى الفن

جرت الإشارة مراراً إلى الحوافز الثلاثة التي دفعت الإسبان إلى استعمار أميركا: وهي النزعة الحربية المكتسبة لدي استرداد أراضيهم من أيدي العرب، والصوفية التبشيرية الكاثوليكية، والنهم (للذهب، والعبيد، والنساء) من بين

هذه الدوافع، يبرز كل مؤرخ ، وكل كاتب، أكثر ما يؤثر منها على حساسيته، لكن لاشك في أن مجموع العوامل الثلاثة المذكورة هو الذي يحدد تلك العملية التي كان لها أن تكمل العالم، عملياً ، بنصفه المفتقد.

كان كريستوفر كولومبس صوفيّاً، على نحو مّا، لكن ذلك لم يمنعه من تبني استراتيجية كاملة لإغراء الملكين الكاثوليكيين بذهب القارة الجديدة. وقد كتب "الذهب شيء نفيس، من الذهب يكون الكنز، وبه يصنع من يملكه ما يشاء في الدنيا ويبلغ حد إدخال الأرواح إلى الفردوس" من الذهب إلى الفردوس: عنوان يصلح سيرة حياة لكولومبس.

نود الآن أن نضيف عاملاً رابعاً هو نتيجة لتلك العوامل الثلاثة: وهو الإحساس الأول الذي غمر قلوب المكتشفين والغزاة، أو بالأحرى الدهشة. إحساس كولومبس أمام أميركا الجميلة الذي كان على الدوام مصحوباً بالهذيان: فحين يقترب من مصب نهر الأورينوكو orinoco يعتقد أنه أكتشف أحد الأنهارالتي تنبع من الفردوس؛ ورغم ذلك، يمنعه مرض غامض يعميه مؤقتاً من أن يطأ القارة التي كان يدخلها في التاريخ . ولم يستطع بلوغ المكسيك أبداً، فقد وقع في أحبولة نسيج العنكبوت الهائل لجزر الأنتيل Antillas، لكنه تنبأ بكل وضوح بوجود بحر آخر إلى الجانب الاخر من أميركا الوسطى. ويضيف أنه على مسيرة عشرة أيام في ذلك البحر- الباسيفيكي- "يقع نهر الجانج". ربما كان كولومبس، في أن واحد، ألمع شخصيات التاريخ وأكثرها جنوناً.

وتستمر هذه الدهشة في كل واحد من الإسبان الذين تلوه. فالهنود الذين يدخنون، على سبيل المثال، يوصفون من قبل الغزاة على أنهم "رجال ونساء يتمشون وهم يصعدون الدخان من عود مشتعل" أما غزو المكسيك فيشرق بجو رواية من روايات الفروسية.

محرر أميركا اللاتينية

في ٢٤ يوليو ٢٠٠٣ احتفلت القارة اللاتينية بمرور مائتي عام على مولد أعظم ابن لها وهو سيمون بوليفار، الذي ارتبط اسمه بالنضال ضد الاستبداد، وكانت منظمة اليونسكو أصدرت عام ١٩٨٣ ميدالية يظهر على أحد وجهيها صورة جانبية لبوليفار، وعلى الوجه الأخر رسم للشمس وهى تشرق على وحدة أميركا اللاتينية التي تحلق في سمائها حمامة السلام.

لقد اكتشفت شعوب أميركا اللاتينية بعد أن ذاق العالم ويلات الدمار والخراب أن بوليفار لم يكن مجرد قائد ثورة كُتب لها النصر على يديه بعد كفاح دام خمسة عشر عاما فأنهت الحكم الاستعماري الإسباني إلى غير رجعة، وكانت هذه نقطة تحول في التاريخ أفسحت مكانا لبوليفار الفاتح المنتصر، ففي الحقيقة كانت شخصية البطل الفنزويلي تجمع بين أكثر من موهبة قلما شهد التاريخ مثلها، كانت لدى بوليفار رؤية مستقبلية لأميركا اللاتينية تتجاوز بأبعاد قدرات فهم رجال عصره بل ورفاقه في القتال. وقبل أن نلقي الضوء على كفاح سيمون بوليفار نعرض نظرة تاريخية على فنزويلا.

عندما اكتشف كريستوفر كولومبس القارة الأميركية في عام ١٤٩٨، لم يجد في فنزويلا سوى عدد قليل من المجموعات البشرية، لايتعدى كل من هذه التكتلات الـ٤٠ الف نسمة، وكانت تعيش على نمط بدائي من الزراعة، وكانت القبيلة هي الوحدة السياسية، أما مفهوم الأمة أو الوطن فلم يكن معروفا. ومنذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها إسبانيا أرض أميركا اللاتينية، عملت بدأب على ضم هذه القارة لتكون جزءا من الإمبراطورية الإسبانية، وعلى هذا الأساس بادرت بنقل مؤسساتها بهدف فرض حكمها على نحو دائم على هذه الأرض، وكان من المنطقي

إن يثير الاحتلال الإسباني حركات المقاومة بأسلوب حرب العصابات ، حيث القنص أو حملات الصيد التي تقوم بها فرق المقاومة ضد معسكرات الجيش الإسباني، وقد أدت الانتفاضات المتوالية عبر ثلاثة قرون من الحكم الاستعماري إلى ظهور وتصاعد الوعي القومي بين القبائل التي وجدت أن حروبها المتفرقة لن تجدي نفعا وأن الاتحاد يوفر لها إمكانات أكبر على تحقيق النصر.

وبالنسبة لفنزويلا، وكما ورد في كتاب "سيمون بوليفار - محرر القارة الأمريكية اللاتينية" للأستاذ نبيه الأصفهاني- فقد طبق عليها منذ بداية القرن السادس عشر نظام مؤسسات استهدفت أساسا فرض حكم إسباني مطلق يضع جميع السلطات في يد القائد العسكري أو الالنتاد، فضلا عن نظم أخرى ساهمت في إحكام سيطرة الاحتلال على البلاد، بما في ذلك اللجوء إلى الرهبان الدومنيكيين لحث الهنود أصحاب الأرض على اعتناق الدين المسيحي، وذلك حتى يتم للمستعمر الإسباني السيطرة الروحية أيضا، وجرى تقسيم للأراضي وفق نظام يمكن المستعمر من إحكام قبضته عليها.

وعندما ولد سيمون بوليفار عام ١٧٨٣ كانت فنزويلا قد استكملت منظماتها الاجتماعية التي شهدت قدراً من التمايز الطبقي، في صورة هرم يقف على رأسه الإسبان، ثم يليه الإسباني الذي ولد على أرض المستعمرة، وبعد ذلك الهنود الحمر الأحرار ثم الهنود الحمر العبيد وفي أدنى قاعدة الهرم يقف الزنوج العبيد.

وكان طبيعيا أن يصف سيمون بوليفار الوضع في بلاده على النحو التالي: إن حياة سكان القارة الأميركية كانت سلبية تماما طوال قرنين، لم يكن لهم وجود سياسي، كنا نجد أنفسنا في مرحلة أدنى من العبودية، كانت القوانين تقهرنا وتحرمنا من حقوقنا وتجعلنا في وضع أشبه بالطفولة الدائمة فيما يتعلق بالشؤون العامة.. لم يكن

للأمـيركـيين في المجتـمـع سـوى مكانة العـبـيـد لايصلحـون سـوى في العـمل ومـجـرد مـسـتـهلكين.. بل حـتى هذا الدور قـد فـرضـت عليـه حـدود مـخـزية. كنا مـعـزولين بل وغائبين أيضا عن العـالم في كل مـا يـتعلق بفنون الحكم وإدارة الدولة، لم نكن في يوم من الأيام في مـنصب نائب الملك أو حـتى مـحـافظين إلا في حـالات فـريدة، لم نصـبح أسـاقفـة أو بطاركة إلا مـرات قليلة، لم نصـبح أبدا من الدبلومـاسـيين، كنا عـسكريين ولكن في أدنى المراتب، وأخيرا لم نكن قضاة ولا من رجال المال بل ولاحتى من التجار.

ثورة العبيد

تشـيـر الوثائق إلى تاريخ عـريض لشـعب فـنزويلا ضـد الاسـتـبـداد الإسـبـاني، وكانت أولى حركات التمـرد قام بها العـبـيد عـام ١٥٢٢ بمدينة "سانت إنا ذي كورو"، وبعـدها بثلاثين عاما قـام العبـيد بثورة تـزعمـهـا الزنجي مجـيل في أحـد المناجم، وتكررت حـركات التمـرد خـلال ثلاثة قـرون حتى قـاد سـيـمـون بوليـفـار أهم ثورة في تاريخ فـنزويلا .

من هو سيمون بوليفار؟

ولـد بوليـفـاروفي فـمـه ملعـقـة ذهب، وهـو يمـثل نموذجـا أصـيلا للرجل اللاتيني الجـديد الذي أنتـجـتـه فـنزويلا بعـد قـرون ثلاثة، ولم تجـر في عروقـه دمـاء هنـديـة، فقـد كـان والداه أرسـتـقـراطيين، وقـد ولـد في كاراكـاس والتـحق بـأهم المدارس في العـاصـمـة إلى إن الـتقـى بالثائر سيـمـون رودلايجز الـذي كان مديرا لإحدى المدارس الابـتـدائيـة، وتنبـه إلى نبـوغ الطالب سيـمـون بوليـفـار فـراح يبث فـيـه أفكار التـمـرد والدفـاع عن مـصـالح الأغلبـيـة من المواطنين الفـقـراء والبـؤسـاء ووجـهـه إلى قـراءة أفكار الفلاسفة الفرنسيين مثل جان جاك روسو وفولتير وديدرو.

التحق بوليفار في سن مبكرة بكتيبة الميلشيا التي كانت تضم متطوعين من الشرفاء البيض، وحصل على تدريبات على الرياضة البدنية، وعلى اكتساب الإرادة القوية، وقرأ مئات الكتب وتلقى دروسا في التاريخ والجغرافيا والأدب على يد الشاعر والعالم والأديب المعروف أندرياس باولو، كما اطلع على مئات الكتب خلال إقامته في مدريد التي استمرت ثلاث سنوات، وكانت هناك شخصيتان سيطرتا على فكر بوليفار وهو في ريعان شبابه هما الثائر فرانسيسكو ميرا ندا، رائد الحرية والديمقراطية ، ونابليون بونابرت بانتصاراته التي خطفت عقول الشباب في ذلك الحين وبينهم بوليفار.

بذور الثورة

تبلورت أفكار بوليفار الثورية ومنظومته الأخلاقية، خاصة نظرته للمال العام ، فقد بدا صارما ونزيها إلى أقصى حد، وعبر عن هذا المعنى بعبارات واضحة حيث قال" إن ثروات الأمة ليست ملكا للذين يحكمونكم، وإن جميع الذين وضعت بين أيديهم مصالحكم عليهم أن يثبتوا لكم حسن تصريفهم لهذه المصالح".

وقد وضع بوليفار ثروته في خدمة قضيته النبيلة، ولهذا نجده وقد أمضى ١٥عاما في إدارة وزارات المالية في فنزويلا وكولومبيا وبيرو مات وهو في حالة فقر مدقع، وكان قد رفض المرتب الضخم الذي خصص له عندما تولى رئاسة كولومبيا وحكم بيرو ومنح سلطات مطلقة لم يستغلها لمصلحته أبدا، وظل بوليفار مؤمنا بالشجاعة والمجد واعتبر الفيلسوف سيشرون الذي فضل أن يجترع السم على التخلي عن أفكار قدوته، وتمكن من بناء منظمة سرية لمناهضة الاحتلال الإسباني واستفاد من تنامي الموجة الثورية ضد إسبانيا فقد سبقه إلى النضال فرانسيسكو ميراندا الذي قاد عدة

محاولات لطرد الاحتلال ، وقد تميز بوليفار بأنه ضابط يجيد فن التكتيك العسكري، فضلا عن قدرته الخطابية الهائلة التي مكنته من التميز على أستاذه، ومن عباراته الشهيرة "إن بريق سلاحكم الذي لايقهر سيطرد من الريف الفنزويلي الفيالق الإسبانية مثلما تذيب أشعة الشمس السحاب والغيوم".

ومن فرط ذكائه أنه أرسل إلى أحد القادة الإسبان جواسيس ادعوا أنهم موالون للاحتلال وأوهموه بان بوليفيار يقود جيشا يضم ١٨٠٠٠جندي مزودين بالمدفعية، وكانت النتيجة أن هرب القائد إلى منطقة بعيدة عن الحامية، فدخل بوليفار مدينة ميريدا بدون قتال بل استقبلته الجماهير استقبال الأبطال، وتكرر الحال في مدن أخرى نجحت قوات بوليفار في السيطرة على عدة مدن بدون معارك.حتى صار الطريق إمامه مفتوحا إلى العاصمة كاراكاس، فوصل دون صعوبة إلى فانسيا، ووصل إلى مدينة لفيكتوريا الإستراتيجية حيث استسلمت الحامية الإسبانية، ورحلت القيادة إلى إسبانيا ،وهكذا أصبحت كاراكاس بدون شرطة ولا جيش فوصلها بوليفار على رأس قواته يوم ٦ أغسطس ١٨١٧، وأصبح بطلا شعبيا ورمزا للحرية ليس في فنزويلا وحدها وإنما في القارة كلها.وامتدت شهرته حتى وصلت الى مصر، وفي أحد أبرز ميادين القاهرة يقف تمثاله شامخا بينما اسمه يتصدر واجهته او اللافتة التى تحمل اسمه، وليس سوى خطوات قليلة تفصل التمثال عن السفارة الاميركية.

ويخطئ من يظن أن بوليفار انتصر في كل معاركه فهو لم يكن يحارب أشباحا وانما دخل في مواجهة مع قوة إمبراطورية بمعايير ذلك الزمان، فقد تعرضت جيوشه إلى هزيمة ساحقة في لابويرتا التي أدت إلى سقوط الجمهورية التي كان الثوار أقاموها، ووجد بوليفار نفسه في الطريق إلى المنفى.

واللافت هنا أن شافيز سوف يسير في نفس الطريق الذي مشاه بوليفار، سوف ينتصر وسوف ينهزم ، ولكن الإرادة الثورية أبدا لا تنكسر، وفي اليوم الذي يضطر فيه الى مغادرة كاركاس مع عدد قليل من قواته، وفي الطريق إلى المنفى أصدر بيانا إلى شعبه يحثهم فيه على النصرقائلا: "قاتلوا وسوف تنتصرون".

وبعد إقامة جبرية في جامايكا ١٨١٥ وضع بوليفار خطة الهجوم مرة أخرى على كاركاس لتخليصها من الحكم الملكي الإسباني بسماته الإقطاعية، وخاض سلسلة معارك شرسة انتهت بتحرير فنزويلا ، ورغم صعوبة المعارك إلا أنه كانت هناك المعركة الأصعب وهي بناء نظام ديمقراطي يمد إشعاعه إلى بيرو وبوليفيا والأكوادور، إذ لعب بوليفار دورا في تاسيس هذه الدول حتى إن بوليفيا التي نعرفها اليوم كانت جزءاً من الأرجنتين، وعندما استقلت حملت اسمه"بوليفار "ثم تغير الاسم إلى بوليفيا بعد ذلك ولاشك أن أفكار بوليفار تجاه وحدة القارة اصطدمت بالإقطاع الذي يريد تقسيم الأراضي للراغبين في الهيمنة، وكتب المؤرخ ليفانو اجويرى" أن الأنجلو ساكسون وخاصة في الولايات المتحدة، وقد أصابهم القلق من أفكار بوليفار الوحدوية قد بذلوا كل مافي وسعهم من جهد من أجل "بلقنة" القارة الإسبانية القديمة: أي تقسيمها إلى أجزاء صغيرة وإلى أرخبيل من الدول المتعادية".

وحتى نهاية حياته سوف يظل بوليفار يعمل من أجل وحدة القارة لأنه كان يدرك أن البديل هو الفوضى والانقسام والحروب الحدودية كما حصل خلال القرن العشرين ولا يزال. لقد رحل بوليفار عام ١٨٣٠لكنه رحل جسدا وبقت روحه تغذى جذوة الثورة وتنفخ فيها حتى تشتعل وتنتج ثوارا على غرار كاسترو وجيفارا وسلفادور الليندي وصولا إلى جيل الثوار الجدد شافيز

وموراليس"بوليفيا"ولولا في البرازيل واورتيجا في نيكارجوا وآخرين الذين ادركوا أن أفكار ونضال سيمون بوليفار من أجل وحدة القارة كان ولا يزال هو الطريق السليم لان البديل هو الغرق في مسلسل انقلابات عسكرية حتى صار اسمها "جمهوريات الموز" من فرط الانقلابات التي تحدث بين حين وآخر .وليس من شك أن أفكار بوليفار تحولت اليوم إلى برنامج تثقيف في الجامعات اللاتينية وفي المؤسسات العسكرية ، حيث صار البطل الفنزويلي ملهما للثوار بامتداد القارة.

الثورة البيضاء في أمريكا اللاتينية

منذ اللحظة الأولى التي أعقبت إعلان فوز إيفو موراليس بمنصب رئيس جمهورية بوليفيا، إثر انتخابات شعبية، حصل الزعيم البوليفي الشاب بنتيجتها على أكثرية ملفتة، كبر الحديث عن تحول (نحو اليسار)، ليس في بوليفيا فقط، وإنما أيضاً في عدد من دول أميركا اللاتينية. فما الداعي إلى ذلك ولماذا؟...

في الواقع، إيفو موراليس ليس سوى الواجهة الأخيرة المرئية من سلسلة تحولات يعود تاريخها إلى خمسة قرون مضت، وتحديداً مع بدء تنامي القوة السياسية، الثقافية والإيديولوجية الهندية، تؤكد ذلك الأحداث والتطورات الأخيرة التي شهدتها بعض دول أميركا اللاتينية، وأدت في جملة انتصاراتها إلى وصول زعامات يسارية إلى رئاسة البلاد، ولتباشر تنفيذ مشروعها الوطني/ الإقليمي، متخطية المفهوم اليساري (السوفياتي) الذي ساد إبان عقود الحرب الباردة، بين واشنطن وموسكو من جهة، وأيضاً لا يقارب (المشروع) في أي حال النظام العالمي الجديد الذي يجعل من الولايات المتحدة روما الجديدة.

وإذا بدا بعض اليسار اللاتيني عاجزاً عن فهم هذه التحولات وما نتج عنها،

فإن كل اليمين، وبلا استثناء، يبدو بلا ريب أقل رؤية وأكثر غباء في فهم التحولات التي تجري في القارة اللاتينية.

وفي هذا المجال أيضاً، شكّلت انتخابات الرئاسة الأخيرة في البرازيل، وفوز لولا بالمنصب، أول انعطاف أميركي لاتيني نحو اليسار الوطني الحقيقي وعلى الرغم من اتهامات الفساد التي انصبت في الفترة الأخيرة على (حزب العمال) الذي ينتمي إليه، فإن لولا ما زال يجسد هذا (اليسار المحيطي)! اليسار الذي ينتمي إلى الذات البرازيلية، بتراثها وحضارتها، بدل التمادي في استيراد اليسار الأروبي، الذي يبقى دخيلاً على شعوب تتغنى بتراثها، وتتجذر في مفاهيمها ومعتقداتها والمتغيرات الحالية في القارة اللاتينية تؤكد أن لدول تلك المنطقة مشروعها الطموح والخاص الذي يعبر عن ذاتها المنفصل عن الذات الأمريكية المتعالية في الشمال.

فعلى المستوى المحلي:

أولاً-القضاء على الأنظمة الديكتاتورية وفرض انتخابات شفافة ونزيهة: وهذا المكسب تحقق ابتداء من الثمانينيات وشمل أغلبية دول المنطقة-باستثناء كوبا- التى مازالت تخضع لهيمنة الحزب الوحيد. ولا يتردد البعض في وصف الديمقراطية في أميركا اللاتينية بالهشة، اعتمادا على معالجة سطحية مفادها تغيير بعض الدول لرؤسائها باستمرار وعبر احتجاجات قوية، مثلما وقع في بوليفيا والإكوادور وبيرو. لكن خبراء المنطقة لديهم رأى آخر، هو أن تغيير الرؤساء -أو بالأحرى طردهم دون إتمام ولايتهم الرئاسية- يعني أن الشعب يعاقب كل رئيس لا يلتزم بالوعود الواردة في برنامجه الانتخابي، لاسيما وأن ثقافة تقديم الاستقالة أو اجراء انتخابات مبكرة غير متجذرة في المنطقة. فرئيس الإكوادور السابق جوتييريث انحاز إلى سياسة واشنطن الخارجية، وحاول فتح اقتصاد البلاد أمام الشركات المتعددة الجنسيات، فوجد نفسه

دون كرسي الرئاسة عقب موجة عارمة من الاحتجاجات. الأمر الذى تكرر لاحقا في بوليفيا وقبله في الإكوادور.

ثانياً- مواجهة الليبرالية "المتوحشة والفجة": يعالج المحلل الاقتصادي ويلسو كانو- في كتاب له بعنوان "السيادة والسياسة في أميركا اللاتينية" صدر في عام ٢٠٠٥ عن جامعة الباسفيك في بيرو- كيف أن الليبرالية المتوحشة خلال التسعينيات في القرن الماضي. ومع اشتداد العولمة، تسببت في انهيار النسيج الاجتماعي في عدد من الدول عبر خصخصة قطاعات استراتيجية مثل الطاقة في البرازيل والأرجنتين وبيرو وكولومبيا وفنزويلا، بالإضافة إلى معاناة شعوب المنطقة مع الليبرالية "المتوحشة" التى أجهزت على الكثير من المكاسب الاجتماعية هي خير دليل لفهم المعارضة الشديدة لبعض الدول، وعلى رأسها البرازيل والأرجنتين، لاتفاقية التبادل التجاري الحر مع الولايات المتحدة، أو اتفاقية شاملة من هذا النوع في القارة برمتها. وقد جددت هذه الدول في اجتماع للقارة خلال شهر نوفمبر ٢٠٠٥ رفض الاتفاقية.

ثالثاً- دور السكان الأصليين: ويتجلى في وعي السكان الأصليين المنتمين لحضارات عريقة -مثل الأزتك والإنكا- ونضالهم من أجل الحصول على حقوقهم كاملة واستعادة الثروات التى سلبت منهم بالقوة، ووضع حد للتهميش التاريخي الذي تعرضوا له منذ وصول كريستوفر كولومبس إلى هذه الأراضي. وكانت الانطلاقة مع جيش التحرير الوطني في المكسيك سنة ١٩٩٤ وتحت قيادة القبطان ماركوس، الذي عاد هذه الأيام إلى القيام بجولة استكشافية ضد التهميش، متشبثا دائما بلثامه الذي جعل منه أسطورة، لكن العدوى انتقلت من المكسيك سنة ١٩٩٤ إلى مجموع أميركا اللاتينية بدون استثناء، بل وحتى في أميركا الشمالية من خلال هنود كندا في حين أن هنود الولايات المتحدة قد تم سحقهم سياسيا واجتماعيا.

ويختلف وزن السكان الأصليين من بلد إلى آخر. فإذا كان ضعيفا نسبياً في البرازيل، ففي حالة الإكوادور وبيرو وبوليفيا، أصبح مؤثرا وتحول إلى عنصر الحسم في القرارات السياسية الكبرى، ففي حالة بوليفيا، أصبح زعيم السكان الأصليين إيفو موراليس رئيسا للبلاد منذ ١٨ ديسمبر ٢٠٠٥، وهو ما يحدث لأول مرة في تاريخ هذه البلد. كما أن زعيم السكان الأصليين أويانتا أومالا في بيرو، وهو كولونيل متقاعد، فاز في الانتخابات الرئاسية في بداية أبريل ٢٠٠٦، ولكن يبقى الأمر الخطير في خطاب السكان الأصليين هو ترويج خطاب سياسي عنصري، مفاده التمييز بين الإنسان الأبيض الأوروبي الذي قدم منذ قرون، والإنسان الأصلي صاحب الأرض والمشروعية. فأغلبية سكان أميركا اللاتينية تنقسم إلى سكان أصليين والبيض القادمين من أوروبا. وتاريخيا تولى البيض الحكم دون إشراك أصحاب الأرض الأصليين، بل مارسوا عليهم جميع أنواع القهر والتهميش والاستغلال.

رابعاً- وصول تنظيمات تقدمية إلى الحكم: يبقى هذا العامل من أبرز معالم التغيير في منطقة أميركا اللاتينية، ففي: الوقت الراهن، توجد في أميركا اللاتينية حكومتان يمينيتان فقط، في دولتي كولومبيا وباراجواي، في حين أن الدول الكبرى مثل: فنزويلا والبرازيل والأرجنتين وتشيلي وأوروجواي وبوليفيا ونيكاراجوا تحكمها أنظمة تقدمية أو يسارية. ووصل اليسار إلى الحكم عبر صناديق الاقتراع، وليس من خلال السلاح أو فيما أطلق عليه "الثورة الحمراء" كما كان يهدف إلى ذلك في الستينيات والسبعينيات. ومع وصوله، وصل ممثلو الطبقات الشعبية إلى سدة الرئاسة، فبعض رؤساء الدول مثل هوجو شافيز في فنزويلا، ولولا دي سيلفا في البرازيل، وإيفو موراليس في بوليفيا ينتمون إلى الطبقات المهمشة، وهذا ما يفسرمثلا تصويت ثلثي الشعب الفقير في فنزويلا لصالح شافيز ونجاحه في ستة

انتخابات بلدية وتشريعية وتعديل الدستور والاستفتاء على الرئاسة، الأمر الذي لم يحدث أبدا في تاريخ القارة الأميركية.. أو فوز إيفو موراليس بأغلبية مطلقة في بوليفيا في الدورة الأولى للانتخابات الرئاسية، وهو الأمر الذي يحدث نادرا، خاصة في حال وجود أكثر من عشرة مرشحين آخرين.

ووعى اليسار أن دوره التاريخي لن يتحقق عبر ديكتاتورية البروليتاريا، بل عبر الفوز بأصوات الطبقات الفقيرة والمهمشة، وتبنى سياسات اجتماعية تستوعب مطالب هذه الطبقات، والتقرب إلى السكان الأصليين وتبنى أطروحاتهم وأهدافهم والدفاع عن حقوقهم والتنسيق معهم، ليقدم هذا اليسار نموذجا قابلا للتقليد في مناطق أخرى، لأنه اعتمد على الاستفادة من الواقع والتكيف معه.

٢-على المستوى الإقليمي:

تسعى أغلبية دول المنطقة إلى تحقيق هدفين رئيسيين، الأول: تحقيق نوع من التكامل في أفق الاندماج، والثاني: تبنى سياسة خارجية موحدة تعطى لأميركا اللاتينية وزنا على المستوى الدولى.

وحول الهدف الأول، بدأت مسلسلات الاندماج منذ الستينيات، لكن تغييب الشعوب عن المشاركة فيها وتوالى الانقلابات العسكرية حالا دون تحقيق نتائج تذكر. وتوجد في المنطقة عدد من التجمعات، غير أن الذي بدأ يتقوى هو التجمع الإقليمى "ميركوسور" ويعنى سوق الجنوب، مكونا من البرازيل والأرجنتين وباراجواى وأوروجواى، وانضمت إليه فنزويلا في بداية ديسمبر ٢٠٠٥. وتلعب فنزويلا دورا رئيسيا في تنشيط التعاون بين دول جنوب القارة من خلال تزويدها لمختلف الدول بالبترول، وبأسعار مقبولة ومنخفضة عن السوق الدولية، بل وصل الأمر برئيسها هوجو شافيز إلى شراء جزء من ديون الأرجنتين من صندوق النقد الدولى لتقليل الضغط عليها.

ويعتقد المراقبون أن مسيرة التكامل والاندماج -وآخرها إنشاء برلمان لدول المنطقة- ستؤدي حتما إلى تجمع شبيه بالاتحاد الأوروبي في المدى المتوسط.

ويبقى الهدف الرئيسي لدول أميركا الجنوبية هو تحقيق نوع من التكامل في السياسة الخارجية، وتم تنفيذ عدة خطوات في هذا المجال، منها أن دول المنطقة أصبحت تفضل نسج علاقات مع قوى وتجمعات إقليمية، أكثر من البقاء فقط تحت عباءة واشنطن. ولهذا، فإن التنسيق قوى مع الاتحاد الأوروبى وروسيا والصين. ويبدو أن هذا المسعى كان محل متابعة الصحف العالمية، ومنها جريدة نيويورك تايمز التى أشارت -في عددها بتاريخ ٢١ يناير ٢٠٠٦- إلى أن واشنطن اهتمت كثيرا بالشرق الأوسط والعراق، وتناست "حديقتها الخلفية" أميركا اللاتينية التى فقدتها. وحاولت أميركا اللاتينية تنسيق المواقف مع العالم العربي-خلال القمة التى احتضنتها البرازيل في مايو ٢٠٠٥ إلا أن الأغلبية منهم لم يشاركوا في القمة رغم أهميتها الاستراتيجية.

يسار أم يساران؟

واللافت هو تعدد وتنوع القراءات الفكرية للتحولات السياسية التي تجري في القارة اللاتينية بشكل عام، ثمة من يرى أن اليسار يحرز تقدماً عبر البوابة الديمقراطية ويصل إلى الحكم وفق برنامج جديد منقطع الصلة عن البرامج الماركسية القديمة، يركز على الاحتياجات الواقعية للمجتمع وهي التي تصيغ الأيديولوجيا وليس العكس، في حين يقدم الأستاذ جميل مطر رؤية هامة استقاها من خلال زياراته الميدانية إلى عدد من عواصم أميركا اللاتينية مفادها وجود نوعين -وربما أكثر- من اليسار في هذه القارة التي اتسمت بعدم الاستقرار الاقتصادي،

والانقلابات السياسية، والمقصود هنا هو تنوع التجارب اليسارية بين دولة وأخرى، وما يصدق على شيلي مثلا لا ينطبق على بوليفيا أو البرازيل، فلكل مجتمع خصوصيته وتاريخه مع الأفكار، وأيضا ظروفه الاقتصادية والاجتماعية، ونظراً لأهمية طروحات جميل مطر في هذا الشأن نقدم هنا رؤيته كما طرحها في مقال له بصحيفة (الوفد) القاهرية (٢٦/١٠/٢٠٠٦) تحت عنوان (يقرأون في ورقة الكوكا):

لا يبالغ كثيرا المفكر المبدع نعوم شومكسي عندما يعلن أن أميركا اللاتينية تدخل هذه الأيام مرحلة استقلالها الحقيقي، مستندا إلى سلسلة من الانتخابات والممارسات الديمقراطية أتت إلى الحكم بقيادات لم تفرضها مصالح دول خارجية. كان هذا على كل حال الانطباع نفسه الذي خرجت به من لقاءات في أميركا اللاتينية ومتابعة للتطورات فيها. ذهبت إلى أميركا اللاتينية مدركا أن بعض دولها يدخل تجربة ديمقراطية ثانية بعد فشل تجربته الأولى، ولمست هناك أن (الديمقراطية الأولى) سقطت لأنها جاءت بإيعاز من الولايات المتحدة وجاءت برفقة مجموعة من الاتفاقيات والإجراءات الاقتصادية والاجتماعية فرضتها المؤسسات الاقتصادية الدولية، وجعلت الولايات المتحدة تبنيها شرطا من شروط الدعم السياسي والاقتصادي.

أخطأت السياسة الأميركية، وأخطأت دول أميركا اللاتينية التي وافقت على تبني هذا الشرط، فاتها- وكانت جميعا في غيبوبة الانبهار بالعولمة- أن الدولة التي تتنازل عن سيادتها وعن مسئولياتها في إدارة الاقتصاد وحماية الأغلبية الفقيرة ورعاية صحتهم دولة لا يمكن أن تقوم فيها ديمقراطية سليمة، فانحسار السيادة يتبعه حتما انحسار الديمقراطية، وهذا يتبعه بالضرورة انحسارا أكبر في دور الدولة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية، وفي النهاية لن تحصد هذه الدولة إلا الفقر واتساع الفجوة

بين الأغنياء والفقراء وتوقف التنمية أو تباطؤها ثم يتسرب العنف إلى ثنايا المجتمع وخلاياه.

لذلك فقد تعددت في الآونة الأخيرة انتفاضات الشعوب في أميركا اللاتينية، ومنها انتفاضة شعب بوليفيا التي استمرت ست سنوات وأسقطت الديمقراطية (المستوردة) أو المفروضة من قوى النفط والغاز وحفنة من رجال الأعمال والولايات المتحدة، وأقامت (ديمقراطية أخرى) جاءت بنظام جديد ورئيس جديد ملتزم بتنفيذ طموحات ومطالب غالبية الشعب. وأعتقد أن بعض ما يحدث الآن في بوليفيا يستحق التأمل، ليس لأنه قابل للمحاكاة، ولكن لأنه يؤكد بالدليل القاطع أن في السياسة خيارات كثيرة، فلا سبيل ديمقراطيا واحدا إلى الحكم، ولا حل أوحد لقضايا التحول ومشكلاته. ومازال البحث جاريا عن تعبير في السياسة يصف بالدقة النظام القائم حاليا في بوليفيا. هناك في الولايات المتحدة من يقول إن النظام الحاكم في لاباز جزء من تطور يساري عام يشمل معظم أنحاء القارة، وتختلف تطبيقاته من دولة في أميركا اللاتينية إلى أخرى. سمعت من مفكر أرجنتيني قوله إن في أميركا اللاتينية الآن يتنافس يساران، وكلاهما غير تقليدي، بمعنى أنهما لا يدعيان النسب أو الصلة بالماركسية نظرية أو ممارسات، اليساران ملتزمان بالقواعد الأساسية للديمقراطية الغربية كالانتخابات الدورية للمجالس التشريعية ورئاسة الجمهورية واحترام حقوق الإنسان وسيادة القانون.

واليساران ملتزمان، بطبيعة الحال، بتضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء والعودة بالدولة لتقوم بدورها في حماية المحرومين والمهمشين وثروات البلاد الطبيعية واستعادة السيادة من أنياب ما يطلقون عليه الفك المفترس في إشارة

إلى النيوليبرالية. ولكنهما يفترقان عندما يتعلق الأمر بالتطبيق اليساري والديمقراطي في دولة بعينها. سمعت من خبير يتحدث عن اليسارية في شيلي في ظل المرحلة الانتقالية نحو الديمقراطية إنها لابد أن تكون مختلفة عن تجارب يسارية أخرى لسبب بسيط هو أن للديمقراطية في شيلي تاريخا طويلا، ولأن الأحزاب اليسارية في شيلي احتفظت دائما بعلاقات قوية مع الأحزاب في أوروبا.. وثالثا لأن نسبة السكان الأصليين الذين عاشوا قرونا على هامش المجتمع أقل من نسبتهم في بوليفيا وأقل تأثيراً ورابعاً لأن الفوارق الاجتماعية ليست صارخة وإن كانت في طريق الاتساع.

يقول خبير آخر إن يسارية بوليفيا لابد أن تكون من نوع خاص ولأسباب أيضا كثيرة، أولها أن ظروفا خاصة مثل الجغرافيا والتاريخ والتركيبة السكانية، لم تشجع على قيام أحزاب يسارية قوية، وثانيها أن أكثر من ثلث السكان يتعاملون بالقوانين التقليدية، أي قوانين ما قبل وصول المستعمر الإسباني، ثالثا: كاد يكون عرفا أن الرجل البوليفي الأبيض سليل الاستعمار ظالم ونهاب، وأن البوليفي الهندي الأصل مظلوم وحقوقه ضائعة.

في مثل هذه الأوضاع يقول خبيرنا الثاني، تكون (اليسارية الشعبوية) النظام المناسب، فالأغلبية تنتخب الشخص الذي تجده أقرب إلى تقاليدها وحقوقها ولغتها وطبيعة حياتها، ولن تصوت لأحزاب قياداتها من نخب المدن، أي من وكلاء الشركات الأجنبية ومالكي الأراضي الزراعية، وتزداد شعبية القائد حين يبدأ في الجهر برأيه في قوى التدخل الأجنبي وحين يبدأ في وضع الحلول المناسبة للمشكلات العويصة بالتشاور مع قيادات النقابات والحركات الجماهيرية.

انعكست هذه المقولات أو وجدت ترجمتها في تركيبة الحكومة التي شكلها الرئيس موراليس، ففي الحكومة وزراء كانوا حتى شهور مضت رؤساء منظمات مجتمع مدني، مثل وزيرة العدل ووزراء من أصول هندية مثل وزيرة الخارجية، وقد توقفت أمام سيرة كل من وزيرة العدل ووزير الخارجية وأسلوب إدارتهما العمل.

فالوزيرة كاسيميرا رودريجز Casimira Rodriguez عملت في الخدمة المنزلية. اختطفتها العائلة الأولى عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها، وفرضت عليها نظاما في العمل أقرب إلى العبودية، وبعد سنوات قليلة استطاعت أن تشكل نقابة لخدم المنازل.

تقول في تصريحاتها إن القوانين الغربية المعمول بها في بوليفيا مدونة بصياغات لا يفهمها إلا المحامون، وهؤلاء من البيض أو المتعلمين في دول الغرب ومدارسه، وبالتالي، فإنه يتعين لحماية مصالح الأغلبية العظمى من السكان إقامة نظام قانوني مواز بالاستعانة بخبراء من حكماء الهنود الحمر العارفين بالقوانين الهندية التقليدية، وأغلبها قوانين أقل تعقيدا من القوانين الغربية، وتقول إن هدف موراليس في النهاية وضع نظام قانوني تندمج فيه القوانين التقليدية في النظام القانوني الغربي المعمول به في الدولة.

أما وزير الخارجية فقد أعلن فور توليه منصبه أنه لم يقرأ كتابا في عشرين عاما لأنه وجد الحكمة أعظم في قراءة أوراق شجرة الكوكا.

الملفت للنظر أن كثيرين ممن قابلتهم من جنسيات لاتينية أخرى لم يسخر من قصة وزير بوليفيا الذى لايقرأ سوى ورق الكوكا، ومن وزيرة تستعين بحكمة شيوخ سكان الجبال في وضع القوانين ودستور البلاد، ومن شعب لعله بين الأفقر والأضعف، يتمرد على سلبيات العولمة وعلى الدولة الأقوى في العالم.

تحديات الثورة البيضاء في أميركا اللاتينية

تواجه قيادات الثورة البيضاء في أميركا اللاتينية عدة تحديات اقتصادية واجتماعية داخلية، تقف حجر عثرة أمام استمرار الرضا الشعبي والجماهيري عنهم، تتمثل في:

١-كيفية تطبيق برامجهم السياسية والاقتصادية الثورية ذات التوجهات اليسارية في ظل وجود تحفظ وعدم رضا الإدارة الأميركية عن سياسات هذه القيادات، ناهيك عن ضخامة التركة التى خلفتها النظم السياسية السابقة من تفشٍ للفساد والفقر وتدنى مستوى الخدمات، وضعف البِنَى التحتية لاقتصادات المنطقة.

٢-الحاجة إلى تقليص الفقر لتعزيز معدلات النمو، حيث أشار تقرير للبنك الدولي-صدر في فبراير ٢٠٠٦-بعنوان "مفرغة"- إلى أنه على بلدان أميركا اللاتينية زيادة جهودها في مكافحة الفقر بقوة إذا ما كانت تريد رفع معدلات نموها والمنافسة مع الصين والبلدان الآسيوية الأخرى ذات الاقتصادات النشيطة.

وأكد التقرير أن الأداء الاقتصادي لمنطقة أميركا اللاتينية في العقود الأخيرة كان مخيباً للآمال، حيث إنها مازالت متأخرة عن البلدان الأخرى ذات الاقتصادات النشطة، وإنه من بين الأمور الأخرى، يعتبر الفقر عائقا أمام تحقيق النمو في هذه المنطقة. ويذكر أن نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي في أميركا اللاتينية قد انخفض بنسبة٧, ٠في المائة خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين، وشهد ارتفاعا نسبته ١,٥ في المائة سنويا خلال عقد التسعينيات، إلا أن معدلات الفقر لم يطرأ عليها أي تغير يذكر، حيث يعيش شخص واحد تقريباً من بين كل أربعة أشخاص على أقل من دولارين اثنين في اليوم الواحد.

وينظر هذا التقرير إلى كيفية تأثير الفقر في معدلات النمو، وخلص إلى أن من شأن تخفيض مستويات الفقر بنسبة ١٠٪، مع تساوى العوامل الأخرى، أن يؤدي إلى ارتفاع معدلات النمو الاقتصادي بنسبة واحد في المائة، والعكس صحيح.

ويشير التقرير إلى أن الفقراء، الذين يفتقرون بصفة عامة إلى القدرة على الحصول على الائتمانات والتأمين، لا يستطيعون ممارسة الكثير من الأنشطة المدرة للربح، وهي أنشطة تذكي معدلات الاستثمار والنمو وتدفعها قدما للأمام، إضافة إلى أن المناطق الفقيرة تفتقر إلى البنية الأساسية وعليه، فإنها تخفق في اجتذاب الاستثمارات.

وتقترح هذه الدراسة إدراج بعض الأولويات في أية استراتيجية من استراتيجيات تخفيض الفقر والمساندة للنمو، وتشمل ضرورة تحسين نوعية التعليم وتوسيع نطاق الفرص أمام التلاميذ لبلوغ مرحلتي التعليم الثانوى والجامعي، وتعزيز الاستثمار في البنية الأساسية، وتوسيع نطاق القدرة على الحصول على الائتمانات والخدمات المالية، والحفاظ على استقرار الاقتصاد الكلي، وتنفيذ سياسات اجتماعية فعالة.

٣- ضرورة تعزيز الإنفاق على البنية الأساسية: إذ تحتاج بلدان أميركا اللاتينية إلى تعزيز إنفاقها بشكل كبير على مشروعات البنية الأساسية، حتى لا تتأخر هذه المنطقة عن بلدان مثل الصين، والبلدان الآسيوية الأخرى ذات الاقتصادات النشطة. وجاءت هذه النتيجة ضمن النتائج المحورية التي تضمنها تقرير، صدر عن البنك الدولي في أغسطس٢٠٠٥ بعنوان "البنية الأساسية في بلدان منطقة أميركا اللاتينية والبحر الكاريبي: التطورات الأخيرة والتحديات الرئيسية».

ويذكر هذا التقرير أن الشركات في أميركا اللاتينية تفتقد قدرتها على المنافسة بسبب ضعف بنيتها الأساسية، في ظل الأداء "الباهت" الذي ألقى بتبعات وخيمة على قدرة هذه المنطقة على النمو، وإيجاد فرص العمل، وتخفيف حدة الفقر. وأكد التقرير أن أميركا اللاتينية تخلفت حاليا وراء بلدان مثل الصين وكوريا، ويعزي ذلك جزئيا إلى نقص الاستثمار في مشروعات البنية الأساسية، فعندما لا تكون خدمات البنية الأساسية على المستوى الجيد المطلوب، فإن الفقراء يكونون هم أكثر المتضررين.

وذكر التقرير أن حكومات بلدان منطقة أميركا اللاتينية قد خفضت إنفاقها على مشروعات البنية الأساسية بصورة هائلة في تسعينيات القرن الماضي، مدفوعة إلى حد كبير بالحاجة إلى التقشف المالي، فقد كان من الأسهل للغاية تخفيض الإنفاق على مشروعات البنية الأساسية، بدلا من النفقات الأخرى المتمثلة في الرواتب والمعاشات التقاعدية. وكان يعتقد أن القطاع الخاص سيعوض هذا العجز إلا أن النتائج أتت مخالفة تماما للتوقعات المرجوة.

وقد أشارت بيانات البنك الدولي إلى انخفاض حجم الاستثمار الكلي في مشروعات البنية الأساسية -لكل من القطاعين العام والخاص- من حوالي ٣,٧ في المائة من إجمالي الناتج المحلي في الفترة من ١٩٨٠-١٩٨٥ إلى حوالي ٢,٢ في المائة من إجمالي الناتج المحلي عام ١٩٩٦ . وضاعف من هذه المشكلة أن استثمارات القطاع الخاص لم تستطع تعويض الانهيار في إنفاق القطاع العام على مشروعات البنية الأساسية. ومن هنا، يتمثل الدرس الرئيسي المستفاد في أن لكل من القطاعين الخاص والعام دورا محوريا ينبغي لعبه. وما لم يشترك القطاعان العام والخاص معا، فإن بلدان منطقة أميركا اللاتينية سوف تستمر في التقهقر إلى الوراء.

ويلاحظ أن الرأي العام في هذه المنطقة قد انقلب ضد استثمارات القطاع الخاص إلى الحد الذى أصبح يشكل "عائقا خطيرا" في معظم البلدان. لذا، فإن استعادة كسب الرأي العام قد تعتبر من أكثر التحديات صعوبة وإلحاحا أمام مشاركة القطاع الخاص في هذه المنطقة حاليا.

وأخيرا، يدعو التقرير حكومات بلدان المنطقة إلى زيادة الإنفاق على مشروعات البنية الأساسية، بحيث يصل إلى٤أو ٦٪ من إجمالي الناتج المحلى سنويا، حتى يتسنى للبنية الأساسية في بلدان منطقة أميركا اللاتينية أن تلحق بركب البلدان التي كانت في يوم من الأيام تلهث خلفها، مثل كوريا والصين، أو على الأقل تجاريها. غير أن المعضلة أمام قيادات الثورة البيضاء أن مثل هذا التمويل لا يمكن أن يتأتى من القطاع العام فقط. لذا، تحتاج الحكومات إلى تعزيز مواردها بشكل أفضل لتتمكن من استقطاب تمويل واستثمارات القطاع الخاص الذي سيتطلب أُطُر عمل أكثر قوة من النواحى القانونية والتنظيمية والمؤسسية، ومزيدا من الشفافية في هياكل التمويل التعاقدية والمبتكرة، حتى تقل جوانب المخاطرة في المشروعات، وتتحسن عائدات المستثمرين.

لذا، يراهن العديد من المراقبين على أن التحديات الاقتصادية والتنموية السابقة ستفرض على قيادات هذه الثورة تخفيف لهجة العداء للولايات المتحدة التي تتمتع بقدرة فائقة على استخدام المنظمات الدولية المعنية بالتنمية في تنفيذ سياساتها الخارجية مع عدد من الدول. وبالطبع، ستكون منطقة أميركا اللاتينية إحدى أهم المناطق التى تلجأ الولايات المتحدة لاستخدام البرامج التمويلية لهذه المنظمات في تهذيب سلوك القيادات الثورية الجديدة في تعاملها مع دولة كبرى بثقل الولايات المتحدة.

الفصل الثاني

الثورة البوليفارية الجديدة

تعتبر فنزويلا سابع أكبر دولة في أمريكا اللاتينية وتغطي مساحتها ٩١٢,٥ كيلومتر مربع ويبلغ عدد سكانها عام ٢٠٠٠ ما يقدر ب٢٤,٢ مليون نسمة، وتملك أكبر اقتصاد في تجمع الإنديز كما تتمتع بأعلى نصيب للفرد من الناتج القومي الإجمالي في أمريكا اللاتينية. ويري أغلب الشعب أن هذا التناقض بين ما تملكه فنزويلا من ثروة وما يعيشه الشعب من فقر هو نتيجة للطبقة السياسية الفاسدة وتابعيها من رجال الأعمال الذين سرقوا ثروات الدولة الذين وصفهم شافيز ذات مرة بأنهم يقيمون في شاليهات فخمة حيث ينظمون حفلات دعارة ويشربون الويسكي لكن معالجة هذا الوضع الشاذ لم يمض سهلا بل كان طريقه ممهداً بالتضحيات والدماء.

الثورة البوليفارية" الموجودة بالسلطة منذ ١٩٩٨ مجهولة بقدر ما هي موضوع جدال. عندما وصل هوجو تشافيز إلى رئاسة الجمهورية في ١٩٩٨، تسلم مقاليد بلد ودولة ناقصي التسيس بشكل عميق، ومصابين بالفساد المالي والإداري على نحو خطير. الديمقراطية التي أقيمت عام ١٩٥٨ صادرتها نخب الأحزاب المتحالفة لمصلحة بعض الشبكات التجارية التي تتقاسم ثمار السلطة في أول منتج-مصدر للبترول. جرى انتخاب تشافيز على قاعدة رفض هذا النظام القديم أكثر مما انتخب بناء على مشروع سياسي صلب تحمله قوى اجتماعية منظمة قد تكون سندا له على رغم وجود جماهير عريضة مناصرة له. لذا فإن الاعتدال واجب عند الحكم، لاسيما أن السيرورة السياسية الجارية بفنزويلا مجددة كليا وغير مسبوقة. لنقل ذلك من الوهلة الأولى: ليس في فنزويلا ثورة اشتراكية يقودها هوجو شافيز، لكن إذا قصدنا ب" ثورة" التغير الجذري للعقلية السياسية وتنظيمها والوعي الجماهيري وأن السلطة للشعب، فإن هذه الثورة

سائرة. إذا قصدنا بالثورة سيرورة مديدة، تولد قبل إنجازاتها الملموسة، فقد بدأت الثورة الفنزويلية في سنوات ١٩٥٠ ضد ديكتاتورية ماركوس بيريز جيمنيز، وتوجد اليوم على أبواب السلطة مع تشافيز ناطقا باسمها. واستعارة لفكرة غالبا ما يثيرها أنصار الرئيس، تمثل "الثورة البوليفارية" نوعا من الثورة الفرنسية، بما هي مرحلة لا غنى عنها لتطهير البلد وإعداده لسيرورات جذرية أكثر مستقبلا.

لننظر كيف تولد وتموت"الديمقراطية التمثيلية" بتهميش قوى اليسار الثوري، وكيف قررت استثمار بعض من قواها في عمل سياسي داخلي في الجيش، قبل محاولة وصف الواقع المعقد "للثورة البوليفارية"، كمرحلة من "الديمقراطية بالمشاركة"، متعددة الأعراق والثقافات "كما جاء في مقدمة" دستور الجمهورية البوليفارية لفنزويلا".

حلف معاد للتقدم

غالبا ما قدم المحللون تاريخ فنزويلا المعاصر بما هو استثناء على صعيد أمريكا اللاتينية: بلد استقرت به بنجاح ديمقراطية تمثيلية وليبرالية، بينما بقية القارة خاضعة للتوتر السياسي لديكتاتوريات عسكرية وتطور مجموعات حرب الغوار.لكن الواقع أشد تعقيدا.

ولدت الديمقراطية التمثيلية بفنزويلا يوم ٢٣ يناير ١٩٥٨ ، مع إطاحة ديكتاتورية ماركوس بيريز جيمنيز إثر انتفاضة شعبية مصحوبة بعصيان عسكري. في الجانب المدني، كان الحزب الشيوعي الفنزويلي أنشط الأحزاب في الانتفاضة، فقد قاد "الجماعة الوطنية" أي تحالف كل الأحزاب المعارضة

للديكتاتورية: العمل الديمقراطي وCOPEI و URD والحزب الشيوعي الفنزويلي. يقول بعض المؤرخين إن الطبقات الأكثر حظوة آنذاك، المتحالفة مع الولايات المتحدة الأمريكية، كانت ذات مصلحة في إطاحة الديكتاتورية التي لا تستجيب بالكامل لمصالحها.

كانت فنزويلا في تلك الحقبة أول منتج عالمي للبترول، كانت المزود الرئيس بالبترول والمواد الأولية اللازمة للانتشار العسكري الأميركي للتدخل في أوربا خلال الحرب العالمية الثانية. كان مجموع صناعة البترول بيد الشركات الغربية لاسيما الانجلوساكسونية. جاء سقوط الدكتاتورية بنظام سياسي جديد استقر بشكل نهائي مع انتخاب رومولو بوتانكور Romulo Betancourt قائد حزب العمل الديمقراطي بالمنفى. ساند الحزب الشيوعي الفنزويلي ترشيح Wolf-gang Larrazabal، الذي كان رئيسا بين ٢٣ يناير ١٩٥٨ وانتخاب بوتانكور في يناير ١٩٥٩ . تزود النظام الجديد بدستور عام ١٩٦١ ، بعد أن تكرس عام ١٩٥٨ بتحالف الأحزاب الرئيسة الثلاث .(AD, COPEI, URD) قرر هذا التحالف تهميش الحزب الشيوعي الفنزويلي بواسطة ميثاق بونتو فيخو Punto Fijo. يتعلق الأمر بنوع من الحكم المشترك بين الأحزاب الثلاثة التي قررت، بمبرر حماية الديمقراطية الناشئة، تقاسم السلطة كيفما كانت نتائج الانتخابات. وبموازاة ذلك وقع الاتحاد النقابي الرئيسي، كونفدرالية عمال فنزويلا، بقيادة حزب العمل الديمقراطي والمستجيبة مباشرة لمصالحه، اتفاقا مع أرباب العمل يقضي بعدم المساس بالاتفاقات الجماعية الموروثة عن الديكتاتورية. على هذا النحو غدا النموذج ناجزا، تتقاسم الأحزاب الثلاث السلطة ويهمش العمال بما هم فاعل سياسي بالسطو على الاتحاد النقابي ويستبعد اليسار.

سينهار ميثاق بونتو فيخو نهائيا مع فوز تشافيز عام ١٩٩٨، مستفيدا آنذاك من دعم شعبي كبير في معارضته لهذا النظام الذي يسميه علماء السياسة بفنزويلا "نظام شعبوي لتوفيق النخب".

موازاة لإرساء هذا النموذج لم يبق اليسار مكتوف الأيدي. كانت أشهر النظم الأولى مهتزة بمطالب العمال والطلاب واليسار الثوري بوجه عام، ومنه الحزب الشيوعي الفنزويلي. وسرعان ما اعتبر فوز بوتانكور عام ١٩٥٨ خيانة. فقد انتخب بناء على برنامج وصورة يساريين (كان عضوا بالحزب الشيوعي لكوستاريكا في سنوات ١٩٣٠، وشارك بحكومة يسارية بين ١٩٤٥ و١٩٤٨، وأكد هذه الهوية السياسية خلال منفاه)، لكن سياسته انقلبت لصالح الطبقات السائدة باقتناع أن أي حكومة تقيم قطيعة لن تصمد بوجه الإمبريالية الأمريكية.

وجاءت الثورة الكوبية عام ١٩٥٩ لتكذب هذا الحكم على نحو قاطع. وساعدت على تجذر قطاعات يسارية داخل الحزب الحاكم، حزب العمل الديمقراطي، وأعادت الحزب الشيوعي إلى السكة، وأدخلت الصراع الإقليمي بين "الثورة الديمقراطية" الفنزويلية المتعقلة بمباركة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة والثورة الكوبية موضوع السخرية.

كان قمع حكومة بوتناكور لقطاعات من اليسار قد أجبر على نحو ما اليسار الثوري على الحياد عن الطريق الشرعي. كان الحزب الشيوعي أول من قرر النضال المسلح ، وتبعته عام ١٩٦١ حركة اليسار الثوري MIR، المنشقة يسارا عن حزب العمل الديمقراطي بقيادة قطاع شبابه المتأثر بالماركسية الثورية خلال سنوات العمل السري.

انشغل قطاع داخل الحزب الشيوعي بالعمل العسكري بقيادة برافو دوغلاس. وقد انضم إليه عام ١٩٥٩ زهاء ١٨٩٠ ضابطا منظمين في جبهة عسكرية. وستقوم تلك الجبهة بمحاولة إطاحة نظام حزب العمل الديمقراطي عام ١٩٦٢ بمحاولتي انقلاب عسكريتين نظمهما الحزب الشيوعي. يمثل بروز شافيز على الساحة السياسية عام ١٩٩٢ نتيجة لإستراتيجية قوى اليسار داخل جيش مكونة أغلبيته من عناصر ذات أصول شعبية تتلقى قسما من تكوينها في الجامعات العمومية، مما يجعلها قابلة للتأثر بالفكر الماركسي والتقدمي الذي ينشره بعض الجامعيين والمناضلين الثوريين. يمكن إذن الحديث عن سيرورة ثورية بدأت في نهاية سنوات ١٩٥٠ لتجد في انتخاب تشافيز فوزا صغيرا أولا.

الالتزام السري لهوجو شافيز

دخل هوجو شافيز، العسكري الشاب في طور التكوين، الحركة السرية في نهاية سنوات ١٩٧٠، بعد استقطابه من طرف أخيه ادان شافيز ، المكلف حاليا بالإصلاح الزراعي بفنزويلا ، والذي كان آنذاك مناضلا بحزب الثورة الفنزويلية .(PRV)

حزب الثورة الفنزويلية متحدر من حرب الغوار، وقد تزود عام ١٩٦٢ بجبهة تحرير وطني وقوات مسلحة للتحرير الوطني بتأثير من اليسار الفنزويلي. عندما دعا الحزب الشيوعي مناضليه عام ١٩٦٥ الى وقف النضال المسلح، رفض دوغلاس برافو. وتحولت جبهة التحرير الوطني-القوات المسلحة للتحرير الوطني الى القوات المسلحة للتحرير الوطني-حزب الثورة الفنزويلية. وعام ١٩٦٩ قبلت غالبية المقاتلين عفو الرئيس كالديرا Caldera. وحافظت مجموعة

دوغلاس برافو على رودريغيز- هو اليوم مدير شركة البترول الوطنيةPDVSA على حزب الثورة الفنزويلية في حرب الغوار واستأنفت عملا سريا داخل الجيش. نشير إلى ان الحزب الشيوعي الفنزويلي، والقوات المسلحة للتحرير الوطني، وفيما بعد حزب الثورة الفنزويلية، تبنوا على حد سواء برنامجا سياسيا معاديا للإقطاعية وللإمبريالية، بمنظور متعدد الطبقات. وقد منح هذا البرنامج البرجوازية الوطنية مكانتها في مشروع النظام الثوري.

بنى شافيز داخل القوات المسلحة ما سيغدو لاحقا الحركة البوليفارية الثورية MBR-200، التي ستصبح أداة الانتفاضة المدنية-العسكرية ليوم ٤فبراير ١٩٩٢ . كانت هذه الانتفاضة، المعروفة أكثر ك "انقلاب"، ردا من الحركة البوليفارية الثورية على قمع عصيان ٢٧ فبراير١٩٩٨ الشعبي (كاراكازو)، الذي كان حركة عفوية للجماهير المقصية في فنزويلا ضد جملة إجراءات نيوليبرالية وضعها كارلوس اندريس بيريز . اسقطت قوات الأمن ٣٠٠٠ قتيل على الرصيف.

في الرابع من شباط (فبراير) ١٩٩٢ وقف الضابط الفنزويلي الأسمر المقدم هوجو شافيز أمام عدسات الكاميرات، ليعلن فشل الانقلاب الذي قاده، ويدعو مؤيديه لإلقاء السلاح حقنا للدماء، لم يكن خطاب استسلام، بل خطاب تحد، أكد فيه أن التحرك مستمر من أجل إسقاط الطغمة اليمينية الحاكمة، ما جعل السلطات الفنزويلية آنذاك تندم على طلبها منه توجيه هذا النداء. وبعد ثلاث سنوات ونصف سنة قضاها فى السجن، خرج شافيز ليبدأ تحضير نفسه لسباق الرئاسة سنة ١٩٩٨، وبالفعل استطاع أن يحقق النصر على ثلاثة عشر منافساً، حاصداً ٥٤ في المئة من أصوات الناخبين، بكسبه أصوات أبناء الطبقات الفقيرة والمهمشة، الذين يشكلون ٨٠ في المئة من شعب بلد غني بالنفط والحديد والذهب

والألومنيوم، وجرى ذلك بعد أحد عشر عاماً من قمع السلطات الفنزويلية للتحركات الجماهيرية احتجاجاً على الفقر والبطالة والغلاء والنهب المنظم وسطوة الاحتكارات الأجنبية، والتي سقط فيها ثلاثة آلاف قتيل وآلاف الجرحى من ساكني أحياء كاراكاس الفقيرة، وكانت الدافع وراء انقلاب ١٩٩٢ الذي رفع شعاريْ السيادة الوطنية والعدالة الاجتماعية.

إنها دراما أميركية لاتينية بامتياز، أوصلت شافيز إلى رئاسة فنزويلا، ومن بعده العامل البسيط لولا داسيلفا إلى رئاسة بوليفيا، وتكرر المشهد في بوليفيا ونيكارجوا دراما تؤشر إلى تحولات عميقة تعيشها المجتمعات الأميركية اللاتينية، بتوجه واسع نحو اليسار، طال أيضاً كلا من الأرجنتين والسلفادور وشيلي والمكسيك والعديد من الدول الأخرى، وهو ما بات يبعث خوفا حقيقيّاً عند أركان إدارة الرئيس جورج بوش الابن، الذي طالما تعامل أسلافه مع دول أميركا اللاتينية كمجرد حديقة خلفية للبيت الأبيض، لا يمكن أن تشب عن طوق بيت الطاعة الأميركي.

قبل الدخول في خصوصية الظاهرة الشافيزية من الضروري الإشارة إلى أن دول أميركا اللاتينية مرشحة موضوعيا لاستمرار تنامي حركات قوى اليسار بحكم عاملين رئيسيين: العامل الأول، أن شعوب هذه الدول متحررة من عقدة الموروث السلفي، كونها حديثة التكوين نسبيا، والعامل الثاني، بحكم ظروف نشأتها وتكوينها لم تعرف المجتمعات الأميركية اللاتينية صراعات من منطلقات إثنية أو دينية أو مذهبية، بل عرفت صراعا تحررياً واجتماعياً طبقيّاً، وهذا صب في صالح الحركات الديمقراطية واليسارية، يضاف إلى ذلك ارتباط القوى اليمينية الأميركية اللاتينية بالطغمة المالية في الولايات المتحدة، المسؤولة تاريخيّاً عن إفقار شعوب هذه الدول بالنهب المستمر والمنظم، ودعم أنظمة الحكم

الديكتاتورية العسكرية، المتهمة بالفساد وارتكاب مذابح مروعة. مع ملاحظة أنه رغم كل عهود القمع والديكتاتورية التي مرت بها غالبية دول أميركا اللاتينية، إلا أن دساتير هذه الدول حافظت على قواعد فصل الدين عن الدولة، وعلى هامش ديموقراطي واسع، شكل سلاحاً ماضياً في النضال ضد الديكتاتوريات العسكرية.

مهما اختلف الناس بشأن شافيز، فهم لا يختلفون حول أمرين: الشخصية الكارزمية التي يتمتع بها ونزعته الاشتراكية الواضحة. ومن ثم فلا غرابة في كون كل متاعب الرجل ومتاعب الناس معه تأتي من هذين المصدرين: طموحه إلى الزعامة والتزامه الإصلاحي. فبقدر ما تمثل سياساته خطرا بالنسبة لمراكز قوى تقليدية عديدة داخلية وخارجية، يضر ميله المفرط إلى الحضور الشخصي بصورته كمصلح اجتماعي وكرجل دولة متميز.

هوجو شافيز المولود في ٢٨ يوليو ١٩٥٤ بسابيناتا في ولاية بارينـاس في الجنوب الغربي لفنزويلا نشأ في أسرة متواضعة ،التحق شافيز وهو ابن ١٨ عاما بالقوات المسلحة حيث تخرج عام ١٩٧٥ ضابطا في سلاح الطيران، كما توسع في دراسة التاريخ والعلاقات الاجتماعية.

وقام شافيز بمحاولة انقلاب في ٤ فبراير ١٩٩٢ ضد الرئيس الفنزويلي كارلوس أندريه بيريز فنجح أولا في السيطرة علي جميع البلاد ما عدا العاصمة كراكاس، إلا أنه قبض عليه وأدخل السجن، وبعد سنتين تمت تنحية الرئيس آندريه بيريز وتولي رافائيل كالديرا السلطة مكانه فخرج شافيز من السجن. وأسس مع بعض أصدقائه الضباط حركة سرية أطلقوا عليها اسم سيمون بوليفار تيمنا باسم الزعيم الأمريكي الجنوبي الذي كان من أبرز مقاومي الاستعمار الإسباني في القرن التاسع عشر.

وفي عام ١٩٩٧ أسس شافيز حزبا باسم حركة الجمهورية الخامسة وحظى بمساندة اليساريين والطبقات الفقيرة. وأعلن عن برنامج يركز على مقاومة الفقر والرشوة فحصل علي نسبة ٥٦ ٪ في انتخابات ديسمبر ١٩٩٨ وبفوز شافيز في الانتخابات أعلن أن فترة ١٩٥٨× ١٩٩٨ هي فترة الثورة الرابعة وأعلن عام ١٩٩٩ بدء الثورة الخامسة، ثورة بوليفار، نتيجة استلهام معظم أفكاره الإصلاحية من أفكار بوليفار، وقد تضمن هذا البرنامج العديد من الإصلاحات الهامة، كان من أهمها تغيير اسم الدولة وسن قانون جديد لزيادة فترة الرئاسة إلي ست سنوات، مع إمكانية إجراء انتخابات فورية يتم فيها الاتصال مباشرة بين الرئيس والشعب.

الثورة السياسية

سيفوز تشافيز تباعا بعمليات انتخابية متعددة. كانت الأولى في ديسمبر ١٩٩٨ ضد كافة الأحزاب القائمة تقريبا. قرر حزب PPT، بضغط من قاعدته وضد إرادة قائده الرئيس آنذاك بابلو ميدينا Pablo Medina، مساندة تشافيز. كما ساندته الحركة صوب الاشتراكية MAS، وهي من دعائم آخر حكومة يمينية Caldera (1993-1998)، مما أدى إلى انسحاب أهم قادته، وعارضته كل القوى السياسية الأخرى. لكنه فاز مع ذلك بالانتخابات بنسبة ٥٥٪ من الأصوات بعد حملة عن كثب لم يشهد الفنزويليون مثيلا لها أبدا.

يتمثل مشروع تشافيز السياسي الكبير في إجراء إصلاح دستوري تحت شعار: "كل السلطة للشعب". اقتضى تحقيقه التصويت على مجلس تأسيسي باستفتاء. حصل أنصار تشافيز في انتخاب هذا المجلس على ٩٠٪ من المقاعد. وكتب

الدستور الجديد في أقل من سنة وصادقت عليه أغلبية الهيئة الانتخابية قبل تجديد كامل الانتدابات الانتخابية في سنة ٢٠٠٠ . حصل شافيز آنذاك على أصوات تفوق ما حصل عليه عند انتخابه في ديسمبر ١٩٩٨ .

تضمن "الدستور البوليفاري" لجمهورية فنزويلا البوليفارية إجراءات مجددة حقيقة في مجالات عدة. استبدل مفهوم دولة القانون بدولة القانون والعدالة، وأدخل مفهوم الديمقراطية بالمشاركة. وأصبح المنتخبون قابلين للعزل. وأدخل مفهوم التعاونية العمالية وكذا مفهوم التسيير الذاتي. واعترف بحقوق السكان الأهالي بما فيها حق تملك الأرض وتسييرها وفق تقاليد أسلاف الشعوب القبكولومبية (شعوب أمريكا قبل كرستوفر كولومبس). وجرى تحديث الدستور. وتأطر مبدأ حماية البيئة بمقتضيات دستورية عديدة.

وأزيح البترول، بما هو مادة اولية، من مجال إمكان الخصخصة. ومنع وجود قوات أجنبية على تراب البلد. وجاء مبدأ التضامن والاندماج الأمريكي-لاتيني في مكانة جيدة.

وأعلن شافيز عن مناهضة العولمة، وعن ضرورة وجود عدة محاور وأقطاب في العالم، في خطاب سياسي مُعادٍ لأمريكا. كما قام بإصلاحات اقتصادية هامة من أبرزها توزيع الأراضي على الفقراء بعد أن كانت في أيدي زمرة قليلة من المواطنين وقد مر الرئيس شافيز منذ انتخابه رئيسا لفنزويلا بالعديد من الامتحانات الصعبة، أخطرها انقلاب ١١ نيسان (ابريل) ٢٠٠٢، الذي استمر لمدة ٤٨ ساعة، وأسقطته الجماهير الشعبية الفنزويلية، التي حاصرت الانقلابيين في القصر الرئاسي ومعسكرات الجيش ومنعتهم من التحرك، وأعادت شافيز إلى سدة الرئاسة.

عاد شافيز إلى القصر الرئاسي وأدى اليمين الدستورية كرئيس لفنزويلا، وتسلم مقاليد الحكم من نائبه كابيللو في يوم ١٣ إبريل، وعقب عودته للحكم وجه شافيز نداء إلى الشعب دعاه فيه إلى الوحدة، وأعلن بدء حوار وطني بين الكنيسة والمسئولين والنقابات والأحزاب السياسية ومدراء وسائل الإعلام الخاصة، وأكد في الوقت نفسه أنه لن يكون هناك أي نوع من الانتقام أو المطاردة للأشرار.

كما جرت في عهد شافيز خمسة انتخابات واستفتاءات حاسمة بحضور مراقبين دوليين من الاتحاد الأوروبي، ومؤسسة كارتر الأميركية. فبعد انتخابه أجرى شافيز في فبراير ١٩٩٩ استفتاء على تغير الدستور، نجح بنسبة ٦٨ في المئة، بعدها بستة أشهر تم انتخاب جمعية تأسيسية أكملت صوغ الدستور الجديد، وتم طرحه على الاستفتاء وفاز بما نسبته ٨٠ في المئة، وبعدها ألغى كل السلطات المحلية المنتخبة، ليعاد انتخابها على أساس الدستور الجديد، وفي العام ٢٠٠٠ دعا إلى انتخابات رئاسية مبكرة، وفاز فيها بأكثر من ٦٠ في المئة، لكن أحزاب اليمين لم تعترف بنتيجة هذه الانتخابات على رغم تقارير المراقبين الدوليين الذين أشادوا بنزاهتها، وفي العام ٢٠٠٣ وحسب ما ينص عليه الدستور قام تحالف اليمين بتجميع ما يلزم من الأصوات بغية إسقاط شافيز من خلال الاستفتاء على استكماله لولايته الرئاسية، وعلى رغم الشكوك التي حامت حول صحة التوقيعات، قبل شافيز إجراء الاستفتاء، وتم في الخامس عشر من آب (أغسطس) ٢٠٠٤، وفاز فيه تشافيز بـ ٥٦ في المئة، ومرة ثانية لم تسلم غالبية تيار اليمين بالخسارة، على رغم الشهادات الدولية بنزاهة عمليات الاقتراع. فكان أن أعلن الإضراب الكبير في قطاع النفط، ونتجت عن ذلك خسارة فاقت العشرة

بلايين دولار أميركي، لكن شافيز لم يضيع الوقت، وانتهز الفرصة، وقام بإحضار خبراء من الجزائر والهند، أعادوا تشغيل القطاع النفطي، وأصدر قراراً بفصل كل العمال والتقنيين الذين رفضوا العودة إلى العمل. وهكذا استطاع عمليا وضع يد الدولة على قطاع النفط، بعد أن كانت الحكومة الفنزويلية لسنوات طويلة لا تعرف بدقة الكميات المصدرة من النفط ولا العائدات أو الأرباح. وترافق ذلك مع الطفرة العالمية في أسعار النفط، وهو ما عاد على الخزينة الفنزويلية بموارد ضخمة. استطاعت أن توظفها في برنامجها الاقتصادي والاجتماعي، لإعادة هيكلة الاقتصاد وإصلاح القطاع العام وإعادة بناء القوات المسلحة وأجهزة الأمن، ودعم قطاعي التعليم والصحة والبحث العلمي والضمان الاجتماعي.

الفصل الثالث

المعارضة الفنزويلية

جاء شافيز إلى سدة السلطة والحكم في فنزويلا حاملاً في ثنايا نظامه بعض القوى المعارضة، خصوصاً الأحزاب التقليدية التي ظلت تحكم البلاد طيلة أربعة عقود أو يزيد من خلال القمع والفساد، والتي كونت بعد خروجها من السلطة ما يعرف بـ " الائتلاف المنسق الديمقراطي" الذي يضم جميع القوى السياسية والحزبية المعارضة التي تشمل أرباب العمل، ورجال الأعمال، والكنيسة التي ترتبط بالحزب الديمقراطي المسيحي والإعلام المستقل، وقطاعاً من المؤسسة العسكرية، واتحاد العمال الموالي للأحزاب التقليدية المعارضة حالياً، والذي أجهز عليه شافيز واستبدله بما يسمى جبهة العمال البوليفارية التي يتم اختيار أعضائها بالانتخاب الحر، وأطاح بكل الامتيازات التي كان يتمتع بها أعضاء اتحاد العمال الذي كان قائماً خلال حكم الأحزاب التقليدية. ويتزعم المعارضة الفنزويلية حالياً كارلوس فرنانديس المتحالف مع زعيم نقابة العمال كارلوس أورتيجا.

ولم يكن أعضاء اتحاد العمال هم فقط الناقمون على شافيز وسياساته، وإنما شاطرهم هذا الموقف رجال الأعمال وأثرياء فنزويلا الذين شرع شافيز في اقتطاع بعض مزاياهم بسبب سياساته الإصلاحية وثورته البوليفارية التي أفضت إلى رفع الضرائب والرسوم على نشاطات هذه الفئات من أجل تمويل إصلاحاته الاجتماعية الطموحة، كما أوقف عمليات خصخصة قطاع النفط الفنزويلي، الأمر الذي دفع المعارضة إلى اتهامه بتبني سياسات اشتراكية متطرفة من شأنها أن تهز وحدة البلاد واستقرارها بسبب نزوعها نحو خلخلة الوضع الطبقي والاجتماعي بها. وما إن شعرت المعارضة بأن شافيز يحاول بناء قاعدة اجتماعية صلبة يستمد منها شرعيته على أنقاض امتيازات أثرياء فنزويلا، حتى بدأت في تبني سياسات مضادة بهدف الإطاحة به وإجهاض ثورته البوليفارية التي سلبتهم أراضيهم وثرواتهم لمصلحة تعليم الفقراء

وعلاجهم وتوظيفهم ليكونوا ظهر شافيز الاجتماعي السياسي مستقبلاً في مواجهة المعارضة المخملية المدعومة خارجياً.

ومنذ عام ١٩٩٨ ومحاولات إثارة غضب الداخل والخارج على شافيز لا تتوقف حتى جاء عام٢٠٠٢ ليشهد انقلاباً عسكرياً عارماً ضد شافيز ونظامه، نظمته بعض الأوساط العسكرية والمالية والنقابية بمباركة الكنيسة التي صبت جام غضبها على شافيز جراء سياساته الاشتراكية القائمة على أفكار سيمون بوليفار، ورغم نفي واشنطن تورطها في هذا الانقلاب، إلا أن الشبهات لم تبارحها حتى الآن، ولم يفلح قادة الانقلاب في نيل مرادهم والإطاحة بشافيز سوى لمدة ٤٨ ساعة فقط، حيث أعلن المدعي العام الفنزويلي أن تغيير الرئيس شافيز بهذا الأسلوب غير دستوري، إذ لم يقبل البرلمان استقالته التي اضطر لتقديمها، كما خرجت مظاهرات حاشدة بشوارع العاصمة وسائر المدن الفنزويلية منددة بالانقلاب ومطالبة بعودة الرئيس شافيز، فضلاً عن ذلك قام ١٩ رئيس دولة فى أميركا اللاتينية المعروفة بـ " مجموعة ريو" بالإعلان عن رفضهم للانقلاب العسكري ضد شافيز، باعتباره عملاً غير ديمقراطي، ودعوا إلى عودة شافيز إلى السلطة باعتباره الرئيس الشرعي المنتخب للبلاد، ورفضوا الاعتراف بالحكومة الجديدة التي ترأسها بيدرو كارمونا.

وقالت مصادر إعلامية أنه رغم أن شافيز قد اضطر إلى الإفراج عن مدبري الانقلاب، بمن فيهم كارمونا، ووقف التحقيق في تورط واشنطن في الانقلاب في مقابل تخفيف واشنطن لتدخلاتها في شؤون فنزويلا وتراجعها عن دعم المعارضة الفنزويلية، إلا أن إصراره على المضي قدماً في ثورته البوليفارية قد دفع المعارضة إلى تحري أسلوب آخر للإطاحة به وهو خلق مناخ عام من الفوضى والاضطرابات في الداخل، حتى تصبح الطرق معبدة لفشل شافيز أمام مؤيديه وأمام العالم في

الاضطلاع بأمور الحكم في البلاد، ومن ثم تسهل الإطاحة به، وذلك على غرار ما جرى في تشيلي أوائل السبعينيات من القرن المنصرم، حيث انتهى الأمر بانقلاب عسكري أطاح بسلفادور الليندي وجاء بالجنرال بينو شيه بمباركة من هنري كيسنجر وزير خارجية أميركا ١٩٧٣.

ولم يمض يوم حتى تندلع التظاهرات المنددة بشافيز وسياساته، وكانت وسائل الإعلام الخاصة الموالية لقوى المعارضة تشن حملات دعائية معادية لشافيز مطالبة إياه بالاستقالة، حتى جاء إضراب عام٢٠٠٣ ليشمل كافة قطاعات الدولة بما فيها قطاع النفط الحيوي الذي كان يسيطر عليه قيادات تنتمي للأحزاب الحاكمة في الماضي، وما إن اشتدت وطأة الإضراب، حتى بدأت الخسائر الاقتصادية تتداعى على نظام شافيز بعد أن هددت شركات الطيران العالمية بتجميد رحلاتها إلى كراكاس جراء انقطاع التدفق النفطي الفنزويلي إلى السوق العالمية، فضلاً عن تعرض البلاد لغرامات مالية هائلة بسبب تأخر توريدها للنفط، إلى جانب اضطراب الأوضاع في الداخل مخافة الانهيار الاقتصادي، حيث نجح معارضو شافيز في استغلال سلاح النفط الذي يرتكن إليه في ثورته البوليفارية من أجل الإطاحة به عبر إثارة العالم ضده، حتى يبدو وكأنه عاجز عن الحفاظ على تدفق حصة بلاده النفطية للسوق الدولية للحفاظ على استقرارها وكما يبدو أن الإطاحة بشافيز قد أضحت مطلباً دولياً وليس محلياً فقط.

غير أن شافيز تمكن من امتصاص هذه الضربة بصلابة وقام باتخاذ بعض الإجراءات التي من شأنها أن تحد من مخاطر هذا الإضراب، فإذا به يعين علي رودريفرالأمين العام السابق لأوبك رئيساً لشركة النفط الحكومية الفنزويلية، مما مثل صفعة قوية للمعارضة التي كان ذراعها يمتد للسيطرة على هذه الشركة، كما أمر

شافيز الجيش بالاستيلاء على ناقلات النفط المشاركة في الإضراب، واعتقال العناصر المحركة للإضراب داخل القطاع النفطي. وحتى يستعيض عن عمال النفط المضربين بغيرهم، ناشد دول أوبك إمداده بالخبراء والفنيين اللازمين لمواصلة عملية إنتاج وضخ النفط الفنزويلي إلى السوق العالمية في أسرع وقت ممكن، حتى يفوّت الفرصة على معارضيه ويستعيد زمام المبادرة ويتحكم في عامل النفط الذى يعد محور الارتكاز الأساسي ومركز القوة والنفوذ الرئيسي في لعبة السياسة والحكم في بلد يعد خامس أكبر منتج للنفط في العالم، واقتصاده يعتمد بشكل أساسي ورئيسي على النفط.

وبعد أن فشل الانقلاب، وعجز الإضراب عن الإطاحة بشافيز الذي تمكن في كلتا الحالتين من أن يخرج منتصراً سياسياً وإن عانى اقتصادياً، لم يكن أمام المعارضة سوى البحث عن سبل أكثر شرعية ودستورية من أجل التخلص من شافيز، فكان إصرارها على إجراء انتخابات رئاسية مبكرة قبل انتهاء ولاية شافيز في عام ٢٠٠٦، وطرحت المعارضة هذا المطلب كشرط لإنهاء الإضراب العام، وهو ما رفضته الحكومة بشدة حتى جاءت فكرة إجراء استفتاء شعبي عام على بقاء شافيز في السلطة، وهى فكرة أخذت المعارضة تحضر لها منذ عام تقريباً، حتى أنها نجحت في الحصول على موافقة زهاء مليوني مؤيد لها، ورغم كونها عُرفاً مفتعلاً ودخيلاً على السياسة الفنزويلية حيث لم ينص دستور البلاد على مثل هذا الإجراء فيما يتصل بمنصب الرئيس، فقد قبل شافيز بالفكرة، وتم إجراء الاستفتاء في يوم ١٥ أغسطس الماضي، تحت إشراف لجان مراقبة دولية من منظمة الدول الأميركية ومعهد كارتر.

يوميات الاستفتاء

واجه الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز شعبه في استفتاء ظن معارضوه أن يجبره على التنحي عن السلطة. وزاد الاستفتاء من حالة القلق التي تنتاب الأسواق العالمية حول الاستقرار في هذه الدولة الغنية بالنفط. ولتحقيق هدفها بإزاحة شافيز في الاستفتاء، يتعين على المعارضة الحصول على غالبية الأصوات وأكثر من ٣,٧٥ مليون صوت حصل عليها الرئيس في انتخابات عام ٢٠٠٠ . وعشية إجراء الاستفتاء، قال شافيز مبتهجا: «سيكون نصرنا هائلا». لكن خصمه، انريكي ميندوزا، محافظ ولاية ميريندا، أعرب عن ثقته في أن شافيز «يسير في اتجاه باب الخروج». وقال:«أنا واثق من أن التغير الإيجابي سينتصر». ويتزعم ميندوزا «التنسيق الديمقراطي» وهو تحالف يضم الأحزاب اليسارية واليمينية وجماعات أخرى توحدت كلها في معارضتها لشافيز. من جانبه، توقع الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر أن يكون الاستفتاء «نزيها وعادلا وشفافا». وقال مازحا إن نتائج الاستفتاء «ستكون أفضل من نتائج التصويت في ولاية فلوريدا الاميركية خلال فترة الانتخابات الرئاسية الأميركية عام ٢٠٠٠»، عندما حدث جدل قانوني وأعيدت عملية إحصاء الأصوات، مما أدى الى تأخر الاعلان عن النتيجة لأكثر من شهر وفوز المرشح الجمهوري جورج بوش المثير للجدل على الديمقراطي آل غور.

وبينما بدت فنزويلا منقسمة بين قطبين هما مؤيدو شافيز ومعارضوه، ثمة قلق إزاء اندلاع أعمال عنف، خاصة في حال تعادل نتيجة الاستفتاء. وقالت وزارة الخارجية الأميركية في بيان حذرت فيه من السفر إلى فنزويلا من «تصاعد احتمال اندلاع العنف».

وأعلن مؤيدو شافيز (يطلق عليهم اسم شافيزتاس) في أحد الأحياء الفقيرة في كراكاس الذي يعد من أشد المناطق حماسة للرئيس استعدادهم «للدفاع عن التصويت».

وقال جوسي رافائيل غوناليس، وهو يراقب مسؤولين في المكاتب الانتخابية يحملون معهم شاشات الكترونية تعمل باللمس وهم يدخلون لمبنى مدرسة في حي ٢٣ دي انيرو: «ثمة إشاعات تقول إن بعض الناس في المعارضة لن يقبلوا بالنتائج».

وقالت اندريا غراتيرول، ٢٩ عاما، التي كانت تقف أمام جدارية ضخمة للمناضل الثوري الأرجنتيني تشي غيفارا، تبيع تذاكر اليانصيب التي تضاعف توزيعها وكأنها منشورات موالية لشافيز: «أنا أحب الرئيس. إنه رائع. إنه من الشعب». وعددت المراكز الصحية والأسواق التي تديرها الحكومة وتبيع البضائع بأسعار مدعومة أقامها الرئيس في الحي الفقير، حيث كان شبان يلعبون كرة القدم وهم يرتدون قمصانا قطنية حمراء تحمل شعارات تأييد لشافيز.

وعلى بعد عدة كيلومترات، وفي أحد معاقل المعارضة الرئيسية في الجزء الشرقي من كراكاس، ازدادت المشاعر حدة وسط الاتهامات بأن السلطات المشرفة على الاستفتاء تقوم بتكليف «تشافيزتاس» تولي مسؤولية الإشراف على مركز انتخابي رئيسي. وقالت الطبيبة النفسية رايزا لورديز ،٣٨ عاما، «إنها معركة بين الديمقراطيين والشيوعيين».

واستمد شافيز قوة جديدة في الاشهر الماضية بتكثيفه الانفاق على البرامج التعليمية والصحية، وذلك بفضل الارتفاع الكبير في اسعار النفط العالمية. وفي الوقت نفسه، أثار الاستفتاء على رئاسته احتمال قطع إمدادات النفط من بلاده المصنفة خامسة بين الدول المصدرة للخام في العالم. وكان الإضراب، الذي نفذ العام الماضي لمدة شهرين بهدف إرغامه على التخلي عن منصبه، قد أثار حالة من الاضطراب في الأسواق العالمية.

ولمح شافيز إلى أن الإضراب هذه المرة سيكون موجها ضد المعارضة. وقال إنه في حال نجاح معارضيه في إرغامه على التخلي عن منصبه، فانهم سيلجؤون إلى تخصيص الشركة الفنزويلية للنفط، الأمر الذي سيؤدي إلى الإضراب. وتشعر الأسواق النفطية العالمية بهذا القلق الذي يقول المحللون إنه ساهم في الإبقاء على الأسعار في مستويات عالية تقارب المستويات القياسية.

يذكر أن نحو ١٥ في المائة من واردات النفط الأميركية تأتي من فنزويلا، وقال شافيز إن ضمان وصول تلك الشحنات مرتبط بفوزه في الاستفتاء. وهو يقول إنه يستخدم ثروة النفط في تحسين حياة الملايين من أفراد شعبه الذين يعيشون في فقر مدقع. لكن معارضيه يتهمونه بتبديد ثروات البلاد ودفع الاقتصاد إلى مستوى الانهيار.

الانتصار المدوي

وشاء القدر أن يكون هذا الاستفتاء انتصاراً جديدا لشافيز في مواجهة خصومه، حيث تهافتت جموع الفقراء والمؤيدين لشافيز إلى لجان التصويت حتى ما بعد منتصف الليل ليؤكدوا تمسكهم بشافيز، وأغلقت صناديق الاقتراع مع صباح اليوم التالي، بعد أن صوت زهاء ١٠ ملايين ناخب من بين ١٤ مليوناً هم إجمالي القوة التصويتية في البلاد، وأظهرت النتائج النهائية فوز شافيز بـ٥٨٠٠٦٢٩ صوتاً أي ما نسبته ٥٩,٢٥٪ من إجمالي الأصوات، بينما حصلت المعارضة على ٣٩٨٩٠٠٨ أصوات، أي ما نسبته ٤٠,٣٤٪، لتتعزز مكانة شافيز لدى مؤيديه وتتثبت أقدامه في منصبه، وبينما هرعت المعارضة نحو التشكيك في نزاهة الاستفتاء ونتائجه كانت شهادات مركز كارتر ومراقبي منظمة الدول الأميركية قاطعة بما لا يدع مجالاً للشك حينما

أكدت على أن الاستفتاء قد تم فى أجواء ديمقراطية وعلى أعلى مستوى من النزاهة والشفافية والموضوعية.

وبينما خرج شافيز قوياً منتصراً من مخططات ومكائد المعارضة، بدأت نقائص هذه المعارضة ومثالبها وعناصر ضعفها في الظهور جلية، وربما لا يعود ذلك إلى نجاح شافيز في الاستحواذ على تأييد غالبية الشعب الفنزويلي فقط، بقدر ما يعود أيضاً إلى وجود مكامن ضعف داخل بنيان المعارضة الفنزويلية التي تباينت من حيث التناغم السياسي والتوافق الأيديولوجي، ولم يجمعها أو يوحدها سوى الرغبة في التخلص من شافيز، وهى تباينات وخلافات كانت ستتفاقم لا محالة، إذا ما نجحت هذه المعارضة في الإطاحة بشافيز والهيمنة على السلطة، إذ يبدو أن فكرة الصراع الداخلي بين عناصرها قد باتت ملازمة لها حتى إذا ما أطيح بشافيز عدوهم المشترك نشبت الصراعات فيما بينهم.

ومن جانبه، يؤكد خوسيه فيسنتي رانجيل نائب شافيز هذا الطرح في مقابلة له مع صحيفة "باجينا ١٢" الأرجنتينية، حينما صرح بأن المعارضة اليمينية الفنزويلية ليس لديها شخص يمكن أن يقوم مقام شافيز، ولا تقوى على إدارة شؤون بلد كفنزويلا وسط الظروف الراهنة، فهى لا تملك قاعدة للتأييد الشعبي مثل شافيز، مثلما لا تستطيع التعاطي مع الاضطرابات والأزمات الداخلية والخارجية الحادة بنفس الطريقة البارعة التي تعاطى بها معها.

ولا يسع الكثيرين إلا الاعتراف بأن شافيز حقق -أو على الأقل سعى إلى تحقيق- إصلاحات اجتماعية هامة، وأنه أسهم في تجديد الطبقة الحاكمة في بلاده، وعمل على القطيعة مع الممارسات السياسية التقليدية القائمة على المسكنات بما تعنيه من تعايش مع الفساد وانصراف عن الاهتمام بمواجهة المشكلات الفعلية للبلاد. وبإمكان

أنصار شافيز والمتعاطفين معه أن يسجلوا في رصيده نقاطا إيجابية عديدة منها:

- إحداث إصلاحات دستورية وتشريعية واسعة مست عدة مجالات مؤسسية، ومثلت تقدما استثنائيا مقارنة بالأوضاع السائدة في المنطقة، لا سيما فيما يتعلق بحماية حقوق الإنسان الأساسية. وينبغي التنويه في هذا الصدد بالاهتمام الخاص الذي نالته الحقوق الاجتماعية والاقتصادية، ومنها رعاية المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة والطفولة.

- في إطار هذه العناية بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية، تم إدخال إصلاحات بنيوية تأخذ في الاعتبار احتياجات الفئات الاجتماعية الأكثر هامشية، وتظهر وجود مستوى جديد من الاهتمام بتجاوز الاختلالات العميقة التي تمثل مصدرا دائما لعدم الاستقرار الاجتماعي، فضلا عن كونها تتعارض مع الحقوق الأساسية لأغلبية المواطنين التي تجد نفسها محرومة من الاستمتاع بخيرات بلدها.

- شملت هذه الإجراءات أيضا إصلاحات زراعية جذرية، كما تم تحديث السياسة التعليمية، فضلا عن الاهتمام بتقنين العلاقات بين الأطراف الاجتماعية، بما يضمن حقوق الطبقة العاملة ويؤمِّن لها ظروف عمل ملائمة.

- في نفس الوقت تم إدخال إصلاحات هامة على القطاعات الاقتصادية الأكثر حيوية، حتى تؤمن مصالح البلاد وتتلاءم مع المناخ الاقتصادي السائد دوليا. وقد تأثر بهذه الإصلاحات بصورة خاصة قطاعا النفط والصيد.

انتقادات المعارضة

رغم كل ذلك فإنه حتى أكثر الناس تعاطفا مع شافيز وسياساته الإصلاحية، لا يسعه أن ينكر أن الرجل لم يستطع التخلص من نزوعه المبالغ فيه نحو استخدام

خطاب شعبوي قد يليق بالنظم التسلطية، ولكنه لا يناسب إطلاقا الأوضاع الديمقراطية. والأخطر من ذلك أنه يظهر ميلا مفرطا إلى تركيز السلطات على نحو يزعج حلفاءه بقدر ما يقلق منافسيه، وهذا هو أول انتقاد يوجهه له معارضوه، لكنّ مؤيديه يرون عكس ذلك.

● يعتبر العديدون أن شافيز أفرط في استخدام الأساليب الجماهيرية في خطابه وممارسته السياسية إلى حد ابتذال نفسه واستفزاز خصومه. فهو لا يكتفي بالمهرجانات الحاشدة والخطابات المطولة -على طريقة جاره وصديقه العتيد فيدل كاسترو، بل إنه تجاوز ذلك لحد أنه أصبح ينعش برنامجا إذاعيا مباشرا بعنوان Alo presidente! يبث لمدة ساعتين كل أسبوع، حيث يقوم باستقبال مكالمات المستمعين والرد عليها، ويتحدث في سياسة الدولة وأحوال المجتمع، ويغنى ويروي النكات أيضا، كما يقوم بانتقاد خصومه والسخرية منهم.

● ينقل عن شافيز نفسه أنه وصف طريقة إدارته لفريق عمله بأنها تشبه لعبة "البيسبول" base - ball، حيث قائد الفريق يرسم خطة اللعب ويحدد لكل لاعب مهامه، والذي لا يمتثل الخطة ويتجاوز دوره المرسوم يخرج من الملعب. وبغض النظر عن مدى انسجام أو عدم انسجام هذا الأسلوب مع مقتضيات الممارسة الديمقراطية، فالأكيد أنه ليس من السهل تطبيقه في بلد ذي تقاليد فيدرالية، وحيث تتوزع السلطة عادة بين مراكز نفوذ متعددة يراعى بعضها بعضا في مختلف أوجه القرار، وهو أمر معيب بالتأكيد ويعكس افتقار مؤسسات الدولة إلى القدر الكافي من الشرعية أمام الشعب والاستقلالية إزاء مجموعات الضغط، ولكن الأسوأ منه هو تركيز سلطات اتخاذ القرار في يد شخص واحد.

● كانت النتيجة الطبيعية لمثل هذا السلوك هي أن التحالف الذي تشكل في

البداية حول شافيز قد شهد التصدع الواحد تلو الآخر، فقد ابتعد عنه مبكرا العديد من رفاق السلاح الذين شاركوا إلى جانبه في المحاولة الانقلابية الفاشلة سنة ١٩٩٢، كما انفضت من حوله بعض المجموعات السياسية المحسوبة تقليديا على اليسار الفنزويلي مثل حزب "وطن للجميع" (Patria para todos)، إضافة إلى جماعات يسارية أخرى كان ينظر إليها باعتبارها حليفا طبيعيا لسياساته. ولا يقلل من دلالة هذه التصدعات أن شافيز لا يزال يحتفظ في دائرة الموثوقين والمقربين منه بوجوه يسارية تاريخية، مثل وزير النفط علي رودريغيز الذي يعتبر من أبرز قيادات اليسار الثوري منذ سنوات الستينيات ومن آخر من تخلوا عن خيار النضال المسلح.

● غير أن أكبر أخطاء شافيز كلما تراها المعارضة يتمثل في حقيقة أن خطابه الجماهيري أسهم في إحداث استقطاب اجتماعي حاد، تسبب في القطيعة بين الطبقة المتوسطة، والفئات الاجتماعية الأكثر فقرا التي أصبحت ترى في الأولى منافسها الفعلي والمسؤول الأول عن مشكلات البلاد، وهكذا وجدت الطبقة المتوسطة نفسها مدفوعة رغما عنها، إلى الارتماء في أحضان المعارضة لكن مؤيديه يؤكدون أن الطبقة المتوسطة ليست شريحة واحدة وأن هناك شرائح عديدة تؤيد شافيز.

وإذا كانت سياسات شافيز الاجتماعية تعتبر تحديا لخصومه الكُثُر وطريقته في ممارسة الحكم تضايق بعض حلفائه، فإن سياسته الخارجية مثلت له مصدر متاعب إضافيا، لا بسبب تطلعه إلى ممارسة دور أكثر تميزا على الصعيدين الإقليمي والدولي فحسب، ولكن أيضا بسبب صداقاته وتحركاته التي ارتابت منها جهات دولية لم تكن أصلا مرتاحة لتوجهاته التي تعتبرها مستقلة أكثر من اللازم.

في الواقع، لم يكتف شافيز بانتقاد الهيمنة الأحادية للولايات المتحدة على الصعيد الدولي، والتعبير عن تطلعه إلى عالم متعدد الأقطاب، بل تجاوز ذلك إلى

العمل على تنفيذ سياسة خارجية بدا أنها تستهدف تعزيز مكانة بلاده دوليا من جهة، والإسهام في إحداث نوع من التوازن في العلاقات الدولية من جهة أخرى. وقد تركز هذا التحرك حول محورين رئيسين:

- محاولة تنشيط منظمة الدول المنتجة للنفط (أوبك) وتفعيل التنسيق بين أعضائها بشأن سياسات الإنتاج وتحديد الأسعار، في مسعى لممارسة دور أكثر تأثيرا في الاقتصاد العالمي ومن ثم في السياسة الدولية.

- العمل على إحياء وتفعيل بعض مشاريع الاندماج الإقليمي على مستوى أميركا اللاتينية، وهو ما تجلى من بين أمور أخرى، في المساعي الرامية إلى الربط بين السوق المشتركة للجنوب (Mercosur) ومجموعة دول الآند (CAN)، التي تضم إلى جانب فنزويلا كلا من كولومبيا وبيرو والإكوادور وبوليفيا، وهو ما كان من شأنه لو تحقق أن يسمح بتكوين قطب اقتصادي هام لا يمكن تجاهله سياسيا.

بديهي أن الولايات المتحدة لم تكن لتنظر بعين الرضا إلى هذه التحركات المتصلة بمسائل تعتبرها حيوية لأمنها القومي، وتمس مجالات تقليدية لنفوذها الإستراتيجي. غير أن تحدى شافيز لسياسة الولايات المتحدة الأميركية لم يقف عند هذا الحد، بل أخذ صيغا أكثر وضوحا ومباشرة، من قبيل:

- ربط علاقات صداقة حميمة مع خصم الولايات المتحدة اللدود فيدل كاسترو ونظامه الثوري. ولم يقتصر الأمر على الاتصالات السياسية، بل أخذ شكل المساعدة الاقتصادية المباشرة والتبادل التقني المكثف.

- الإسهام في كسر العزلة السياسية عن النظام العراقي السابق والمغضوب عليه أميركيا، وقد وصل هذا الإسهام ذروته بالزيارة التي قام بها شافيز إلى بغداد ولقائه بالرئيس صدام حسين.

- خطب ود أنظمة بعض البلدان المصنفة أميركيا في إطار "الدول المارقة"، وفى هذا السياق تأتى زيارات شافيز إلى كل من طرابلس وطهران.

خريطة المعارضة

قد يبدو للوهلة الأولى وكأن هناك تكتلاً في فنزويلا أصبح ضد شافيز، فاللائحة الطويلة للمطالبين بتنحيته تضم جهات تعتبر مصالحها متعارضة بالضرورة في أوضاع طبيعية مثل اتحاد أرباب العمل والاتحادات النقابية، وهي أيضا تكاد تشمل بعض قطاعات المجتمع من الكنيسة إلى الجيش مرورا بوسائل الإعلام الكبرى ومعظم الأحزاب التقليدية.

ويعتمد تحالف المعارضة بالأساس على قوة ثلاثة أطراف رئيسة متميزة بإمكاناتها وبتشعب علاقاتها:

- رجال الأعمال ممثلين باتحاد الغرف الصناعية والتجارية.
- المؤسسات الإعلامية الكبرى التي قامت بدور بارز من خلال الدعاية المضادة للنظام، كما استغلت بنجاح ارتباطاتها الواسعة للإساءة إلى صورة شافيز دوليا.
- وأخيرا الكنيسة خاصة تيار "الأوبوس داي" (Opus dei) الواسع النفوذ في أميركا اللاتينية، والذي يعتبر عادة أكثر تيارات الكنيسة الكاثوليكية يمينية وراديكالية في معارضتها للسياسات الاجتماعية ذات الصبغة اليسارية.

ومهما اختلف الناس بشأن شافيز فهم لا يختلفون حول أمرين: الشخصية الكارزمية التي يتمتع بها ونزعته الاشتراكية الواضحة.

والواقع أن هذا التحالف الواسع الذي يعطى الانطباع بأن شافيز أصبح في عزلة تامة قد يكون أهم نقاط قوة هذا الأخير، فضلا عن كونه يمثل أكبر برهان على أن مقاصد خصومه ليست بريئة تماما. وذلك لعدة أسباب، منها:

- استحالة الاحتفاظ لفترة طويلة بمستوى كاف من الانسجام والتنسيق، بين هذا الخليط غير المتجانس من التيارات السياسية والاجتماعية ومجموعات المصالح.
- تعدد اتجاهات المعارضة واختلاف الأهداف فيما بينها، يتيح للنظام إمكانات كبيرة للتأثير في سير حركة الاحتجاج واللعب على التناقضات القائمة بين أطرافها بهدف تفكيكها متى بدت الفرصة سانحة لذلك. في هذا السياق، اعتبر البعض أن شافيز اتبع أبريل/نيسان أكثر من مناورة بارعة أراد من ورائها إحراج خصومه، وإظهارهم بصورة مجموعة من السياسيين الانتهازيين المحتمين بالجيش والمتحالفين مع الأوليغارشية الرأسمالية.
- يبقى تمثيل قوى المعارضة للقطاعات الاجتماعية التي تدعي الانتساب إليها أمرا مشكوكا فيه. فإذا كان من الواضح أن بعض شرائح الطبقة المتوسطة، لم تعد ترتاح للمناخ الاجتماعي المتوتر الناتج عن الثورة البوليفارية، فليس أقل وضوحا أن تكتل قوى المعارضة لا يعبر عن رغبة شعبية في التغيير، بقدر ما يمثل تحالفا ظرفيا للمصالح بين الجماعات المتضررة من سياسات شافيز.

من هنا تأتي المشكلة الأكبر التي تواجه المعارضة والمتمثلة في افتقارها إلى المصداقية كبديل مقبول للنظام القائم ذلك أنها لا تمثل خيارا جديدا، فهي تكاد تضم كل الأطراف التي تعتبر مسؤولة تاريخيا عن التدهور الذي آلت إليه أوضاع فنزويلا.

يبدو أن تحالف قوى المعارضة أخطأ في تقدير موازين القوة داخليا، ولعله أيضا أفرط في التفاؤل بالمناخ السائد إقليميا ودوليا، مما جعله يستعجل الاندفاع نحو مواجهة لم يحسن حساب شروط حسمها. والعوامل الرئيسة التي ربما تكون انخدعت بها المعارضة هي:

ظهور تصدعات في صفوف تحالف القوى السياسية والاجتماعية والذي أوصل شافيز للسلطة.

ملاحظة وجود إحساس شعبي متزايد بأن سياسات النظام تأخرت في إعطاء نتائجها الموعودة.

ضيق قطاعات اجتماعية محددة -الطبقة المتوسطة- بمناخ التوتر الاجتماعي السائد.

إقليميا: حصول حالات مشجعة نجح فيها التحرك الشعبي في إسقاط أنظمة سياسية منتخبة، وفى بلدان كانت إلى وقت قريب تتمتع بقدر معقول من الاستقرار المؤسسي، مثل ما حصل في الأرجنتين. والقياس هنا هو طبعا قياس مع وجود الفارق.

ربما كانت المعارضة عولت على أن دعما أميركيا من أي نوع سيكون مضمونا وكافيا، لا سيما أن واشنطن لا تخفى انزعاجها من سياسات شافيز الجريئة وتحركاته المريبة بالنسبة لها.

قد يكون زاد من اعتماد المعارضة على هذا العنصر، تقديرها أن الثوار اليساريين في الجارة كولومبيا ربما يمثلون أحد أهداف الولايات المتحدة في حربها المفتوحة على الإرهاب، خاصة مع انتخاب رئيس جديد لكولومبيا يلتقي مع بوش في نزعته اليمينية وميوله الحربية. وفى هذه الحالة فإن واشنطن لن تقصر في المساعدة على التخلص من زعيم لا يخفي اعتراضه على خططها في المنطقة، بل ومتهم أحيانا بدعم الثوار المستهدفين.

ولا شك أن كل هذه الاعتبارات كانت ولا تزال، قائمة وهي كلها في مصلحة معارضي شافيز. لكن ما غاب عن هؤلاء هو أن هناك عناصر أخرى كان ينبغي أخذها أيضا بعين الاعتبار منها:

إن الأمر يتعلق بنظام منتخب ديمقراطيا ومؤسسات تتمتع بكل الشرعية، وأنه لم تحصل ظروف موضوعية تبرر تجاوز هذه المؤسسات والخروج على ذلك النظام.

- إن شافيز رغم كل شيء، لم يفقد بعد قاعدته الشعبية الواسعة وقدرته على التأثير في الجماهير. فضلا عن أنه لا يزال يتحكم في تنظيم جماهيري قوي هو "الدوائر البوليفارية" (Circulos bolivarianos) التي يجمع المراقبون على أنها تمتع بانتشار واسع وتأطير جيد، وتملك وسائل هائلة للتنسيق والتحرك.

- إن شافيز لا يزال يحظى بثقة أهم مؤسسة في البلاد وهي الجيش، فقد أثبتت الأحداث أنه رغم الانشقاقات التي تحصل من حين لآخر لا يزال الجيش يلقي بثقله إلى جانب النظام ومؤسساته.

كما ان الشافيزية ثبتت نفسها بشكل نهائي في فنزويلا، لأسباب عدة يمكن أن نلخصها بالتالي:

١- فنزويلا بلد غني بالثروات.

٢- هي بلد قاري من الصعب حصاره كما هو حال جزيرة كوبا.

٣- شافيز يحظى بمصداقية عالية لدى غالبية أبناء الشعب الفنزويلي، وله جماهيرية واسعة خارج حدود فنزويلا.

٤- استطاع شافيز أن يقطع أشواطاً مهمة على طريق مكافحة الفقر، ودعم قطاعي التعليم والصحة، وإعادة هيكلة الاقتصاد والقطاع العام.

٥- استطاع شافيز أن ينسج شبكة علاقات مع غالبية الدول الأميركية اللاتينية التي تشكل حزام أمان لفنزويلا، اقتصاديا وسياسيّاً، ومد هذه العلاقات إلى آسيا وأفريقيا وأوروبا.

الفصل الرابع

مشروع مستقل للنهضة الاقتصادية

منذ وصول شافيز إلى السلطة بدأت أخبار فنزويلا تطفو على سطح الأحداث بشكل متواتر، ولم تفتأ منذ ذلك الحين تجتذب اهتمام وسائل الإعلام وتثير فضول المتابعين للشأن السياسي الخاص بتلك المنطقة من العالم. وقد استمر هذا الاهتمام في التزايد، اطرادا مع تطورات الأزمة المتصاعدة التي يعيشها البلد المذكور، وهي أزمة غير عادية أخذت طابعاً دولياً أظهرت وجود حالة من الصراع السياسي تجاوزت حدود المألوف وكرست مواجهة اجتماعية شاملة، صاحبها اضطراب في مؤسسات الدولة على نحو غير معهود في البلدان التي تتمتع بحد أدنى من سيادة القانون.

إن حدة الاستقطاب السياسي والأيديولوجي في إطار هذه الأزمة بين رجال أعمال الموالين لأميركا والقوى التقدمية وتسارع أحداثها المتلاحقة وصعوبة التكهن بمسار تطوراتها، بفعل التقلبات المثيرة والمفاجئة التي عرفتها بعض مراحلها، كلها جعلت المعنيين والمهتمين بها في حيرة من أمرهم:

● فالمواطن الفنزويلي العادي، الذي علق آماله على التجربة الديمقراطية الجديدة وراهن على طبقة سياسية بعيدة عن شبهة الفساد، تستهدفه الدعاية المضادة وأصبح نهبا للشكوك بفعل تأثير الدعاية المركزة الموجهة ضد شافيز والتي تشنها وسائل إعلامية مرتبطة بالخارج، ولم يعد بعيدا عليه أن يرضى من الغنيمة بالإياب. فبعد أن عز تحقيق الإصلاحات الاجتماعية المنشودة واستحال ترسيخ ممارسة سياسية ديمقراطية في أجواء الفوضى السائدة، ربما لم يعد الكثيرون اليوم يطمحون إلى أكثر من وضع طبيعي يأمن فيه المرء على نفسه وذويه ويطمئن على استقرار بلده، بغض النظر عمن ينتصر ومن ينهزم فى المعركة السياسية الدائرة رحاها الآن، وهكذا حاولت محطة (فوكس) الأميركية تصوير الأمر.

● الأطراف الدولية وبخاصة الإدارة الأميركية بدورها لم تعد واثقة من الموقف المناسب الذى ينبغى اتخاذه إزاء فرقاء الأزمة، فالتجربة الانقلابية الفاشلة وما آلت إليه من تطورات، أقنعت الكثيرين بضرورة التروي فى اتخاذ أي موقف بشأن هذه الأزمة التى يصعب الجزم بتحديد مآلاتها.

والحق أن موقف معظم الأطراف الدولية من التطورات في فنزويلا لا يخلو من غرابة، فالحكومة الشافيزية القائمة لا مطعن في شرعيتها، ومطالب المعارضة يقع أغلبها خارج دائرة الأحكام الدستورية السارية، وتصطدم مع الإدارة الشعبية المؤيدة لشافيز.

وأمام وضع كهذا فإن الإيحاء بالتردد في الموقف المناسب اتخاذه -ناهيك عن التلميح إلى التعاطف مع تحرك المعارضة- يعتبر في الحد الأدنى ممالأة ضمنية لحركة تمرد غير شرعية. بيد أنه ليس من العسير فهم مثل هذا الموقف في ظل الوضع الدولي السائد. حيث من الطبيعي أن ترى الكثير من الحكومات أنه ليس من الحكمة في شيء المجازفة بالتعرض لغضب القوة العظمى، من خلال الإعلان عن التضامن مع نظام "مشاغب" من نوع النظام الحاكم في فنزويلا، ففي عصر "من ليس معي فهو مع الإرهابيين" ليس من السهل اتخاذ قرارات من هذا النوع.

حتى وسائل الإعلام والمراقبين السياسيين يجدون صعوبة في الإمساك بخيوط، تقود إلى فهم هذه الأزمة بإيقاعها المضطرب ومساراتها غير المنتظمة. فالذي يحدث حاليا وربما خلال العقد الأول في القرن ٢١ في فنزويلا ليس من اليسير فهمه في ضوء أدوات التحليل السياسي التقليدية، ومحاولة التكهن بآفاقه المستقبلية تكاد تصبح ضربا من الرجم بالغيب يحسن بالدارس الحصيف أن ينأى بنفسه عنه.

رغم ذلك قد يكون من المفيد تقديم جملة من الملاحظات التي من شأنها أن تعين على إدراك بعض خلفيات وأبعاد الأزمة التي تطحن هذا البلد الموعود أهله بالحسد والأطماع بثروته وموقعه، والذي أضحى مسرحا لمواجهة مفتوحة على كل الاحتمالات، بين زعيم يمتلك كل مواهب المغامر ومعارضة أخطأت في تقدير الفرصة ولم تعرف فضيلة المراجعة.

الشرايين المفتوحة لأميركا اللاتينية

"فقر الإنسان كنتيجة لثراء المكان"، هكذا اختار Eduardo Galeano إدواردو جاليانو من أورجواي- عنوان الفصل الأول من كتابه الرائع "الشرايين المفتوحة لأميركا اللاتينية"، والذي صدرت طبعته الأولى منذ نحو ثلاثين سنة. والواقع أن هذه العبارة التي تصف بمنتهى البلاغة حال كثير من بلدان أميركا الجنوبية والوسطى- تنطبق بدقة وربما أكثر من أي بلد آخر على الوضع في فنزويلا، فهذا البلد الغني بموارده الطبيعية والذي يعد خامس أكبر مصدر للنفط الخام على مستوى العالم ظل يعانى من مشكلات اجتماعية حادة في ظل حكومات مستبدة وفاسدة حتى جاء شافيز حيث يعيش نحو ٨٠٪ من السكان تحت وطأة الفقر وتنتشر البطالة ومظاهر سوء التغذية، فضلا عن أن معدلات الأمية بين المواطنين ترتفع إلى مستويات قياسية بالنسبة لبلد يتمتع بمثل موارد فنزويلا.

إن وضعا كهذا يمثل بالضرورة أرضية خصبة للاضطرابات الاجتماعية وعدم الاستقرار السياسي، ويظهر ذلك بصورة جلية بتتبع التاريخ السياسي الحديث لفنزويلا والذي اتسم بتناوب تجارب هشة وعابرة للحكم المدني، كانت تنتهي دائما بانقلابات تحمل إلى السلطة نظما عسكرية، وكان التسلط والفساد سمة

ملازمة لأنظمة الحكم المتعاقبة، المدني منها والعسكري، وظل المشهد الاجتماعي ثابتا في كل الأحوال: بؤس وتمرد الأغلبية في مواجهة نخب محدودة، ومجموعات مصالح غير مهتمة أحيانا ومشغولة غالبا بحساباتها وصراعاتها الخاصة. وهكذا يمثل واقع فنزويلا مصداقا لصرخة اليأس التي كان أطلقها قبل نحو قرنين أشهر رجل في تاريخ هذا البلد، وأعظم ثوار أميركا اللاتينية على الإطلاق سيمون بوليفار، فقد نسب إليه أنه في قمة معاناته الشخصية بعد أن اتضح فشل مشروعه الطموح لتوحيد بلدان أميركا اللاتينية، خاطب أحد جنرالاته قائلا "أبدا، لن نكون سعداء!".(Nunca seremos dichosos, anunca!)

غير أن مصادر معاناة فنزويلا لا تقتصر على ثروتها وطريقة التصرف في هذه الثروة، وما ينشأ عن تلك الطريقة من دواعي التمرد وعوامل الاضطراب، فهذه المعاناة لها صلة أيضا بموقع البلد، فهو على تماس مع بلدان ذات أهمية كبرى للإستراتيجيات الدولية في المنطقة مثل كولومبيا، كما أنه قريب نسبيا من بلدان أميركا الوسطى ومجموعات جزر الكاريبي وهي مناطق نفوذ تقليدي للولايات المتحدة.

في كل الأحوال فإن الوعي بأهمية الموقع الإستراتيجي والضجر بتجارب الحكم التي لم تفعل أكثر من نهب وهدر مقدرات البلاد، كانت عوامل جعلت تلك الأرض التي تتجاور فيها الثروة الهائلة مع الفقر المدقع على موعد مع تجربة سياسية واجتماعية جديدة، حاولت أن تستلهم التراث الثوري العريق للمحررين الأوائل. وفى هذا السياق كان ظهور حركة التغيير آلتي قادها هوجو شافيز والتي عرفت باسم الثورة البوليفارية.

تجربة شافيز الاقتصادية

كم رئيس دولة في العالم الثالث يسعه اليوم أن يقف أمام العالم، كما وقف الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٢٠٠٥/٩/١٥ ليتحدى أمريكا وحلفاءها، لا بالموقف السياسي الصلب فحسب، بل بإنجازات اجتماعية واقتصادية حقيقية لحكمه وكان مما جاء في الأجزاء الاقتصادية لخطاب شافيز أمام الجمعية العامة، وهي الأجزاء التي أهملتها الصحافة العالمية:

"يستطيع الشعب في فنزويلا، في سبع سنوات فقط من الثورة البوليفارية، أن يدعي لنفسه اليوم إنجازات اجتماعية واقتصادية مهمة". "فقد تعلم القراءة والكتابة مليونٌ وأربعمائة وستة آلاف فنزويلي، ونحن الفنزويليين خمسٌ وعشرون مليوناً بالمجمل. وبلادنا ستعلن منطقة محررة من الأمية. وقد أصبح ثلاثة ملايين فنزويلي، بعد أن استثنوا من النظام التعليمي سابقاً بسبب الفقر، جزءاً من نظام التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي".

"وبات سبعة عشر مليوناً من الفنزويليين - أي سبعون بالمئة من السكان تقريباً - يتلقون العناية الصحية الشاملة، ومنها الدواء، للمرة الأولى في حياتهم، وخلال بضعة سنوات، سيتمكن كل فنزويلي من الوصول مجاناً لرعاية صحية ممتازة".

"ويتم إيصال أكثر من مليون وسبعمائة ألف طن من الأغذية لأكثر من اثني عشر مليون إنسان بأسعار مدعومة من الدولة، أي لنصف الشعب تقريباً، ومليون كامل من هؤلاء يتلقون تلك الأغذية بشكل مجاني تماماً، لأنهم يمرون بمرحلة انتقالية. وقد تم خلق أكثر من سبعمائة ألف وظيفة جديدة في اقتصادنا، وهو

ما قلل معدل البطالة عندنا تسع نقاط مئوية كاملة".

"وقد حدثت هذه الإنجازات في خضم عدوانين خارجي وداخلي، تخللهما انقلاب عسكري وإغلاق كامل لصناعة النفط نظمتهما واشنطن. حدث هذا بالرغم من المؤامرات، وبالرغم من الأكاذيب التي تنشرها وسائل إعلام قوية ضدنا، حدث في ظل تهديد الإمبراطورية وحلفائها الدائم لنا، حتى إنهم دعوا لاغتيال رئيس دولة علناً. فالبلد الوحيد في العالم الذي يستطيع فيه المرء أن يدعو لاغتيال رئيس دولة هو الولايات المتحدة، وكانت تلك حالة قس اسمه بات روبرتسون، مقرب جداً من البيت الأبيض، إذ دعا لاغتيالي شخصيّاً، وما زال روبرتسون طليقاً: ذلكم هو الإرهاب الدولي!"

وقد آثرنا أن نقتطف هذه المقاطع من خطاب شافيز الأخير في الأمم المتحدة لأنها تظهر نجاح عملية البناء الداخلي في ظل تهديد شديد وتدخلٍ سافرٍ من قبل"الإمبراطورية"، وهو التعبير الذي يستخدم في أمريكا الجنوبية لوصف الولايات المتحدة الأمريكية، مع العلم أن النهج الاقتصادي الذي تتبناه حكومة شافيز، منذ وصلت السلطة في أواخر التسعينيات، يقوم على جعل الاقتصاد في خدمة الشعب، بدلاً من جعل الشعب في خدمة الاقتصاد، فالتجربة الفنزويلية الناجحة اقتصادياً تمثل خطراً حقيقيّاً على النموذج الليبرالي الجديد الذي تحاول واشنطن والمؤسسات الاقتصادية الدولية مثل صندوق النقد الدولي أن تسوقه لشعوب العالم عامة، والثالث خاصةً، باعتباره النموذج الوحيد القابل للحياة بعد انهيار النموذج السوفياتي أساساً لأسباب اقتصادية، فالنموذج السوفياتي لم ينهر نتيجةً لحرب مثلاً.

على العكس من ذلك، جاءت الثورة البوليفارية في فنزويلا منذ انتخب شافيز

هناك عام ١٩٩٨، ثورة ضد برامج التصحيح الاقتصادي التي فرضت على فنزويلا، ضد خصخصة القطاع العام وبيعه للأجانب بأبخس الأثمان، ضد تغول الشركات متعدية الحدود والفنزويليين المتعاونين معها على المجتمع باسم تحرير السوق والتجارة، ضد تهميش الفقراء اقتصادياً وسحق الطبقة الوسطى في الوقت الذي تزداد فيه الثروات ويقال للشعب إن الأمور بأحسن حال لأن التصحيح الاقتصادي "يأخذ مجراه".

الثورة البوليفارية تسمى هكذا طبعاً تيمناً بسيمون بوليفار الذي حرر أغلب أمريكا اللاتينية من الاستعمار الإسباني في بداية القرن التاسع عشر، ودعا وعمل لتوحيد أمريكا اللاتينية. فالدعوة البوليفارية هي دعوة وحدوية في أمريكا اللاتينية تماماً كالدعوة للوحدة العربية عندنا. ولأن التنمية والحرية الحقيقيتين لا يمكن أن تتحققا في العالم الثالث إلا في سياق مشروع قومي مناهض للإمبريالية، كان لا بد لمشروع التنمية الاقتصادية الفنزويلي أن يكون أيضاً مشروعاً وحدوياً من الطراز الأول، مشروع تنمية مقاتل متصادم مع "الإمبراطورية" أثبت نفسه في الميدان بالرغم من العراقيل التي توضع يومياً في طريقه، فبات لذلك نموذجاً بديلاً لدول العالم الثالث يستحق الدراسة والعناية. إنه المشروع الذي نقدمه في هذه السطور: المشروع التنموي الوحدوي على النمط الفنزويلي الشافيزي. وقد تم ترسيخ البعد الوحدوي في النموذج الفنزويلي بإعادة تسمية البلاد رسمياً في الدستور الذي أقر عام ١٩٩٩: جمهورية فنزويلا البوليفارية.

وتمثل النزعة الوحدوية بحد ذاتها، عدا النموذج التنموي البديل، تحدٍّ مباشر لهيمنة "الإمبراطورية" على أمريكا الجنوبية، سواءٌ أتت من فنزويلا أو من

البرازيل أكبر أقطار أمريكا اللاتينية التي تختزن نفس النزعات الوحدوية، فلنا أن نتخيل فقط حجم التوتر الذي تثيره تجربة هوجو شافيز برمتها في الجهاز العصبي للنخبة الحاكمة في واشنطن والمؤسسات الاقتصادية الدولية والشركات متعدية الحدود وهو يتوجه لوضع يده بيد البرازيل، هذا غير مواقف شافيز السياسية المعروفة.

هل النفط وارتفاع سعره هو السبب؟

يسعى الكتاب المناهضون لفكرة وجود طريق اقتصادي أخر غير طريق الليبرالية الجديدة لأن يعزوا نجاح التجربة الفنزويلية لتوفر النفط بكثرة في البلاد ولارتفاع سعره بعد غزو العراق، وهم يقولون إن تجربة فنزويلا الاقتصادية الناجحة في ظل هوجو شافيز لا تعني العالم الثالث بشيء لأنها تجربة فاشلة، حسب زعمهم، لولا توفر النفط في فنزويلا، ويشير هؤلاء لامتلاك فنزويلا لأكبر احتياطي نفطي في الشطر الغربي من الكرة الأرضية، وقد كانت تنتج ثلاثة ملايين برميل من النفط يومياً يخطط لرفعها إلى٦,٣ مليون برميل، وهي رابع أكبر مصدر للنفط للولايات المتحدة الأمريكية، بينما السعودية ثالث أكبر مصدر للنفط لأمريكا، والمكسيك ثاني أكبر مصدر، حسب أرقام العام ٢٠٠٥ حتى الآن. كما أن فنزويلا تجلس، فوق ذلك، على ثروات معدنية كبيرة من البوكسيت المستخدم في إنتاج معدن الألمنيوم، ومن الفحم والحديد والألماس والذهب. لذا يرى فريق الليبرالية الجديدة أنه لا يصح أن نسقط تجربة فنزويلا على أية دولة غير فنزويلا حسب زعم هؤلاء السادة، خاصة عندما تكون أسعار النفط مرتفعة كما في العام ٢٠٠٥، حتى بالنسبة للنفط الفنزويلي الثقيل (الأقل جودةً

والأرخص سعراً بالتالي من النفط العربي الخفيف).

يرتعب كثيرون بالفعل من جاذبية التجربة الفنزويلية لشعوب أمريكا اللاتينية والوسطى، وجاذبيتها لشعوب العالم الثالث، وعلى رأسها الشعب العربي بالطبع، خاصة من جاذبيتها بالنسبة للشعوب التي لا تستفيد كثيراً من ثرواتها النفطية والمعدنية. فهل صحيحٌ الادعاء أن تجربة هوجو شافيز الاقتصادية غير قابلة للتعميم؟ الحقيقة أن مثل هذا الادعاء يصدر عن اعتبارات أيديولوجية ترتبط بخوف الليبراليين الجدد من نموذج اقتصادي بديل، بدأ يثبت نجاحاته على الأرض، أكثر من ارتباطها بفحص وتدقيق علميين للوقائع.

فالوقائع هي أن ثلثي الشعب الفنزويلي، عندما وصل هوجو شافيز للحكم كان يعيش تحت خط الفقر، بالرغم من طوفان فنزويلا على بحر من الثروة النفطية والمعدنية. فإذا كان النفط قد لعب دوراً في تحسين معيشة الفنزويليين اليوم بالرغم من وجوده سابقاً، فما ذلك إلا لأن شافيز بدأ ينفق عائداته على شعبه ومشروعه التنموي، بدلاً من ذهاب عائداته لطغمة حاكمة فاسدة وشركات متعدية الحدود، وهذا الاستنتاج قابل للتعميم خارج حدود فنزويلا، فمن الواضح أن ملايين الفنزويليين الذين كانوا يعانون من الجوع والأمية والبطالة قبل شافيز لم يفدهم نفط بلادهم شيئاً من قبل! ففنزويلا تتشابه هنا مع باقي دول العالم الثالث باستشراء البطالة والفقر والجوع والأمية.

وقد كان الفساد أيضاً مستشرياً في البلاد من قبل إلى درجة أن كبار المسؤولين الحكوميين كانوا ينهبون المال العام ويهربونه للخارج ليتباكوا بعدها على قلة الاستثمار في الاقتصاد الوطني ويقترضوا من الخارج!! وقد كتب أحد الاقتصاديين الأمريكيين في نهاية الثمانينيات أن أموال "المستثمرين"

الفنزويليين في الخارج كانت تفوق الدين العام الفنزويلي بكثير، وما زالت معركة شافيز مع الفساد مستمرة كأحد شروط إبقاء رأس المال الوطني وطنيًا، وهذا قابل للتعميم خارج فنزويلا.

وعلى سيرة الدين العام، ورث هيوغو شافيز من الإدارات السابقة ديناً عاماً ضخماً بلغ عشرات المليارات من الدولارات. وما زال الدين العام عبئاً ثقيلاً على الاقتصاد الوطني الفنزويلي، المديون الذي يقال لنا إنه ثري، حيث يقدر الدين العام الخارجي بـ ٢٧,٧ مليار دولار، والدين العام الداخلي بـ ١٥,٣ مليار دولار، أي ما يبلغ مجموعه بالمجمل ٤٣ مليار دولار من الدين العام حسب أرقام عام ٢٠٠٥، وتكلف خدمة الدين العام سنوياً بضعة مليارات من الدولارات كأقساط وفوائد، وهي عدة مليارات من العائدات النفطية والمدخرات التي كان يمكن أن تذهب لتنشيط الاقتصاد. فنحن نتحدث هنا عن معجزة اقتصادية في فنزويلا إذن، يمثل نجاح مشروعها التنموي بالرغم من الدين العام الضخم تجربة غنية قابلة للتعميم في العالم الثالث.

من ناحية أخرى، يعبر الادعاء القائل بأن النفط وارتفاع سعره هو سر نجاح التجربة التنموية الفنزويلية عن جهلٍ مدقع بوقائع وأرقام الاقتصاد الفنزويلي في عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٥، عندما بدأت تظهر النتائج الملموسة لمشروع شافيز. فما بين يوليو ٢٠٠٣ يوليو ٢٠٠٤، ازداد إنتاج القطاع الصناعي الفنزويلي (غير النفطي) ما بين الربع والثلث حسب القطاع، وقد أتت هذه الزيادة من القطاع الخاص، لا من شركة النفط الفنزويلية التي تملكها الحكومة مثلاً. وقد جاءت زيادة الإنتاج في قطاعات الملابس ومنتجات الخشب والسيارات والآلات و المعدات الكهربائية، أما القطاع الصناعي الوحيد الذي لم ينمو بنسبة الربع إلى الثلث،

بل أقل من ذلك بكثير، فقد كان قطاع التعدين والمعادن الذي نما بضعة نقاط مئوية فقط، ربما بسبب سيطرة الشركات الأجنبية عليه. وكذلك نمت مبيعات التجزئة أكثر من الربع عن العام السابق، خاصة السيارات والأطعمة وغيرها، بسبب ازدياد القوة الشرائية لعامة الشعب. وبالنسبة للعام ٢٠٠٤، نما القطاع الخاص عامةً بنسبة ١٨،٦ بالمئة، ونما القطاع العام بنسبة ١١ بالمئة.

ولا بد أن المؤسسات الاقتصادية الدولية تعرف أن الصادرات غير النفطية الفنزويلية ستتجاوز تسعة مليارات من الدولارات عام ٢٠٠٧، وهي نسبة لم تعرفها فنزويلا في تاريخها، حسب تقرير نشر في ٢٠٠٥/٩/١٨، وتتكون هذه الصادرات من المعادن والمنتجات الكيماوية والقطع الإلكترونية والبلاستيكيات والمنتجات الصناعية والزراعية، بعد أن كانت فنزويلا قبل شافيز تعتمد على الخارج للحصول على أغلب غذائها.

ولعل الدليل الأهم على عدم اعتماد نجاح تجربة شافيز الاقتصادية على النفط وعائداته بالقدر الذي يدعيه خصومه هو قيام أمريكا من خلال الموالين لها في فنزويلا بفرض الشلل الشامل على القطاع النفطي الفنزويلي بضعة أشهر في مرحلة ما في العامين ٢٠٠٢ و٢٠٠٣، مما أفقد البلاد أكثر من سبعة مليارات دولار من العائدات النفطية. وكان ذلك على خلفية المعركة الرهيبة التي استعرت وقتها ما بين القطاعات الشعبية من جهة، وفئة رجال الأعمال الكبار المرتبطة مصالحهم ب"الإمبراطورية" والشركات متعدية الحدود من جهة أخرى.

فنحن نتحدث عن مشروع تنموي حقيقي إذن، يقوم على تغيير ميزان القوى لمصلحة الشعب داخل المجتمع الفنزويلي نفسه لا على مجرد طفرة نفطية عابرة. ومع أن الطفرة النفطية شكلت عاملاً مساعداً بلا أدنى شك، يبقى

الأساس المشروع التنموي الذي عرف كيف يستفيد منها، وتوجد أمثلة كثيرة على دول نفطية لم تنمُ قطاعاتها غير النفطية بنفس الطريقة التي نمت فيها في فنزويلا في ظل الطفرة النفطية، بل تم رفع أسعار مشتقات النفط على شعوبها من قبل الشركات الأجنبية التي تسوقه. ولم نرَ مثل هذا في نيجيريا الغنية بالنفط، ولم نره في المكسيك المجاورة، ولا في بعض الدول العربية النفطية، بل تسابق فنزويلا الزمن لخلق اقتصاد متطور وعادل اجتماعياً لا يعتمد أداؤه على سعر النفط في البورصة العالمية.

وليكن واضحاً أن شافيز يدعم القطاع الخاص، خاصة الصغير والمتوسط الحجم، وأن القطاع الخاص الوطني غير المرتبط بالخارج ازدهر في ظله أكثر من أي وقت مضى، كما رأينا من أرقام نمو القطاع الخاص ٣٣٪ عام٢٠٠٥ مقارناً بـ ٢٧٪ عام ٢٠٠٠، ولكن شافيز احتاج لينجح مشروعه التنموي أن يفرض على القطاع الخاص الالتزام بالضرورات الاجتماعية والمشروع القومي، بينما تقوم الليبرالية الجديدة على إخضاع المجتمعات والأمم لحاجات الرأسمال.

وبالطبع، لم يعجب توجه شافيز شريحة كبار التجار والمتمولين والمستثمرين وكبار المسؤولين الحكوميين الذين ترعرعوا في بيئة نهب البلاد وإبقائها بالفقر المدقع بالتعاون مع الأجانب، فتنطحت تنظيماتهم مثل Fedecamaros وهو أهم تجمع للمستثمرين الكبار، ومثل Consecomercio وهو أهم تجمع لكبار تجار التجزئة، لمقارعة حكم شافيز بالأداة الاقتصادية والمالية التي يملكونها لإسقاطه سياسياً، ووصل بهم الأمر للتآمر مع الولايات المتحدة وحكومة خوسيه ماريا أزنار السابقة في إسبانيا للقيام بانقلاب عسكري ضد الرئيس المنتخب شرعياً هوجو شافيز، فتدخل الشعب في الشارع ضد الانقلابيين وأعاد شافيز بالقوة إلى سدة

الحكم، بيد أن المعركة السياسية والاقتصادية لم تنتهِ بعد عودته للسلطة. وتمكن شافيز في النهاية من استخدام قوة الدولة وقوة الشارع لتحجيمهم سياسيّاً واقتصادياً، دون أن يقضي عليهم، وفقط عندما تم له ذلك، وتحقق الاستقرار السياسي نسبيّاً واستتب له الأمر، بدأ المشروع التنموي ينطلق نحو آفاقه الرحبة ويبدأ يؤتي ثماره، وكان شافيز وأنصاره قبل ذلك يضطرون لبذل الكثير من الجهد والوقت في حربهم الداخلية مع كبار المستثمرين والتجار المرتبطين بجهات خارجية، على حساب المشروع التنموي الوحدوي.

المعركة الشرسة للسيطرة على القرار الاقتصادي المحلي

عندما استلم هوجو شافيز رسميّاً مقاليد الحكم في فنزويلا في نهاية التسعينيات، كان قد ورث اقتصاداً يعاني من الفقر والبؤس وانعدام المساواة، وتمكن في فترة قصيرة نسبيّاً من تحسين ظروف الشعب المعيشية من خلال سياسات الإصلاح الزراعي، وتسهيل الإقراض للمؤسسات الصغيرة، والقيام بمشاريع ضخمة لتوسيع وتحسين التعليم الحكومي والصحة العامة وتوزيع الغذاء على الفقراء، كما برز جزئيّاً من خطاب شافيز في الأمم المتحدة في١٥/٩/٢٠٠٥ .

وكانت الأزمة الاقتصادية قد استشرت في البلاد منذ أواسط الثمانينيات بسبب انخفاض أسعار النفط وارتفاع معدلات الفائدة في بلدٍ يعتمد أساساً على تصدير النفط والاقتراض من الخارج. وقد فاقم من الأزمة استشراء الفساد وهيمنة طغمة حاكمة مرتبطة بالشركات متعدية الحدود تتعامل مع وطنها

كبقرة حلوب لا يعنيها من أمرها إلا ما تدره عليها من قشدة يمكن تهريبها لحساباتها المصرفية في الخارج سواء عبر نهب القطاع العام أو القطاع الخاص، ولا يمكن الزعم أبداً أن النهب يتم فقط عبر القطاع العام، وكانت هذه الصيغة تتم في ظل التبعية للولايات المتحدة، أو "الإمبراطورية"، كما يسميها الفنزويليون، كما كانت تتم على مدى عقود في ظل تداول السلطة في البلاد، بشكل "ديموقراطي" تماماً، ما بين حزبين كبيرين مسيطرين أحدهما اشتراكي-ديموقراطي من نمط الأممية الثانية، والثاني مسيحي محافظ، ولم يؤثر على النخبة الحاكمة، بشقيها المحلي والأجنبي، أي الحزبين استلم الحكم.

وفي عام ١٩٨٨، سلم الرئيس الأسبق كارلوس أندرياس بيريز رأس البلاد لبرنامج التصحيح الاقتصادي الذي وضعه صندوق النقد الدولي، فبدأت سواطير الخصخصة وتخفيض الإنفاق العام وتحرير الأسعار وتخفيف القيود على عمل الشركات الأجنبية تنهال على جسد الاقتصاد الفنزويلي، وبدأ يشعر بألمها الفقراء أولاً، ومن ثم باقي شرائح المجتمع، وإذا كان تخفيض الأجور والمقاييس المرعية العمالية والصحية والوظيفية والبيئوية هو ما يجتذب المستثمرين الأجانب، فما الفائدة من الاستثمار إذا كان سيجعل حالة معظم الشعب تزيد سوءاً؟!

ولكن فوضى الاقتصاد، متى انفلت، لا تصيب الفقراء فحسب... فقد واجه رافييل كالديرا، الرئيس الذي سبق شافيز مباشرة، هروباً عارماً لرأس المال المحلي بسبب أزمة أصابت القطاع المصرفي في البلاد، مما أدى إلى انهيار البوليفار، عملة البلاد، وازدياد التضخم (أي انخفاض القوة الشرائية للبوليفار) ٧١ بالمئة عام ١٩٩٤ وحده، ولإنقاذ الدولة، سحب قرضاً بقيمة مليار و٤٠٠ مليون دولار من

صندوق النقد الدولي عام ٩٥ بشروط تعجيزية جديدة: المزيد من الخصخصة وإدمان القروض هذه المرة ازداد الاستثمار الأجنبي، وترافق ذلك مع ارتفاع أسعار النفط، وبدا كل شيء جميلاً على الورق، ولكن الفقر والفاقة والأمية كانت في نفس الوقت، في ازدياد أيضاً.

كان ذلك الوضع الذي ورثته حكومة شافيز عام ١٩٩٩، وقد قامت استراتيجيتها ابتداءً على تحسين مستوى المعيشة مع محاولة عدم تخويف المستثمرين في القطاع الخاص. ولكن الجميع أدرك أن رياح التغيير الجذرية تلفح وجوههم بعدما انتصر شافيز بالانتخابات جهاراً نهاراً وانهار الحزبان المهيمنان منذ عقود على النظام السياسي اللذان يدعي أحدهما المسيحية، والآخر الاشتراكية ولاؤهما الحقيقي لأمريكا والشركات الكبرى ... وهكذا، قررت قوى الشر الملتئمة من كاراكاس عاصمة فنزويلا إلى واشنطن "الإمبراطورية" أن تطيح بشافيز باستخدام سلاح النفط ضده.

وكانت واشنطن والشركات الكبرى والنخبة المحلية تملك الكثير من النفوذ داخل شركة النفط الفنزويلية الحكومية المنهوبة على مدى عقود، وكانت نقابة العمال فيها تحت سيطرة القوى المضادة عمليًا، فتم افتعال أزمة اقتصادية في أبريل ٢٠٠٢ توجت انقلاباً دعمته أمريكا، وقد ترافق تمرد رجال الأعمال المرتبطين بالخارج مع إضراب شامل أحدث الشلل التام في تصدير النفط مما كلف البلاد بالمجمل في النهاية ما بين ٧ و٨ مليارات دولار، وأثر قطع النفط على كل قطاعات الاقتصاد، كما أن حكومة شافيز لم تصلها أية عائدات طوال فترة الإضراب. فقد كانت حرباً خليقة بأن يفكر بها رجال الأعمال المرتبطون بالخارج، إنها الحرب لإفلاس الدولة.

المكتب الاستشاري الاقتصادي التابع للجمعية الوطنية الفنزويلية (مجلس النواب) قدر خسائر قطاع النفط الأولية وحدها بحوالي ٧،٣ مليار دولار، وقدرت خسائر القطاع غير النفطي على المدى القصير بحوالي ١٩،١ مليار دولار، وكادت الحكومة بعدها أن تعجز عن دفع أقساط وفوائد تبلغ خمسة مليارات دولار كانت مستحقة على دينها العام الخارجي، وكاد هذا يودي بالبوليفار عملة البلاد، وقدر محللو العملات الأجنبية أن البوليفار سينخفض إلى ٢٠٠٠ بوليفار مقابل الدولار في نهاية ٢٠٠٣، وانخفضت احتياطات النقد الأجنبي حوالي ٩٠٠ مليون دولار فقط خلال ثلاثة أسابيع مع هروب رأس المال المحلي للخارج، كانت حكومة شافيز تنزف بكل ما للكلمة من معنى، ولكنها كانت تدرك أيضاً أن مصير البلاد يتوقف على ثباتها تحت الشدة، وشافيز رجل مبدئي، والمبدئي الحقيقي، كما قال كاسترو مرة، كالذهب الحقيقي، كلما حككته، كلما لمعَ وقد جن جنون المستثمرين والتجار الكبار من القيود التي فرضت على تحويل البوليفار إلى دولار، واتهموا شافيز بأنه يحاول الانتقام منهم لدعمهم الانقلاب ضده، وليلاحظ القارئ الكريم أن تلك الإجراءات جاءت ضمن سياق صراع سياسي، ولم تفرض قبل التمرد على شافيز، وقد خففت كثيراً في العام ٢٠٠٥، دون أن تلغى، وكان وزارة المالية الفنزويلية قد بدأت تبيع الدولار بشروطها من خلال سندات داخل فنزويلا في أغسطس ٢٠٠٣ على أن لا يسمح لأية مؤسسة أن تشتري أكثر من خمسين مليون دولار من السندات، وعلى أن لا يسمح للبنوك الكبرى وبيوت المضاربة ككل بشراء أكثر من عشرين بالمئة من تلك السندات، لتكون بمتناول العامة والمستثمرين الصغار.

وتعتبر مثل هذه القيود في الحكمة الاقتصادية التقليدية، النيوليبرالية،

إجراءات انتحارية، ولكن الحقيقة هي أن القيود على أسعار الصرف، وتحويل العملة، في إحدى دول العالم الثالث مثل فنزويلا، كانت واحدة من الطرق القليلة المتاحة للدولة لمنع هرب رأس المال المحلي ضمن سياق الحملة السياسية لتكسير الاقتصاد المحلي والعملة المحلية لإسقاط شافيز، وهذه القيود، ضمن حدود معينة، قد تكون مفيدة لدول العالم الثالث لمنع المستثمرين والبنوك الدولية من تحويل فنزويلا إلى كازينو أو ماخور تخضع ظروف حياته لتقلبات مزاجهم الاستثماري، وهو الدرس نفسه الذي تعلمته دول جنوب شرق آسيا في الانهيار المالي الذي وقع فيها في ربيع عام ١٩٩٧ ، وإذا كانت البنوك الكبرى والمستثمرون الأجانب هي الرابح الأساسي من أزمة القطاع المصرفي في فنزويلا عام ١٩٩٥، إذ حملوا أرباحهم السريعة وتركوا البلاد، فإن الرابح الأساسي هذه المرة كان الشعب.

نعم، تقلص الاقتصاد الفنزويلي كثيراً في العام ٢٠٠٣، لا بل كان معدل نموه بالسالب، بالتحديد ٧,٧ بالمئة بالأحمر، ولكن مقاليد القرار الاقتصادي انتقلت عملياً لأيدي تحالف الفقراء والطبقة الوسطى والتجار والمستثمرين المحليين غير المرتبطين بالخارج في ظل حكومة شافيز، فتم بذلك وضع أساس النهوض العظيم بالاقتصاد الذي تلا في عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ ولكن بشائر الخير، بالرغم من الركود الذي أوقعه بالاقتصاد عمداً تمرد رجال الأعمال والبيروقراط المرتبطين بالخارج في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣، بدأت تظهر في العام ٢٠٠٣ نفسه، فمع تدفق عائدات النفط لخزائن الدولة وليس لجيوب الفاسدين، بالرغم من انخفاض الإنتاج اليومي بسبب فصل الفنيين، ومع القيود على تحويل العملة، ازدادت احتياطات النقد الأجنبي بمقدار تسعة مليارات دولار مع نهاية عام ٢٠٠٣،

وبدلاً من الانهيار الذي توقعه "الخبراء" العباقرة على شاشة الـ CNN، انتصر شافيز، وصمد البوليفار، وتماسك الاقتصاد، كانت ثمة جراح عميقة بدون أدنى شك، ولكن كان ثمة نصر عظيم أيضاً يكفي لوضع البسمة فوق الجرح، ومن يسعى للانتصارات الكبرى، يتعلم دفع الأثمان الكبرى، ومن يحب الجنة، يتعلم أولاً حب الموت.

وبعد انكماش قدر بسالب ٧,٧ بالمئة عام ٢٠٠٣، وانكماش آخر قبله قدر بسالب ٩،٨ بالمئة عام ٢٠٠٢ ، أصبحت نسبة النمو ٣,١٧ بالمئة عام ٢٠٠٤، مع أن المصادر الأمريكية تشكك بهذا الرقم الذي يقول بعضها إنه أقرب لـ ٢,١ بالمئة، وهي تبقى نسبة مهولة بأية حال، لكن موقع السي أي إيه على الإنترنت يضع نسبة النمو في فنزويلا عام ٢٠٠٤ عند ٨,٦ بالمئة (ويقول مثلاً أنها كانت ١,٥ بالمئة في الأردن في العام نفسه، أو في ليبيا النفطية ٩,٤ بالمئة).

وفي عام ٢٠٠٤ في فنزويلا أيضاً، نما قطاع البناء ١,٣٢ بالمئة، وقطاع المؤسسات المالية والتأمين ٦,٢٦ بالمئة، والنقل والتخزين ٤,٢٦ بالمئة، والتجارة وخدمات الصيانة ٥,٢٥بالمئة، والتصنيع ٤,٢٥ بالمئة، والتعدين ٨,١١ بالمئة، والاتصالات ٢,١ بالمئة، والكهرباء والماء ٩,٦ بالمئة، وقد قصدنا أن نورد هنا نسب النمو في القطاع الخاص المحلي في ظل حكومة شافيز، ومن المتوقع أن تكون نسب النمو هذه بنفس المستوى عام ٢٠٠٥ أو أعلى.

وكنا قد أشرنا كيف وصلت الصادرات غير النفطية إلى أعلى معدل لها في تاريخ فنزويلا عام ٢٠٠٥، وهي التي تقلصت بشدة في العامين ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ بفعل التخريب. ولكن النجاح الأهم لشافيز لا ينعكس بالأرقام، بل بانعكاس تلك الأرقام على تحسن نوعية الحياة بسبب تبني شافيز لقضايا الناس: محو الأمية،

والتعليم والصحة، وتأمين الوظائف، والتزام الدولة بتأمين الحد الأدنى من الدخل والغذاء، خاصة بعد أن بدأت الحكومة الفنزويلية بتوجيه جزءٍ متزايدٍ من عائداتها النفطية والضريبية للإنفاق الاجتماعي. وقد كان هذا بلا شك من العوامل التي ساعدت شافيز على الانتصار نصراً مدوياً في الاستفتاء على استمراره في الحكم في ٢٠٠٤/٨/١٥، بالإضافة للاستقرار السياسي الذي تمكن من فرضه، وازدياد الاستهلاك والاستثمار، وارتفاع أسعار النفط، وزيادة الإنفاق الاجتماعي. هذا مع العلم أن احتياطي العملة الصعبة في البنك المركزي الفنزويلي وصل في شهر ٢٠٠٥/٩ ما يعادل ٧،٣١ مليار دولار، وتوفر احتياطي كافٍ من العملة الصعبة من المقاييس الرئيسية التي يعتمدها صندوق النقد الدولي نفسه في تقييم مدى الاستقرار الاقتصادي في دولة مّا.

هزيمة اقتصاد البارونات

وعند الخبير الاقتصادي المصري أحمد السيد النجار عضو مجلس نقابة الصحفيين رؤية هامة عن الاقتصاد الفنزويلي سجلها في مقال له في الأهرام٢٠٠٦/١٢/١٣ رصد فيه إنجازات شافيز في سنوات حكمه الأولى (١٩٩٨-٢٠٠٦) رغم العواصف التي مرت بها فكتب: ولوتأملنا التجربة الاقتصادية لهذا الرجل الذي جاء للسلطة بوعود قاطعة بتوزيع عائدات تصدير النفط الفنزويلي بصورة عادلة لإنهاء الفقر في بلاده، سنجد أنه حقق بالفعل إنجازات قوية في ظروف بالغة التعقيد.

وتملك فنزويلا التي يبلغ عدد سكانها ٢٧ مليون نسمة، احتياطات ضخمة من النفط بلغت نحو ٧٩,٧ مليار برميل، أي نحو٧٪ من إجمالي الاحتياطيات

النفطية العالمية، وهي تحتل المرتبة الخامسة عالمياً كما تملك نحو٤,٣ تريليون متر مكعب من الغاز الطبيعي، أى نحو٤,٢٪ من إجمالى الاحتياطى العالمى.

وإذا كان شافيز قد تسلم الحكم فى بلاده وناتجها المحلى الإجمالى نحو١١٧ مليار دولار، ومتوسط نصيب الفرد منه٤٧٦٠ دولارا، فإن الناتج المحلى الاجمالى ارتفع فى عام٢٠٠٦ إلى ١٦٩ مليار دولار وفقا لسعر الصرف السائد، وبلغ متوسط نصيب الفرد منه نحو٦٢٥٩ دولارا، ورغم أن الارتفاع الكبير في أسعار النفط له تأثير كبير في هذا الصدد، إلا أن فنزويلا التى تعد أهم صقور الأوبك حاليا لها دور مؤثر في تحقيق ذلك، كما أن نمط توزيع الدخل والإنفاق العام على الخدمات التي تقدم مجانا للفقراء في مجال الصحة والتعليم، وكذلك التحويلات الاجتماعية قد تحسنت في المجمل في عهد شافيز وجعلت للفقراء نصيبا أكبر في ثروات بلادهم، وبينما كان العمر المتوقع عند الميلاد لدى استلام شافيز للسلطة يبلغ٧٤ سنة فإنه ارتفع الى٧٧ سنة عام٢٠٠٥ بفضل تحسن الرعايةالصحية العامة الموجهة للفقراء ولقسم من الطبقة الوسطى وقد حدث هذا التحسن رغم الكارثة الاقتصادية التي تعرضت لها فنزويلا عامى٢٠٠٢،٢٠٠٣ بسبب المحاولة الانقلابية والاضطرابات التي شلت قطاع النفط وأدت الى حرمان فنزويلا من إيرادات صادراتها النفطية بل وجعلتها تضطر لاستيراد المنتجات النفطية في بعض الأحيان، وفي العامين المذكورين بالترتيب، حقق الاقتصاد نموا سلبيا بلغ٨,٩٪-٧,٧٪ كما ارتفع معدل البطالة المرتفع أصلاً ليبلغ نحو١٥,٨٪، ١٨٪ فى العامين المذكورين بالترتيب، لكن الاقتصاد عاد للصعود بقوة بعد إحباط الانقلاب واستسلام الولايات المتحدة والقوى المرتبطة بها لوجود شافيز كرئيس منتخب باعتباره أمرا واقعا

فرضه الشعب الفنزويلى برغم أنف واشنطن وتلك القوى، وحقق اقتصاد فنزويلا نمواً بلغ ٩,٧٪ عام٢٠٠٤، ونحو٣,٩٪ عام٢٠٠٥، وتشير تقديرات صندوق النقد الدولى إلى أنه حقق نموا يبلغ٥,٧٪ فى العام الحالى كما تراجع معدل البطالة إلى٣,١٥٪ من قوة العمل عام٢٠٠٤، ثم إلى٢,١٢٪ عام٢٠٠٥، ومن المرجح أن يتراجع هذا المعدل في ظل صعود معدل الاستثمار في فنزويلا فى عهد شافيز، حيث ارتفع من ١٩٪ من الناتج المحلى الإجمالى عام٢٠٠١، إلى٢٢٪ عام٢٠٠٤ كما ارتفع معدل الادخار من ٢٤٪ من الناتج المحلى الإجمالى عام٢٠٠١ إلى٣٤٪ عام٢٠٠٤ حسب بيانات البنك الدولى فى تقريره عن مؤشرات التنمية في العالم، وهذا الفائض من المدخرات التي تزيد على الاستثمارات يعنى أن هناك أموالا متاحة لرفع معدل الاستثمار وإنشاء مشروعات جديدة تستوعب رصيد العاطلين الذى يظل كبيرا رغم تراجعه بصورة مؤثرة في عهد شافيز أما الاستثمارات الأجنبية التي تعد معيارا لموقف الرأسمالية العالمية من اقتصاد أي دولة، فإن قيمتها بلغت نحو٢٩٥٧ مليون دولار عام٢٠٠٥، مقارنة بنحو١٥١٨ مليون دولار عام٢٠٠٤، ونحو٢٦٥٩ مليون دولار عام٢٠٠٥، ونحو٧٧٩ مليون دولارعام٢٠٠٢ عندما اندلعت الاضطرابات التي شلت قطاع النفط، أى أن الشركات العالمية المسؤولة عن ضخ القسم الأعظم من الاستثمارات الأجنبية المباشرة عبر العالم قد أصبحت تتعامل بصورة واقعية وتضخ استثماراتها لهذا البلد ذى الإمكانات النفطية الهائلة، بغض النظر عن موقفها الرافض لرئيسه المنتخب، كما تحقق فنزويلا فائضاً كبيرا في ميزانها التجاري وميزان الحساب الجاري فيها، وقد بلغ الفائض التجاري نحو٣٧,٢ مليار دولار في الاثنى عشر شهرا المنتهية فى يونيو الماضى، بينما بلغ فائض ميزان الحساب الجاري

نحوه ,٢٩ مليار دولار في الفترة نفسها، وتشير بيانات صندوق النقد الدولى إلى أن الفائض فى ميزان الحساب الجارى قد بلغ ٨,٢ من الناتج المحلى الإجمالى عام٢٠٠٢، وارتفع الى١٣,٧٪ عام٢٠٠٣، وانخفض قليلا ليبلغ١٢,٥ عام٢٠٠٤، ثم عاود الارتفاع ليبلغ١٩,١٪ عام٢٠٠٥، بينما تشير التقديرات إلى أنه بلغ نحوه,١٧ عام٢٠٠٦ .

أما التضخم الذي كان آفة للاقتصاد الفنزويلي لفترة طويلة حيث بلغ نحو٢٢٪ سنويا في المتوسط خلال الفترة من عام ١٩٩٨ الى عام٢٠٠١، فإنه تراجع تدريجيا حتى بلغ١٢,١٪ فى العام الحالى وكما هو معروف فإن ارتفاع التضخم يضر بأصحاب الرواتب والأجور لصالح أصحاب المشروعات، بينما يكون تراجع معدل التضخم في مصلحة العمال والموظفين.

ويمكن القول إجمالاً- على الرغم من الاضطرابات التي واجهها شافيز المستهدف بصورة جلية من واشنطن والقوى المرتبطة بها من بارونات فنزويلا، - إن الأداء الاقتصادى لبلاده كان معقولا، واتجه للتحسن بقوة بعد إنهاء الاضطرابات وارتفاع أسعار النفط، مما ساعده على تحسين مؤشرات أداء الاقتصاد ومستويات معيشة المواطنين وبالذات الفقراء، وسيظل التحدى الكبير أمام شافيز في فترة رئاسته الجديدة هو الاستمرار في تحسين توزيع الدخل في بلد مازال يعاني، برغم يسارية شافيز من سوء توزيع الدخل الموروث في عهود سابقة، وهذا التحسين يرتبط بنظم الرواتب والتحويلات الاجتماعية ودعم الخدمات العامة والسلع الأساسية وتنمية الاقتصاد عموما من خلال معدلات استثمار مرتفعة.

الخطوط العريضة

لمشروع شافيز الاقتصادي

يقسم خبراء الاقتصاد مشروع شافيز الاقتصادي إلى عدة عناصر متكاملة، بعضها يرتبط بتنشيط الاقتصاد على المدى القريب، وبعضها يرتبط بتنمية وتطوير الاقتصاد وتغيير بنيته جذرياً لمصلحة الفئات المسحوقة على المدى البعيد، وبعضها يرتبط ببرنامج تحقيق وحدة أمريكا اللاتينية والوسطى على المدى الأبعد لخلق اقتصاد عملاق ووزن جنوبي مقابل لوزن "الإمبراطورية" الشمالية على صعيد القارة الأمريكية، وعلى الصعيد العالمي بأسره.

أولاً: على المدى القصير - على النقيض من تعليمات المؤسسات الاقتصادية الدولية، وضعت حكومة شافيز على عاتقها مسؤولية النهوض بالاقتصاد من خلال ما يلي:

١- تنشيط الاقتصاد من خلال زيادة الإنفاق العام - فمن ناحية اقتصادية محضة، وبغض النظر عن الفوائد الإنسانية والسياسية لتحسين مستوى المعيشة، فإن زيادة القوة الشرائية بيد عامة الناس يفيد التجار والمستثمرين في النهاية، ويحرك الاقتصاد، ولذلك كان يعتبر الإنفاق الحكومي أحد أهم عوامل النمو الاقتصادي في أية دولة حتى سيطر النيوليبراليون على أقسام الاقتصاد في الجامعات الغربية والمؤسسات الاقتصادية الدولية، ففي عام ٢٠٠٥ مثلاً، ازداد الإنفاق العام ٣٨ بالمئة عن سابقتها، وهو ما لا يمكن فصله عن معدل نمو اقتصادي وصل إلى ٣،٩ بالمئة حتى شهر ٩ / ٢٠٠٥ فقط، ولكن ما يهمنا بالتحديد من الإنفاق العام هنا هو البرامج الاجتماعية، وقد خصص صندوق من ستة مليارات دولار في فنزويلا لهذا الغرض، ومن المفهوم أن زيادة الإنفاق

ليست مجرد إجراء تقني في فنزويلا، بل تمثل جزءاً من مشروع جعل الموارد النفطية والمعدنية أداةً للتغيير الاجتماعي، فالإنفاق العام يمكن أن يحفز الاقتصاد، في سياق آخر، ولكن بتوجيهه نحو أشياء غير بناء المنازل لأصحاب الدخل المحدود مثلاً أو تحسين الصحة والتعليم جذرياً لعامة الشعب، أو دعم المحروقات التي يستهلكها الناس.

٢- محاربة الفساد والتهرب الضريبي بقسوة - حيث اعتبرت حكومة شافيز هذه المسألة ضرورية لتكسير مراكز القوى المعادية داخل الدولة، ولوقف التهرب الضريبي من قبل الشركات متعدية الحدود بعد أن كانت تنهب البلاد بلا حسيب أو رقيب. مثلاً، جاء في تقرير إخباري يوم ٢٠٠٥/١٠/٧ أن حكومة شافيز أمرت بإغلاق عددٍ من مكاتب الشركات متعدية الحدود في فنزويلا لمدة تتراوح ما بين يوم ويومين ريثما يتم التدقيق في سجلاتها المالية التي أظهرت عددا من المخالفات الضريبية. ومن هذه الشركات IBM و Microsoft، ومنها شركات تصنيع الهاتف النقال مثل: Nokia و Ericsson.و Siemens. ومنها مصنعو قطع السيارات Bosch Rexroth، ومنها شركة تجميع السيارات هوندا موتورز. ومن المتوقع أن تفرض عليها مصلحة الضرائب الفنزويلية غرامات كبيرة بسبب تهربها من الضرائب، هذا غير متابعة عدد من الشركات النفطية الأجنبية لجمع مليار دولار من الضرائب القديمة المستحقة. وعلى صعيدٍ أخر، ما زالت المعركة ضد الفساد المحلي على أشدها، ومن الطبيعي أن لا تكون مثل هذه المعركة ممكنة أصلاً دون نزع السلطة السياسية من الفاسدين الذين لن يقوّموا أنفسهم بأنفسهم.

٣- تصحيح العلاقة مع الشركات متعدية الحدود، من خلال رفع المعدلات الضريبية عليها، حسب القطاع الذي تعمل فيه، مثلاً في بعض الحالات من ٣٤

بالمئة (لم تكن تجبى جيداً أصلاً) إلى ٥٠ بالمئة، وفي بعض الحالات من واحد بالمئة ضرائب على الأرباح إلى ١٦،٦ بالمئة، وفي عام ٢٠٠١، سن قانون جديد يفرض ضريبة ٣٠ بالمئة من الأرباح على المستثمرين الجدد، ولأن الاقتصاد مزدهر، والفرص الاستثمارية كبيرة، فإن الكثير من تلك الشركات، خاصة في القطاع النفطي، لا تهرب، بل يأتي المزيد منها رغبةً بالاستثمار في فنزويلا، ويشار هنا أيضاً أن الحكومة الفنزويلية تعيد التفاوض حول الامتيازات القديمة التي كانت تتمتع بها تلك الشركات، وتعمل على زيادة حصة الدولة في المشروعات الجديدة. فالأولوية هنا هي حقوق الشعب لا حقوق المستثمرين الأجانب.

٤- تطوير البنية التحتية في البلاد على طريق تصنيعها ورفعها إلى مصاف الدول المتطورة، ومن ذلك مثلاً، مليار دولار رصدت لمشاريع المواصلات، كتوسيع نظام قطارات الأنفاق Subway وسكة قطار لربط العاصمة بضواحيها الجنوبية. ومن المعروف أن الإنفاق على البنية التحتية يخفف كلفة النقل والاتصال، وبالتالي يخفف كلفة المقايضات للمشروعات الاقتصادية، كما أنه يؤمن الوظائف الجديدة (إذا كان يعتمد على العمالة المحلية)، وبالتالي المزيد من القوة الشرائية بيد الشعب.

٥- إخضاع القطاع الخاص للاعتبارات الاجتماعية، مثلاً، فرض على البنوك أن تقبل بعض الإشراف من الدولة للحد من قصص المحسوبية في القروض، خاصة للتدقيق في التجاوزات التي يتم بموجبها إعطاء قروض لمن هم غير قادرين على سدادها.

ثانياً: الاقتصاد التعاوني

- وضع كارلوس لانز، المهندس الأساسي لإصلاحات شافيز الاقتصادية، وهو

مقاتل يساري سابق وأستاذ جامعي حالياً، نموذجاً اقتصادياً يقوم على مبدأ "المشاركة" و"المجتمع التعاوني" يستهدف نقل المزيد من السلطة والثروة للفئات المهمشة دون الوقوع في نموذج الملكية البيروقراطية المركزية للدولة، ويسعى هذا النموذج لإحداث تنمية ذات محرك داخلي، تحقق العدالة الاجتماعية، وتنقل الاقتصاد الفنزويلي إلى مصاف الدول المتطورة في آنٍ معاً، وتقوم هذه التجربة على:

١- استخدام عائدات النفط في تأسيس وتمويل آلاف التعاونيات الصغيرة الزراعية والصناعية والتجارية التي تعمل بعدها وتنجح أو تفشل بجهدها الذاتي حسب قوانين السوق ودون إشراف الدولة المباشر، ولكن ضمن خطتها العامة للتنمية. وهناك عدد من المصانع المغلقة أو الفاشلة التابعة للدولة سابقاً التي تم تحويلها للتعاونيات، وبدأ هذا النموذج يؤتي أكله بتصدير فنزويلا للغذاء بعد أن كانت تعتمد بشكل شبه كامل على استيراد الغذاء. وبدأت تصدر السلع الصناعية بعد أن كانت الصناعة فيها ضعيفة. ولننتبه هنا أن الدولة لا تدعم المشروعات الفاشلة، بل تساعد بإطلاق التعاونيات فحسب، وتدعمها لتأسيس المصانع الجديدة، ويبدو أن هذه المصانع تسير بشكل جيد حتى الآن.

٢- مساعدةُ الدولةِ العمالَ بشراء حصص في الشركات التي يعملون فيها لإعطائهم صوتاً في الإدارة.

٣- إيجاد بديل استراتيجي للاعتماد على النفط، من خلال مشروع تنمية صناعية، وتقليل الاعتماد على تصدير النفط إلى الولايات المتحدة، مع العلم أن فنزويلا تملك شركة CITGO في الولايات المتحدة لتوزيع النفط هناك، وهي شركة مقرها هيوستن في ولاية تكساس، ولكنها ليست شركة توزيع مشتقات

نفطية تملكها فنزويلا فحسب، بل إن مصافيها مصممة لتكرير النفط الفنزويلي الثقيل بالذات.

٤- احترام القطاع الخاص ودعم رجال الأعمال الذين يعملون ضمن إطار الاستراتيجية الاجتماعية والوطنية.

٥- القيام بإصلاح زراعي حقيقي من خلال تحويل ملكية الإقطاعيات الكبيرة إلى التعاونيات والفلاحين.

٦- القيام بجهود حقيقة لرفع نوعية القوة العاملة في البلاد، أولاً من خلال محو الأمية، وثانياً من خلال رفع سوية التعليم بكل مراحله، وقد أنفقت فنزويلا ٥،٤ مليار دولار على التعليم في السنوات الأخيرة فقط.

ثالثاً: مشروع شافيز الوحدوي في أمريكا اللاتينية

لم يرفع شافيز شعاراً وحدوياً فحسب، بل أتبعه بمخطط سياسي واقتصادي للدفع باتجاه الوحدة عملياً في أمريكا اللاتينية. وكان من ذلك:

١- وضع مشاريع لمد أنابيب نفطية إلى كولومبيا وبنما والبرازيل.

٢- تصدير النفط إلى عشر دول في أمريكا الوسطى بأسعار تفضيلية مخفضة.

٣- الدفع جدياً باتجاه إقامة مجمع نفطي عملاق جنوب أمريكي باتجاه التخلص من الشركات النفطية متعدية الحدود.

٤- تصدير النفط الفنزويلي إلى كوبا مقابل ١٣ ألف طبيب كوبي وآلاف المعلمين والمدربين الرياضيين وغيرهم، وهو ما يساعد بحل مشكلة الشعب الفنزويلي الصحية والتعليمية، ويساعد بحل مشكلة الشعب الكوبي الاقتصادية والنفطية، وقد اشتكت المراجع الأمريكية أنها لا تفهم تفاصيل العلاقة التجارية ما بين فنزويلا وكوبا لأن تفاصيلها غير معلنة.

٥- العمل على تقليل الاعتماد التصديري على الولايات المتحدة من خلال تعزيز الصلات مع الصين والهند وروسيا والبرازيل وإيران، وتعزيز العلاقات العسكرية مع روسيا والبرازيل وإسبانيا.

٦- تأسيس محور الخير الذي يقوده شافيز مع لولا دي سيلفا في البرازيل وكاسترو في كوبا وموراليس في بوليفيا واورتيجا في نيكارجوا، في مواجهة محور الشر الذي تقوده الولايات المتحدة، ويجدر الانتباه أن مرشحين متحالفين مع شافيز بدرجة أو بأخرى وصلوا للسلطة في البرازيل والإكوادور والأرجنتين.

٧- الضغط باتجاه تبني دول أمريكا اللاتينية في مؤتمرها المنعقد في أوائل شهر ١٢ / ٢٠٠٤ حوالي ٣٢ مشروعاً للبنية التحتية لربط أجزاء أمريكا اللاتينية ببعضها البعض.

٨- دعم ثوار كولومبيا المجاورة في مواجهة الوجود العسكري الأمريكي ، والعسكري والأمني "الإسرائيلي" لدعم الحكومة التابعة للولايات المتحدة هناك.

ولا يغطي ما سبق كل مناحي التجربة الاقتصادية الفنزويلية، ولكنه يسعى لأن يعطي القارئ العربي لمحة عامة عنها. وأهم ما في هذه التجربة الرائدة أنها تعتمد على قواها ومواردها الذاتية.

الفصل الخامس

الثورة الاجتماعية ومواجهة العولمة

من رحم الفقر تأتي الثورة

ذكرنا ان فنزويلا هي الدولة الخامسة في العالم في مجال تصدير النفط، وينبغي أن تساهم عائدات النّفط في محاربة الفقر، بدلاً من ابتلاعها بواسطة الشركات الأمريكيّة وغيرها، علماً بأنّ ١٣٪ من احتياجات أمريكا من النفط تأتي من فنزويلا وأنّ ٦٥٪ من ربات البيوت في فنزويلا من العنصر النسائي، وهن يشكلن الأغلبيّة في التّعليم والتّدريب والصّحة ولجان الأراضي والمياه وهلمّ جرًا. بالرّغم من تدفق النّفط، نجد أنّ ٨٠٪ من الفنزويليين فقراء كادحين كدحاً شديداً، لذلك انشأت حكومة شافيز "بنك المرأة للتنمية" للتعاون التنموي وسط النّساء، وللاستثمار في المجتمعات المحليّة وكانت فنزويلا تستورد ٦٥٪ من الأغذية الرئيسة، لذلك رأى شافيز ضرورة تحديث الزراعة حتى "يأكل الفنزويليُّون مما يزرعون ويلبسون مما يصنعون"، ويتجنّبوا مخاطر الحصار الاقتصادي والتجويع هكذا حوّل شافيز الفائض من عائدات النّفط إلى برامج اجتماعيّة وزراعيّة طموحة لتغيير أحوال المعاش للأغلبيّة التي لا تملك إلا قليلاً (The most who have least) فقد انشأ مشاريع عديدة - أو بعثات كما سماها، وعلى نطاق واسع في أرجاء القطر؛ فهناك برامج محو الأميّة (تعليم الكبار)، توفر فرص التّعليم للذين لم ينالوا حظّاً في المدارس، خلق الوظائف، توفير المواد الغذائيّة بأسعار بخسة، وتوسيع الخدمات الصحيّة المجانيّة لتشمل الأحياء الفقيرة داخل المدن والتخوم، وذلك بالاستعانة ب١٣.٠٠٠ طبيب كوبي. فلا غرابة، إذن، أن نقرأ أنّ صحة المواطنين هي التي قادت دزرائيلي - رئيس وزراء بريطانيا الأسبق - أن يزعم أنّ صحة النّاس هو

القـانون الأسم (The health of the people is the highest law)إضـافـة إلى ذلك، صادر شـافـيـز مبـاني النّفط غيـر المستخدمة وحولّها إلى منشآت "جامعة الفقراء"، واستخدم عائدات النّفط في تشييد قناة تلفزيونيّة ثقافيّة لتعكس الصورة الحقيقيّة خلافاً لما ظلّت دور الإعلام التقليديّة تبثّها في قالب أمريكي. ذلكم هو شافيز، الذي لم تخل الحملة المسعورة ضده من عنصريّة بلقاء في بلد ما زال الهندي ذو الملامح السّوداء مضطهداً؛ فشافيز بسحنته السّوداء، ووجهه الهندي، ولهجته الرّيفيّة تثير غرائز العنصريين في المدينة، غير أنّ هذه الخصال تجد موقعاً حسناً لدي العامة من ساكني الأكواخ(Shantymen) الذين يبغضهم الأغنياء المتوجّسين خيفة تحت دعاوي أنّ شافيز يُحشد الكادحين من الشّعب الفنزويلي ضدهم.

شعر ملايين المقصيين المهمشين أنهم مستفيدون من البرامج الاجتماعية للحكومة، متجاوزة لبيروقراطية الوزارات حيث ما تزال بعض بقايا المعارضة، تلك البرامج المسماة " المهمات" :"المهمة داخل الأحياء التي أقامت شبكة كثيفة من المراكز الصحية الشعبية بالأحياء الفقيرة وفي الضواحي العمالية والشرائح المتوسطة الدنيا. يقوم بتنشيط هذه المهمات أطباء وأطباء أسنان قادمون من كوبا (قاموا بـ٣٠ مليون فحص) . ثمة أيضا "مهمة (أ) الهادفة إلى القضاء على أمية أكثر من مليون مواطن، ومهمة (ب) التي دمجت مليون و٦٠٠ الف مواطن في برنامج لاستكمال الدراسة الثانوية والجامعية. نشير أيضا إلى " مهمة (جـ) الرامية إلى إقامة أسواق أغذية وأدوية بأسعار شعبية ومن أجل خدمات الآكل اليومية في أفقر المناطق (في الوظائف التعليمية يعطى الطلبة منحا/ أجورا تعادل الحد الأدنى للأجور) ارتكزت حملة الدوريات ووحدات المعارك الانتخابية

بشكل أساسي على المستفيدين من "المهمات" وعلى الفاعلين فيها. يتعلق الأمر بألوية عاملين اجتماعيين شباب، تكونت أغلبيتهم في كوبا في دروس تدوم بالأقل ٣ أشهر.

من هنا يمكنا فهم كيف أن الطليعة السياسية بأمريكا اللاتينية، والجماهير المعبأة من اجل حقوقها في بوليفيا و أكوادور والأرجنتين وباقي بلدان المنطقة، قد اعتبرت التصويت لشافيز "انتصارا لها.

يمكن فهم القاعدة الاجتماعية التي تملكها التشافيزية في فنزويلا وباقي القارة بقدر ما نستحضر درجة التدهور الإنساني والهمجية التي أغرقت فيها الرأسمالية السواد الأعظم من السكان. وتندرج أغلبية سكان فنزويلا في هذا الواقع البئيس. كان الإفقار شديداً جداً في العقود الأولى وكان البؤس مرعبا في أحياء عديدة يتعذر دخولها بفعل انعدام الأمان المرافق لهذا البؤس. وأصبح هذا الواقع محبطا بفعل انعدام إجابات بديلة. يجب فهم الآمال والأحلام الموقظة والوعي الاجتماعي المحفز بإرادة تحرر، حتى وإن استندت هذه الآمال على إيديولوجيات غريبة"، وعلى مشاعر برجوازية أو إنسانية أو دينية أو عرقية أو وطنية أو على مرجعية الزاباتية (الحركة الزاباتية بالمكسيك) أو التشافيزية أو غيرها.

إن الأدوات ذاتها التي تساعدنا على تفسير الواقع الاقتصادي- الاجتماعي هي التي يتعين أن تعيننا على فهم أفضل لكيفية امتلاء الفراغات المترتبة عن مختلف المآزق الإيديولوجية والسياسية . على أنصار العدالة الاجتماعية يتواصل ضغط فشل الدول البيروقراطية (الاتحاد السوفييتي،الخ) التي أساءت إلى اسم الاشتراكية. إن مئات ملايين العمال والعاملات، إلى جانب قطاعات

أخرى من المضطهدين والمقصيين، لا ترى، وما تزال لا ترى، سوى الحل الوحيد الممكن بوجه الهمجية الرأسمالية أي الاشتراكية. إن ٢٢٧ مليونا من الأمريكيين اللاتينيين والكاريبيين(من الكاريبي التي ترتبط بها فنزويلا) الفقراء، ونصفهم مراهقون يقل عمرهم عن ٢٠ سنة، بحاجة إلى بديل لا يمكن أن يكون غير حكومة المنتجين/ أو الأجراء واندماج بلداننا.

لكن علينا تخطي عقبات عديدة وهي قائمة باستقلال عن رغباتنا وعن الكتب السياسية. بالنسبة لملايين الفقراء الذين يزداد عددهم بـ ٦ أشخاص كل دقيقة بأمريكا اللاتينية والكاريبي، ربما تمثل اليوم "السيرورة الفنزويلية "، الغارقة في تناقضات حكومة وطنية وتفاوتاتها الاجتماعية، بقيادة زعيم ومحكومة بنظام رأسمالي ، مرجعا أصلح من كوبا رغم منجزاتها الاجتماعية ورغم مساعدتها لفنزويلا في تطوير برامجها الاجتماعية (المهمات) الصحية والتعليمية.

يرى ويسمع ملايين الفقراء من تشافيز عزمه على"حل" مشاكل الفقراء . إن اليأس المترتب على الصعود الرهيب لفقر ينتج ٩١٠٠ أمريكي-لاتيني فقير كل يوم يحتاجون إلى برامج تنموية ذات طابع عملي من جهة وطابع اشتراكي أو يتسم بالعدالة من جهة أخرى.

اشتراكية القرن ٢١

وفي إطار سعيه إلي بناء نموذج اقتصادي وتنموي مستقل عن المركز الرأسمالي العالمي، دعا شافيز إلى نمط جديد من العدالة الاجتماعية أو ما أسماه (اشتراكية القرن الحادي والعشرين) هي مزيج من الأفكار الاشتراكية التقليدية حول سيطرة الدولة على أدوات وهياكل الإنتاج الضخمة مع السماح

للقطاع الخاص بقدر أوسع من الحرية، وهو ماأطلق عليه شافيز(رأسمالية ذات وجه إنساني)، وفي هذا السياق تم تأسيس المنتدى الاجتماعي العالمي كبديل للعالم الثالث في مواجهة شعارات العولمة وأساليبها في نهب الشعوب الفقيرة، وإغراقها بالديون، بل جعل حكومات هذه الدول مدمنة علي الاقتراض.

وفي فبراير ٢٠٠٦ شارك حشد ضخم من الزعماء والمفكرين والسياسيين (٧٠ ألف شخص) و(٥ آلاف صحفي) في فعاليات المنتدى الذي عقد دورته في كراكاس تحت عنوان (المقاومة الثقافية للشعوب) ودعوة أخرى أطلقها شافيز للثورة ضد الظلم الاجتماعي والاضطهاد الثقافي.

وكان هوجو شافيز مهيمناً في كل مكان، بدءاً من المناقشات حول صعود اليسار في أميركا اللاتينية، وصولاً إلى الشارع، حيث عرضت دُمَى وقمصان وروزنامات وقطع تذكارية "ثورية" أخرى للبيع.

وفي حفل "معادٍ للإمبريالية"، دعا تشافيز حركة الدعاة إلى عولمة بديلة، إلى الاختيار بين " تبني الفلولكور" و"اشتركية القرن الحادي والعشرين"، في خطاب طويل ألقاه أمام عشرة آلاف شخص.

وفي عرض شبه مسرحي، أشاد شافيز بالنظام الثوري لفيدل كاسترو، وانتقد "إمبريالية" الولايات المتحدة.

وكرر المنتدي الاجتماعي العالمي اجتماعه، الذي تنظمه الحركات الداعية إلى عولمة بديلة في ٢٠٠٧ في نيروبي.

ويسعى المشاركون في المنتدى إلى تحويل الأنظار عن منتدى دافوس الاقتصادي، الذي يشارك فيه في سويسرا رؤساء دول وشركات كبيرة، عبر إسماع أصوات ضحايا العولمة في الوقت نفسه، والدعوة إلى نظام عالمي أكثر عدالة

وتضامناً. إلا أن الأخبار عن دافوس طغت على منتدى فنزويلا.

يذكر أن الدورة الأولي لـ " منتدي الاجتماعي" انعقدت في بورتو أليجيري في البرازيل عام ٢٠٠١، وهو ملتقى يعبر فيه المشاركون عن معارضتهم الشديدة للعولمة، ويطالبون حكومات ومؤسسات الغرب ببذل جهود أكبر، من أجل مساعدة الدول النامية.

وأدى توسع رأس المال في السنوات الثلاثين الأخيرة، إلى خلق مؤسسات جديدة لإدارة ديناميكيات الأسواق العالمية، مثل البنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية وغيرها. وكانت نشأة المنتدي الاجتماعي العالمي ك" معارضة" لمثل هذه المؤسسات، وتحديداً ك " معارضة" للمنتدي الاقتصادي العالمي الذي انعقد في بورتو أليجري عام ٢٠٠١ .

ولا يدافع المنتدى الاجتماعي العالمي عن تغيير الأنظمة، وإنما يطالب بـ " رأسمالية ذات وجه إنساني" ، " تعاقد اجتماعي جديد من أجل عدالة كوكبية"، هدفه التحول إلى أممية إصلاحية جديدة ك" اشتراكية ديمقرطية تتجاوز المؤسسية"، عدلت نفسها لتتوافق مع عولمة رأس المال.

وينتقد المنتدى الاجتماعي العالمي النيوليبرالية، كإيديولوجية يروج لها الأقوياء في العالم، وليست الرأسمالية ككل، بوصف الأخيرة نظاما اجتماعيا. اقتصاديا وعلاقات يومية. لكنه لا يقدم نقدا متماسكا لآليات الهيمنة الأخرى، مثل الدولة. الأمة، المرتبطة مباشرة بالرأسمال. لذلك، يروج لمطالب إصلاحية باستخدام ضغوط رمزية، كما يروج لرؤية مبهمة عن (المجتمع المدني الديمقراطي).

وتبدو الحرب التي تشنها اليوم الإدارات الأميركية بوصفها زعيمة الإمبريالية

العالمية، ضد دول العالم الثالث، والخلافات ضمن المراكز الإمبريالية، أشبه بالحروب الكولونيالية التي جرت في القرن التاسع عشر، والنزاعات الإمبريالية في النصف الأول من القرن العشرين.

العولمة البديلة

وبرز شعار العولمة البديلة، بعد انعقاد اللقاء الثاني للمنتدى الاجتماعي، وكان الفرنسيون السباقين في استخدام العولمة البديلة كبديل لمواجهة العولمة، والتي أيدها تياران: الأول: يرى أن المهمة ليست مواجهة الرأسمالية، وإنما مواجهة الآثار السلبية التي خلفتها العولمة، من خلال سياسات الليبرالية الجديدة والشركات العملاقة، ومنظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، واتفاق واشنطن. والثاني، يرى في العولمة ثورة في الرأسمالية، كما كانت البورجوازية في مرحلة صعودها.

ويري (شافيز) أن اتفاقا لحرية التجارة الإقليمية بين دول الأميركتين، لن يحقق الأهداف المرجوة منه، إلا بعد تحقيق نوع من التكامل الإقليمي بين الدول المتشابهة في معالم نموها الاقتصادي، داخل القارتين أولا، مثل تجمع (الميركسور). ثم تلى ذلك عملية التفاوض الجماعي مع الدول الغنية، مؤيدا بذلك وجهة النظر البرازيلية. ويضاف إلى ذلك الإجراءات الفعلية التي اتخذها (شافيز) ضد مساعي الولايات المتحدة لفرض هيمنتها على دول المنطقة، والتي سبقت عقد قمة الأميركتين، بإنشائه مجموعة اقتصادية مشتركة بين شركة النفط الفنزويلية المملوكة للدولة وبين البنك الحكومي الكوبي، بهدف مواجهة منطقة التجارة الحرة التي تدعمها واشنطن.

وفي إطار محاولتها عزل واشنطن عن دول المنظمة، أنشأت فنزويلا قناة (تيليسود) التليفزيونية لمواجهة الهيمنة الإعلامية الأميركية، وقد نجح (شافيز) في دفن منطقة التجارة الحرة. وتسعى فنزويلا إلى تنمية علاقاتها مع الدول التي تدخل في مواجهات مع واشنطن سواء على المستوى الإقليمي مثل كوبا، أو على المستوى الدولي مثل إيران والصين، في محاولة منها لتأسيس نظام دولي متعدد الأقطاب، بدلا من نظام القطب الأوحد. وازدادت حدة الانتقاد الفنزويلي لواشنطن، إلى حد وصفها بالدولة الإرهابية، التي تعد أهم أسباب عدم الاستقرار في العالم.

الفصل السادس

شافيز

والراديكالية اللاتينية

إذا كان صعود الثورة الكوبية في الخمسينيات من القرن الماضي قد شكل تحولا مهما في الخارطة السياسية في أميركا اللاتينية لجهة النزوع نحو المزيد من الاستقلال عن الاستعمار بصوره المختلفة ، ومواجهة الهيمنة الأميركية التي غذت ظاهرة الانقلابات العسكرية، فإن صعود الزعيم هوجو شافيز إلى سدة الحكم في كاراكاس مثل طفرة مهمة في الراديكالية اللاتينية سواء على صعيد نقاء وصفاء الرؤية المعادية للاستعمار أو تقديم الدعم لحركات التحرر الوطني،فالإمكانات المادية التي يتيحها النفط الفنزويلي وفر فرصة للتكامل مع الخبرات الكوبية خاصة في المجالين الطبي والتعليمي كي تقدم نموذجا لتعاون الجنوب-الجنوب ، ويشمل : كوبا-فنزويلا-بوليفيا-نيكارجوا وذلك بعد فوز الزعيم اليساري دانيال أورتيجا في الانتخابات الرئاسية التي جرت في نيكارجوا خريف ٢٠٠٦ وبعدها سوف تنضم الأكوادور.

هيئة الإنديز
أو التحالف الثلاثي

لم يدخر شافيز جهداً من أجل توحيد النظم الثورية في القارة اللاتينية سواء على قاعدة ثقافية وحضارية أو على جبهة الرفض للنظام الرأسمالي الوحشي، وفي هذا السياق جاءت فكرة تأسيس هيئة الإنديز كانعكاس لوعي السكان الأصليين بأميركا اللاتينية للخطر المحدق بهم نتيجة الليبرالية. وهم يسعون إلى الاتحاد مع الأنظمة اليسارية في أميركا اللاتينية للتصدي لا لليبرالية التي يتخوف من أن تذوبهم، مستغلين انشغال الولايات المتحدة بحروبها في الشرق الأوسط وأفغانستان.

وكان المؤتمر الأول لهيئة التنسيق الإنديزية لمنظمات السكان الأصليين في أميركا اللاتينية، عقد أعماله في بيرو، بتوجيه نداء من أجل تشكيل تحالفات مع حكومات كوبا وفنزويلا وبوليفيا، وهى تحالفات لا تأتي من عبث، وإنما ترتبط بمعاهدة التجارة الحرة مع الولايات المتحدة. وقال الناطق باسم المؤتمر لويس بيتور، إن هذا النداء يستند إلى أن تلك الحكومات لديها اقترحات بديلة لمواجهة الليبرالية الجديدة، تتوافق مع السكان الأصليين لدول جبال الإنديز ومطالبهم. وأشار بيتور إلى أن السكان الأصليين أعربوا خلال البيان الختامي للمؤتمر،عن حقهم في أراضيهم وفي سيادة الشعوب الأصلية لدول الإنديز، كما دعوا إلى وحدة جميع المنظمات الممثلة لهم. وطالب المؤتمر حكومات دول الإنديز بالتصديق على الاتفاقية الرقم١٦٩ لمنظمة العمل الدولية التي تمت الموافقة عليها في عام ١٩٨٩، من أجل حماية حقوق شعوب السكان الأصليين.

وخلال أعمال المؤتمر، تم تعيين البيروفي ميجيل بالاثين كيسبي على رأس هيئة التنسيق الإنديزي، التي تم تشكيلها خلال الاجتماع الذي عقد في مدينة كوثكو في جنوب بيرو، وأشار بيترو أن مهام كيسبي الذى ينتمي إلى قبائل "كيشوا" والإطار القانوني للهيئة، سيتم تحديدهما خلال اجتماع مجلس السكان الأصليين من دول الإنديز الذى عقد في لاباز في خريف ٢٠٠٦.

ومؤتمر هيئة التنسيق الإنديزية لا يمكن فصله عن موضوع معاهدة التجارة الحرة مع الولايات المتحدة، والذي بات في أميركا اللاتينية موضوعاً سياسياً لا اقتصادياً.

وواقع الرئيس الفنزويلي المعارض لواشنطن هوجو شافيز، يختلف عن الدول الباقية، باعتبار أن موارده النفطية التي لا يتردد في بيعها للولايات المتحدة، تغنيه عن الحاجة إلى استقطاب الرأس مال الدولي.

وباستثناء أوروجواي التي تستغل مسألة معاهدة التجارة الحرة، كورقة لإنذار شركائها بتغييرهيكيلة المجموعة الإقليمية المعيقة لمصالحها الوطنية، وتشيلي التي استفادت من الميزات التفاضلية للسباق، باتت المسألة السياسية وحتى الانتخابية، ذلك أن في انتخابات كوستاريكا على سبيل المثال، كاد المرشح المنافس للرئيس آرياس يفوز بالانتخابات، لتركيزه على معارضته للمعاهدة.

وتمتزج المعارضة في بوليفيا والبيرو والأكوادور بموضوع السيادة، وتتناغم مع صعود الحركة الهندية في جبال الإنديز. وثمة رابحان وخاسران في المعاهدة.

على سبيل المثال في الزراعة الكولومبية، الزهور والفاكهة الاستوائية هى قطاعات تربح مع المعاهدة، فيما قطاعات القمح والذرة تخسر. ويرجح أن المعاهدة مع كولومبيا ستجعل بوليفيا تخسر تصدير الصويا إلى هذا البلد.

والواقع أن شافيز يقود خطة للتنسيق بين سبع دول لاتينية في اتجاه تجمع لاتيني يحقق التكامل الاقتصادي نظرا لتنوع الإمكانات والخبرات والثروات المعدنية في البرازيل وبوليفيا وتشيلي والأرجنتين والمكسيك وفنزويلا أما كوبا فالتعاون معها يمضي عبر برنامج تعاوني يتضمن مقايضة النفط الفنزويلي مقابل الخدمات الطبية والتعليمية التي تقدمها كوبا إذ تتسلم كوبا نحو ٩٠ الف برميل من النفط الخام الفنزويلي يوميا مقابل تقديم كوبا"لجراحة عيون" لنحو مائة ألف فنزويلي، كذلك تدرب كوبا نحو ٤٠ ألف طبيب فنزويلي، كما سوف تقدم كوبا ٢٠مستشفى ميدانيا في المناطق الفقيرة في فنزويلا، وقد شاركت كوبا بالإضافة إلى ماسبق في برنامج محو الأمية في فنزويلا بالاستناد إلى نجاحها الرائد في هذا المجال، الأمر الذي أدى إلى إعلان فنزويلا بلدا خاليا من الأمية في عام ٢٠٠٥، وجرى الاتفاق على تكرار البرنامج مع بوليفيا.

نصائح إرهابية

أثنار يحاول إقناع تشافيز بالخيانة!

"يتوجب عليك نسيان موضوع الدول الفقيرة في العالم! يتوجب عليك نسيان الدول الأفريقية الفقيرة التي فوّتت قطار التاريخ والمحكوم عليها بالزوال! يتوجب عليك ركوب قطار المستقبل، والابتعاد عن الرئيس الكوبي فيدل كاسترو"!

تلك هي النصائح المروّعة التي وجهها رئيس وزراء إسبانيا السابق، خوسيه ماريا أثنار، إلى الرئيس الفنزويلي هوجو تشافيز! لقد وصف تشافيز صاحب النصائح بالمعتوه، والفاشي، والنازي (بتاريخ ١٩/٥/٢٠٠٥) ولكن هل نطق الرئيس الإسباني اليميني السابق بمجرّد قناعات شخصية؟ هل كانت كلماته في أذني الرئيس الفنزويلي تعكس نوايا وسياسات حكومته فقط؟ ولماذا توجّه بنصائحه الفظيعة إلى رئيس يساري، وهي من النوع الذي لا يقال في صفوف اليمين بالذات إلا همساً، بل بمجرد الإشارات والغمزات؟ إن مثل هذه النصائح الإحادية لا تقال أبداً، بل يطلق عكسها على الأغلب، ويعمل بمضمونها دون أن تقال!

ولكن، كما يبدو، فإن أقوال الرئيس الإسباني السابق تدلّ على فقدانه الحذر في لحظة لا ندري ما هي طبيعتها! ولعله لم يقم وزناً لما قد يترتب على حديث ثنائي، غير رسمي على الأغلب، وبالتالي فهو لا يشكل وثيقة دامغة، بل يمكن التنصل منه أو إنكاره بكل بساطة! أما لماذا هذه المخاطرة مع تشافيز اليساري فإن السبب يعود بلا ريب إلى النفط الفنزويلي! لقد أراد أثنار إغراء تشافيز بالخيانة كونه مؤتمن على ثروة شعبه النفطية الهائلة، أي أن يخون شعبه والشعوب الأخرى، ويلتحق بنادي الأغنياء العالمي، وبقطار الشركات الألف المتعدّدة

الجنسية التي تقف خلف الحكومات والسياسة الدولية! إن نصائح أثنار لا تعكس قناعاته وحده، بل قناعات النظام الربوي العالمي، وهو كان يرجو، ولا بدّ، في حال نجاحه في إقناع تشافيز بالخيانة، تحقيق مكاسب خاصة لشخصه ولبلده!

غير أن أثنار نصح تشافيز بالابتعاد تحديداً عن الرئيس الكوبي، فلماذا هذا الإلحاح على مقاطعة الجزيرة الصغيرة وشعبها الصغير، الصامد بإباء تحت حصار أميركي محكم لا يطاق منذ أكثر من أربعين عاماً؟ وأي خطر تشكله كوبا على النظام الربوي العالمي، بإمكاناتها البشرية والاقتصادية والعسكرية المتواضعة؟ الواقع هو أن كوبا تنهض منذ عقود طويلة بقواها الذاتية كتجسيد لإرادة الحياة الأممية والكبرياء الأممي. إنها تعبّر عن أمل لم يمت، وثقة لم تتزعزع، بمستقبل كريم للبشرية جمعاء. إنها الدولة الصغيرة المحكومة بالإعدام، والمستعصية على محاولات تنفيذ حكم الكاوبوي! إن صمودها هو العزاء لما أصاب بعض الدول الأفريقية المدمّرة التي أشار إليها أثنار، وهو ما يبقي الباب مفتوحاً أمام الأمل البشري بالخلاص، وهنا نتساءل: ترى، ألم ينصح أثنار رئيس فنزويلا بالكف عن تأييد العراق ضدّ الاحتلال؟ ألم ينصحه بالتوجّه إلى الكيان الصهيوني وتوثيق الصلات معه الى حدّ الموافقة بحماسة على الحرب الإبادية ضدّ العرب؟ إن إقامة أوثق الصلات مع الكيان الصهيوني إلى حدّ العمى من جهة، والابتعاد عن كوبا إلى حدّ القطيعة التامة من جهة أخرى، هما عربون الولاء للشركات الألف ولرأس الأفعى الأميركية، التي حكمت على كوبا بالإعدام وهي تمتلك أصلاً جميع شروط النهوض والحياة الطبيعية، وحكمت للكيان الصهيوني بالوجود وهو الذي لا يمتلك أصلاً أياً من شروط الحياة الطبيعية! إن هذا ما يؤكده قول أثنار بأن الدول الفقيرة محكوم عليها بالاختفاء من الوجود، أي أن النموذج الإسرائيلي يجب أن يسود والنموذج الكوبي يجب أن يزول!

هل سنعيش، أم لا؟

في عام ١٩٨٣ وزعت كوبا على حكام دول عدم الانحياز وثيقة ضخمة تضمنت أدق التفاصيل عن أزمة العالم الخطيرة، وعن مسبباتها والسبل الكفيلة بالخروج منها، وقد تكلم الرئيس كاسترو مخاطباً حكام هذه الدول بمايلي: "إن النظرة إلى الوقائع والآفاق الدولية بمجملها هي نظرة قاتمة يمكن أن تولد التشاؤم والإحباط، إذا لم نكن متأكدين من أهدافنا، ولا توجد طريقة لمواجهة هذه الوقائع والآفاق سوى بوعيها. إننا لا نمتلك علاجاً سحرياً، ولا نعتقد أن أحداً يمتلكه، لمعالجة المشاكل الصعبة التي تبدو غير قابلة للحل، لكن أية مشكلة، عبر التاريخ، لم تحلّ قبل أن تصبح حقيقة واضحة قاطعة يعيها الجميع. إننا نواجه اليوم الأوضاع الأعظم خطورة ومرارة وكونية في تاريخ الإنسانية، حيث يطرح لأول مرة على وعي الإنسان السؤال التالي: هل سنعيش، أم لا؟ ولكن مهما كانت ضخامة وصعوبة وتعقيدات المهمة فإننا لا نستطيع التشاؤم، لأن ذلك يعني التخلي مسبقاً عن كل أمل والقبول بالهزيمة والاستسلام، أي يعني النهاية! وهكذا لا تبقى أمامنا سوى وسيلة النضال، مستندين إلى الطاقة الأخلاقية والثقافية للجنس البشري، وإلى غريزته في المحافظة على وجوده. إننا، من خلال جهد ضخم جداً، وبالمساهمة الأخلاقية والثقافية لجميع الأمم، يمكننا أن نواجه مستقبلاً يبدو موضوعياً مظلماً ويائساً، خاصة بالنسبة لشعوب العالم الثالث"!

قطار التاريخ الربوي اللعين!

من الواضح أن كوبا تعوّل على طاقة مجمل المجتمعات البشرية، وهي أعلنت ذلك منذ عام ١٩٨٣ في مؤتمر دولي يضم ممثلي أربعة أخماس سكان الأرض،

داعية إلى وعي بشري عام للحقائق المعيشية القاطعة المتعلقة بالكوارث الكونية المحدقة، كمدخل لمواجهة هذه الكوارث، حيث من دون هذا الوعي لن يتحقق خلاص أي شعب، فالشعوب لا تعاني فقط من نقص المعلومات وتدني الوعي الضروري، بل تعاني قبل ذلك، وعلى مدار الساعة، من برامج الخداع والتضليل المكثفة التي تحاول إشاعة حالة من اليأس والضياع. وتساهم في دعم هذه البرامج اللئيمة بعض النخب من أبناء الضحايا، التي تحاول إقناع شعوبها أن المشكلة ليست مع بوش وشارون وأثنار وشركاتهم الربوية ونظامهم العالمي القاتل، بل مع تشافيز وكاسترو والمقاومة الفلسطينية والعراقية والأفغانية وغيرها، أي أنهم يدعون شعوبهم لقبول الهزيمة صاغرة مستسلمة! وبالطبع فإن تلبية دعوتهم تقود الى الهلاك بطريقة أخرى، حيث قطار التاريخ الاحتكاري، الذي اقترح أثنار على تشافيز ركوبه، لا يتسع إلا للنخب العالمية، فالدرجة الأولى مقتصرة على أصحاب الشركات الألف، والدرجة الثانية مخصصة لحشد نخب الشمال من القتلة والكتبة والموظفين، أما الدرجة الثالثة فمتروكة لنخب أربعة أخماس البشرية، يزدحمون حتى الاختناق في قاطراتها المحدودة الخالية من المقاعد، بل يتعلقون بنوافذها من الخارج ويعتلون أسطحتها، فتدهس العجلات بعض المتساقطين منهم، وتتكفل الزحمة والرياح بإهلاك بعض ركاب الأسطحة، بل ويدفع بعضهم البعض الآخر إلى الموت ليفسحوا لأنفسهم مجالاً!

بوليفيا عكس الريح

منذ اللحظة الأولى التي أعقبت إعلان فوز إيفو موراليس بمنصب رئيس جمهورية بوليفيا، إثر انتخابات شعبية، حصل الزعيم البوليفي الشاب بنتيجتها

على أكثرية ملفتة، كبر الحديث عن تحول نحو اليسار، ليس في بوليفيا فقط، وإنما أيضاً في عدد من دول أميركا اللاتينية. فما الداعي إلى ذلك ولماذا؟...

في الواقع، إيفو موراليس ليس سوى الواجهة الأخيرة المرئية من سلسلة تحولات يعود تاريخها إلى خمسة قرون مضت، وتحديداً مع بدء تنامي القوة السياسية، الثقافية والإيديولوجية الهندية، تؤكد تلك الأحداث والتطورات الأخيرة التي شهدتها بعض دول أميركا اللاتينية، وأدت في جملة انتصاراتها إلى وصول زعامات يسارية إلى رئاسة البلاد، ولتباشر تنفيذ مشروعها الوطني/ الإقليمي، متخطية المفهوم اليساري (السوفياتي) الذي ساد إبان عقود الحرب الباردة، بين واشنطن وموسكو من جهة، وأيضاً لا يقارب (المشروع) في أي حال النظام العالمي الجديد الذي يجعل من الولايات المتحدة روما الجديدة.

ويبدو منذ وصول لولا إلى رئاسة الجمهورية البرازيلية، والولايات المتحدة تعاني من تصاعد نفوذ أعدائها الوطنيين اليساريين في أميركا الجنوبية، التي تشكل جغرافيّاً (حديقتها الخلفية)، والفوز الذي حققه إيفو موراليس ونائبه الفا روليفيرا في الانتخابات البوليفية، حمل كابوساً آخر للرئيس الأميركي جورج بوش، يضاف إلى كوابيسه السابقة في كوبا وفنزويلا والبرازيل وكوابيسه اللاحقة في نيكارجوا والأكوادور.

ويبدو أن وصول موراليس صديق كاسترو وشافيز ولولا، إضافة إلى رموز اليسار في أميركا الجنوبية، إلى السلطة، سرّعت مسيرة المنطقة إلى اشتراكية وطنية ترتكز إلى تراث أبنائها وتاريخهم وثرواتهم، وحققت أجمل انتصاراتها في الانتخابات الرئاسية في جمهورية تشيلي، وفوز الطبيبة اليسارية ميشال باشوليه بالرئاسة.

إن ما يمكن قراءته من خلال هذه الانتصارات (الثورية) المتلاحقة في أميركا اللاتينية، هو أن معظم دول هذه المنطقة، حققت خلاصها من الهيمنة والسيطرة الأميركية، بل باتت تشكل طوقاً ضد كل ما هو أميركي وبالتالي فإن هذا التوجه اليساري للمنطقة، ذات الموارد الطبيعية والبشرية الضخمة، بات يقلق واشنطن كثيراً فهي تخشى على مصالحها الاقتصادية والسياسية، وعلى نفوذها في المنطقة من خلال قيام تحالفات يسارية قوية بين الأميركيتين اللاتينية والوسطى تجمع محور البرازيل، الأرجنتين، كوبا، فنزويلا وصولاً إلى تشيلي وبوليفيا ونيكارجوا والأكوادور، ما يفقد الولايات المتحدة موقعها وتأثيرها الكبيرين اللذين توفرا لها منذ عقود طويلة.

تأميم الغاز .. حلم الفقراء

تدخل عملية تأميم قطاع الغاز في بوليفيا في إطار التعاون الأميركي - اللاتيني في مجال "البنية التحتية"، إذ يتم توزيع فائض الغاز الطبيعي البوليفي في البرازيل بواسطة شركة "بتروبراس" البرازيلية الرسمية حيث يلبي ٨٠ في المائة من حاجات مدينة ساو باولو عاصمة البرازيل الاقتصادية، كما تحتاج الأرجنتين إلى الغاز البوليفي لتلبية حاجات نموها الاقتصادي بواسطة شركة " ريب سول" الإسبانية -الأرجنتينية، وقد اقترح رؤساء البرازيل والأرجنتين وفنزويلا مع الرئيس البوليفي على الدخول كشريك في مشروع شبكة أنابيب الغاز التي سوف تمتد من فنزويلا إلى البرازيل والأرجنتين، والذي يعتبر من أطول خطوط الغاز في العالم، إذ يمتد لمسافة مائة ألف كيلو متر، ويساعد على تحقيق الاستقلال الإقليمي في مجال الطاقة، ويمكن له توليد مليون فرصة توظيف وفق التقديرات الفنزويلية.

سارع شافيز، بعد تأميم الرئيس البوليفي الغاز والبترول في عيد العمال أول مايو سنة ٢٠٠٦، لمساعدة الرئاسة الجديدة التي تعرضت لهجمة إعلامية من أجهزة الإعلام الأميركية، وعلى رأسها صحيفة (وول ستريت جورنال) التي تعكس آراء الاحتكارات البترولية.

وقدمت فنزويلا لبوليفيا المساعدات الآتية:

١- استثمارات في مشروعات بترولية حوالي ١,٥ مليار دولار.

٢- ٢٠٠ ألف برميل من البنزين والمنتجات البترولية شهريا بأسعار مخفضة لبوليفيا، ويتم سداد ثمنها بمنتجات زراعية بوليفية، وعلى رأسها فول الصويا.

٣- ٥٠٠ منحة دراسية لطلبة بوليفيا للدراسة في فنزويلا.

٤- ١٤٠ مليون دولار كفرض لمساعدة إيفو موراليس لتنفيذ وعده بتوزيع أراضي الدولة واستصلاح الأراضي القاحلة وإعادة تشجير الغابات ضمن مشروع للإصلاح الزراعي وتوزيع الأراضي على فقراء المزارعين.

٥- تقديم الخبراء في حقول صناعة الصلب والصناعات البترولية.

إلا أن تأميم البترول والغاز البوليفي آثار غضب البرازيل التي استثمرت حوالي ١,٥ مليار دولار في إنشاء خط لنقل الغاز البوليفي للبرازيل، وأثار إسبانيا والأرجنتين اللتين كانتا تستثمران في صناعة الغاز البوليفي. وقد سارع شافيز يوم ١١ مايو سنة ٢٠٠٦ إلى بوليفيا، وأعلن تأييده لسياسة التأميم، وصاحب موراليس إلى الأرجنتين في مدينة (أجواسو)، حيث تم لقاء قمة بين رؤساء الأرجنتين والبرازيل وبوليفيا وفنزويلا بترتيب من شافيز.

كان الرئيس لولا البرازيلي، والرئيس نستور كرشنرالأرجنتيني قد اجتمعا يوم ١١ مايو لبحث مشكلة تأميم بوليفيا للشركات العاملة بها في حقل الغاز

والبترول، إلا أن موراليس وشافيز استطاعا أن يطمئنا الجميع، وعقد في مدينة أجواسو الأرجنتينية قرب الحدود البرازيلية اجتماع رباعي صدر عنه بيان يوم ١٢ مايو قرأه الرئيس الأرجنتيني، وأذاعته الـ C.N.N، وتضمن:

- إن الرؤساء الأربعة لدول البرازيل والأرجنتين وفنزويلا وبوليفيا اتفقوا علي سياسة واحدة، مقتضاها أن التكامل عنصر مهم من أجل مصالح واتحاد شعوب المنطقة.

- أهمية وصول الغاز وضمان استمرار وصوله إلى المستهلكين بما يحقق مصلحة المنتجين والمستهلكين.

- اتفق الرؤساء على تأييد بوليفيا، التي وافقت على المشاركة في إنشاء مشروع خطوط غاز يصل طولها إلى ٩٠٠٠ كيلو متر بتكلفة ٢٠ مليار دولار لتوصيل الغاز إلى البرازيل والأرجنتين، وتعبر إلى بارجواي وأوروجواي، باعتبار أن بوليفيا ثاني دولة منتجة للغاز بالمنطقة بعد فنزويلا.

ولم تقتصر مساعدات فنزويلا البترولية على كوبا وبوليفيا، بل امتدت لكل دول أميركا اللاتينية بسعر أقل من السعر العالمي لرغبته في دعم هذه الدول في أزمة ارتفاع سعر البترول وكسب ودها ضد محاولة أميركا للهيمنة على القارة. وقدم شافيز استثمارات وقروضا للأرجنتين التي مرت بضائقة اقتصادية، ولم تقف أميركا إلى جانبها في الأزمة، بينما تقدمت فنزويلا باستثمارات في مشروعات بترولية مشتركة سنة ١٩٩٩، بالإضافة إلى تقديم منتجات بترولية بسعر مميز.

وهو ما فعله شافيز بالنسبة للإكوادور التي ألغت اتفاقها في مايو سنة ٢٠٠٦ مع شركة ويسترن أويل الأميركية، بما يشبه التأميم، وأوقفت أميركا اتفاقية التجارة الحرة مع إكوادور. وأعلن وزير الاقتصاد الإكوادوري- الذي سافر لكراكاس لطلب المساعدة- أنه يتوقع مقاطعة أميركا لبلاده، وأن زيارته جاءت لتأكيد

مساعدة فنزويلا لهم في الأزمة، وللوقاية من تعسف أميركا بعد إلغائها اتفاقية التجارة الحرة والتسهيلات التي كانت تقدم للإكوادور.

كما قدم شافيز مساعدات وبترولا رخيصا لشيلي بعد انتخاب ميشيل بكلت اليسارية رئيسة لجمهورية شيلي في يناير سنة ٢٠٠٦، وهي أول سيدة تصل لرئاسة شيلي، وكانت إحدى ضحايا بينو شيه ديكتاتور شيلي السابق، ولايزال شافيز يقدم مساعداته لجواتيمالا ولغيرها من الدول اللاتينية.

انتصار نيكارجوا

لقد تلقت إدارة المحافظين الجدد في واشنطن صفعة قوية ، عندما عاد إلى السلطة في نيكارجوا الرئيس أورتيجا بعد١٦سنة على مغادرته قصر الرئاسة، وهو بلا شك حليف قوي لشافيز وكاسترو وموراليس في القارة اللاتينية وأورتيجا العدو اللدود لواشنطن التي بذلت جهودا جبارة لتقويض حكمه في الثمانينيات من القرن العشرين، وقد حل محل الرئيس انريكو بولانوس في انتخابات نزيهة راقبها ١٧الف مراقب دولي، بينهم الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر..

وتضمن برنامجه السياسي تطورا مهما هو العمل على إنهاء حقبة "الرأسمالية المتوحشة"، ولكن ليس عن طريق الثورة التي بات يعتبرها من الماضي وإنما من خلال تأمين استثمارات محلية ولاتينية من أجل الحد من ظاهرة الفقر، ويتفق أورتيجا مع حلفائه كاسترو وشافيز وموراليس في رفض "نموذج الليبرالية الاقتصادية الجديدة" ومواجهة سياسات العولمة التي تدمر الشعوب الفقيرة.

وكان الرئيس الأميركي جورج بوش هدد بقطع المعونات الاقتصادية والاستثمارات عن نيكارجوا في ظل حكم أورتيجا، ويذكر أن والده - أي بوش الأب -قام بدور كبير في تمويل منظمة "كونترا" للقتلة المحترفين المناهضة لجبهة الساندنيستا بزعامة أورتيجا حين شغل منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية(سي أي أي)وعندما تولى الرئاسة عام ١٩٨٨ كان شاهدا على سقوط حكم " الساندينستين) في انتخابات ١٩٩٠ .

لقد حاولت الاستخبارات الأميركية أكثر من مرة اغتياله عن طريق فرق الموت وهي عصابات من المرتزقة تنشط في أميركا اللاتينية كبنادق للإيجار، وتوظفها واشنطن لتصفية زعماء المعارضة ضدها، لكن أورتيجا الذي لايعتمد على قوة حراسة تلازمه قدر اعتماده على ذكائه وخبرته في التعامل مع المؤامرات استطاع أن ينجو من الاغتيال وأن يعود إلى سدة الحكم من جديد وهو ما يشكل مأزقا للسياسة الأميركية في القارة اللاتينية، وكانت التدخلات الأميركية في الشؤون الداخلية لدول القارة أدى إلى تقويض أو إطاحة أكثر من ٤٠حكومة أميركية لاتينية في القرن العشرين، أشهرهم الزعيم التشيلي سلفادور الليندي، الذي نجحت الاستخبارات الأميركية في اغتياله عام ١٩٧٣ من خلال انقلاب نظمه عملاء واشنطن،

كولومبيا ضلع في المؤامرة الأميركية

لقد نجح شافيز في نزع فتيل الأزمة التي حاولت واشنطن تغذيتها بين فنزويلا وكولومبيا على الحدود بين البلدين الجارين في منتصف ديسمبر٢٠٠٤ وسارعت على خطى الأزمات الحدودية السابقة بين بوجوتا وكراكاس، ووصلت إلى حد سحب السفيرين، وقطع العلاقات التجارية وتبادل الاتهامات من العيار الثقيل.

وفي ١٦ فبراير٢٠٠٥ عقد اجتماع في كراكاس انتهى بتعهدات ودية لطي صفحة الأزمة، والاتفاق على برنامج أمني مشترك لحماية الحدود المشتركة والممتدة لمسافة١٤٠٠ كيلومتر، والتعاون في مجال مكافحة الإرهاب بكل أشكاله.

وبات واضحاً دور السفارة الأميركية في بوجوتا، عاصمة كولومبيا في تغذية الأزمة، ومحاولة دفع الحكومة الكولومبية لإثارة مشكلات لإشغال وإرهاق الزعيم الفنزويلي، ومنعه من تنفيذ برامجه الثورية، بدعوى أن شافيز فتح معسكرات لإيواء عناصر منظمة (فارك) المعارضة للنظام الكولومبي.

ولم يعد هناك أدنى شك في أن الولايات المتحدة تزداد يوما بعد يوم رغبة في التخلص من شافيز الذي لم يترك مناسبة إلا وأعلن فيها تحديه للولايات المتحدة وجاهر بمعارضته لسياساتها ومصالحها، سواء داخل منظمة (أوبك) أو فوق منصات التنديد بعلاقات أميركا السياسية والاقتصادية بدول فنائها الخلفي، أو خلال زياراته العلنية إلى النظام العراقي السابق، والنظام الليبي الحالي قبل أن يبدأ الأخير مرحلة المصالحة مع الغرب.

وبالطبع فإن أخشى ما تخشاه واشنطن يكمن في محور شافيز- كاسترو، ذلك المحور الذي ضخ دماء الحياة في جسد زعيم كوبا المحتضر وضخ البترول الفنزويلي في جسد القطاعات الكوبية المختلفة، وأثار القلق الأميركي الأعظم من اتساع نطاقه ليشمل عدداً آخر من الدول اللاتينية المستعدة لنيل عضوية المحور بفضل زيادة المد الأحمر فوق أراضيها ومعاناة مواطنيها من ويلات الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الطاحنة والتجارب الديمقراطية المشوهة.

الفصل السابع

السياسة الخارجية ومعركة تحرير مجلس الأمن

وتحت عنوان (معركة حول مقعد أم اقتراع على سياسة واشنطن) كتبت ثناء يوسف مراسلة صحيفة (الأخبار) القاهرية في نيويورك رسالة مهمة جاء فيها:

دارت بالجمعية العامة للأمم المتحدة دراما سياسية هي فصل جديد من معركة انتخاب دولة عضوا عن مجموعة دول أميركا اللاتينية لشغل مقعد غير دائم بمجلس الأمن لمدة عامين. ويتنافس على هذا المقعد الذي سيخلو بخروج الأرجنتين كل من فنزويلا وجواتيمالا وبعد ٣٥ اقتراعا سريا لم تتمكن أي من الدولتين من الحصول على ثلثي عدد الأصوات المطلوبة للفوز وتأرجحت الحصيلة فيما بين ١٠٢ صوت لجواتيمالا و٨٠ صوتا لفنزويلا..

وأصبحت عملية الاقتراع بمثابة معركة للمصارعة شغلت الدول الأعضاء بمتابعتها وعطلت أعمال الجمعية العامة.

ومن المعروف أن الولايات المتحدة تمارس ضغوطا وتقوم بحملة مكثفة لمنع فوز فنزويلا بمقعد في مجلس الأمن لتحتفل بهذا الانتصار في نفس قاعة الجمعية العامة التي وقف فيها الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز ليصف الرئيس الأميركي بأنه (الشيطان).

وتجدر الإشارة إلى أن قضية الخلاف على مقعد بمجلس الأمن قد سبق أن حدثت أثناء الحرب الباردة عندما وقفت الولايات المتحدة خلف كولومبيا في حين ساندت روسيا دولة كوبا في عام ١٩٧٩ وقد أجرت الجمعية العامة في ذلك الوقت ١٥٥ اقتراعا سريا دون ان تتمكن أي من الدولتين من الفوز.. وانتهى الأمر بالاتفاق على مرشح ثالث هو المكسيك.

ويبدو أن مثل هذا السيناريو قد يتكرر فالمعركة كما هو واضح ليست فيما بين جواتيمالا وفنزويلا وإنما بين الولايات المتحدة وفنزويلا.. وقد قال السفير جون

بولتون مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة لقد أمضيت في عام ٢٠٠٠ شهرا بولاية فلوريدا، وما يجري هنا هو مجرد البداية.. وهو يقصد بطبيعة الحال انتخابات معركة الرئاسة الأميركية التي انتزعها الرئيس بوش.. وعلى الرغم من تصريح بولتون بأن واشنطن ليس لها أي دور في المعركة وإن كانت لا تريد أن ترى فنزويلا في مجلس الأمن فإن حضوره شخصيا لكل اقتراع وتنقله بين الدول الأعضاء في فترات فرز الأصوات تؤكد أن الأمر ليس كذلك.

وقد حرصت جواتيمالا على أن يرأس وفدها خلال هذه المعركة وزير خارجيتها جرت روزنتال الذي صرح أكثر من مرة أن التقدم الذي أحرزته بلاده كان يستوجب انسحاب فنزويلا كما يجري في مثل هذه الأحوال إلا أن هذا لم يحدث لأسباب نعلمها جميعا، أما السفير فرانسيسكو كارديناس مندوب فنزويلا فقد أعلن أن بلاده لا تحارب جواتيمالا (الدولة الشقية) كما يطلق عليها بل (إننا نحارب أصحاب العالم).

ويقول مندوب فنزويلا إن فوز بلاده بمقعد في مجلس الأمن سيعطي الدول الصغيرة والفقيرة صوتا لمواجهة المال.

وفي الوقت الذي ترى فيه فنزويلا أن جهودها تسعى لتحرير الأمم المتحدة من سيطرة الولايات المتحدة ترى جواتيمالا أن ما تتعرض له هو حملة ظالمة من جانب فنزويلا التي تعتبرها عميلة أميركية.

في الفترات التي تتخلل إجراء الاقتراع السري وفرز الأصوات يخرج ممثلا كل من جواتيمالا وفنزويلا للحديث إلى وسائل الإعلام استكمالا لهذه الدراما السياسية، فيقول مندوب فنزويلا إن بلادي ليست دولة عنيدة بل هي تضحي بنفسها لتمثل الدول الفقيرة والضعيفة في مواجهة (الابتزاز الأميركي) ويرفع

السفير كارديناس الصفحة الأولى بجريدة (البايز) وهي أوسع الصحف الإسبانية انتشارا وقد تصدرتها صورة للسفير بولتون وقد انحنى ليهمس في أذن وزير خارجية جواتيمالا ويقول: (إن هذه هي الضغوط التي نواجهها.. لماذا لا يعلن بولتون أمامكم أن بلاده ستتوقف عن ممارسة الضغط وتسحب أموالها حتى تقوم الدول بالتصويت وفقاً لما يمليه عليها ضميرها).

وأخيرا فإن هذه المعركة هي في واقع الأمر اقتراع على السياسة الأميركية بعد أن كررت فنزويلا تأكيد أنها في حالة فوزها فإنها ستستخدم المقعد الخاص بها في مجلس الأمن (لمعارضة الجهود الاميركية الرامية إلى القضاء على العالم) وهو ما أعلنه شافيز في بيانه أمام الجمعية العامة في شهر سبتمبر ٢٠٠٦ .

وبغض النظر عن إمكانية حصول فنزويلا على مقعد أميركا اللاتينية في مجلس الأمن من عدمه، فقد أدارت معركة ناجحة بكل المقاييس، أدارها الرئيس شافيز بنفسه انطلاقا من أن مجلس الأمن ساحة مهمة لتحرير القرار الدولي من الهيمنة الأميركية، وتطهيره من الفساد السياسي الذي تمارسه واشنطن، ولكي يتحقق ذلك أدار شافيز المعركة على عدة مستويات هي:

١- زيارات قام بها إلى عدد من الدول الأعضاء ومعظمها في العالم الثالث حيث يحظى زعيم فنزويلا بتقدير خاص.

٢- محاولات رص الصفوف اللاتينية خلف موقف واحد هو حق فنزويلا في المقعد دون أن يعني ذلك انتقاد جواتيمالا، وهي الطرف المنافس لها.

٣- شن حملة نقدية عنيفة ضد أذناب الإدارة الأميركية في القارة اللاتينية لفضح الحكومات التي تورطت في العمالة لواشنطن، ودورها في تخريب الجهود المبذولة من أجل توحيد القارة ضد الهيمنة.

واعتبر شافيز أن إجراء انتخابات حول المقعد في مجلس الأمن هو فرصة عالمية، لا تتكرر كثيرا لطرح القضية على الصعيد الدولي، لذا سنلاحظ ان جولاته شملت آسيا وأفريقيا وأوربا وأميركا اللاتينية، ولم يقتصر نشاطه على الدعاية لحق بلاده في المقعد، وإنما امتد ليشمل التأكيد على فكرة بناء جبهة عالمية ضد الهيمنة والغطرسة الأميركية، وأن الحرب على الإرهاب وهي الذريعة التي تتخذها واشنطن للتدخل في شؤون الدول هي حجة عليها، لأنها هي التي مارست الإرهاب وأنتجته.

خلال شهري أغسطس وسبتمبر زار الرئيس الفنزويلي هيوجو شافيز أكثر من عشر دول واعتبر خصومه هذه الجولة جهدا مكلفا من أجل حصول بلاده على مقعد في مجلس الأمن، وهو ما تعارضه حكومة بوش التي تفضل حصول جواتيمالا على المقعد.

وحتى يدعم شافيز شبكة علاقاته مع تلك الدول لمواجهة نفوذ الولايات المتحدة في الأمم المتحدة عقد معها اتفاقيات سياسية واقتصادية خاصة في زيارته لسوريا حيث وقع مسئولو الدولتين ١٣ اتفاقية سياسية واقتصادية. وقبلها مع الصين التي وافقت على استثمار ١٥ مليار دولار في مشاريع الطاقة في فنزويلا وإنشاء ١٣ حفار بترول و١٨ سفينة لشحن النفط حتى يقلل شافيز من اعتماد بلاده على التبادل التجاري مع الولايات المتحدة.

وبعد لقائه بالرئيس الأسد أدان شافيز جرائم إسرائيل النازية في لبنان وفلسطين وطالبها بسحب قواتها من لبنان ومن مرتفعات الجولان التي احتلتها عام ١٩٦٧ .

وأضاف أن هدفه الأساسي وقف نفوذ أميركا المتزايد في العالم وتحجيم سيطرتها على الأمم المتحدة وكرر دعوته لإقامة عالم متعدد الأقطاب وليس عالم القطب الواحد الذي لا تحترم فيه الإمبريالية الأميركية- على حد قوله- حق الشعوب في تقرير مصيرها وتريد السيطرة على العالم من خلال نظرة آحادية الجانب.

الدول التي زارها شافيز قبل سوريا هي الأرجنتين وروسيا وروسيا البيضاء وإيران وفيتنام وقطر ومالي وبنين والصين وماليزيا وكلها مؤيدة لحق فنزويلا في الحصول على مقعد في مجلس الأمن وكلها لديها مآخذ على سياسة أميركا الخارجية.

ومن جانبها تبذل واشنطن جهودا مستترة ومستمرة ضد شافيز وحكومته فالمعلومات التي حصلت عليها وكالة الاسيوشيتدبريس بموجب حرية المعلومات تؤكد ذلك.

وحتى تتجنب الوكالة الأميركية للتنمية الدولية USAID أي انتقادات بعد ما نشرته الوكالة سارعت بنشر ١٣٢ عقدا مبرما لكنها أغفلت ذكر المنظمات المتلقية للمساعدات وأنكر مسئولوها استخدام المنح لأغراض سياسية.

أما مكتب المبادرات الانتقالية الأميركي فيعطي الأولوية لبعض الدول مثل العراق وأفغانستان وبوليفيا وهايتي وفي عام ٢٠٠٢ قدم منحا قيمتها ٢٦ مليون دولار لفنزويلا.

ويعلق على ذلك لاري بيرنز مدير شؤون مجلس نصف الكرة الأرضية (Coha ومقره واشنطن) (إن التقرير يشير إلى وجود كم كبير من الأموال مخصص للمنح الخارجية وأن جزءا ضخما منها مخصص لتحييد هوجو شافيز وحكومته.

وأضاف أن أميركا تتهم شافيز بالسعي لزعزعة استقرار دول أميركا اللاتينية وهو نفس ما تفعله واشنطن مع شافيز وحكومته.

وتأكيداً لحق بلاده في الحصول على مقعد في مجلس الأمن رغم معارضة أميركا أكد الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز أن بلاده تحصل على مزيد من التأييد لمطلبها الخاص بالحصول على مقعد التناوب في مجلس الأمن رغم محاولات الولايات المتحدة لحث الحكومات على التصويت ضد بلاده.

وقال شافيز في تصريحات أدلى بها لتليفزيون بلاده من الصين حيث يقوم بزيارة إن الرئيس الصيني هووجينتاو يدعم فنزويلا في حملتها.وإن هناك دولا أخرى في الكاريبي وأفريقيا تعهدت بمساندتنا معربا عن قناعته بأن هذا الدعم سيتزايد مع اقتراب الجلسة الحاسمة للجمعية العامة للأمم المتحدة في أكتوبر ٢٠٠٦ .

وأضاف أن مناهضة الولايات المتحدة لفنزويلا وقيامها بمخاطبة الحكومات صراحة لمنع بلادنا من المشاركة في أجهزة الأمم المتحدة، قد أتى بنتائج عكسية حيث تحول إلى معركة ضد أهداف الإمبراطورية الأميركية لعلم الجميع بدوافعها غير الأخلاقية ضد دولة صغيرة وبسيطة مثل فنزويلا.. على حد تعبير شافيز.

وأكد شافيز أن رغبة بلاده في عضوية مجلس الأمن تحظى بتأييد الصين وروسيا ومعظم دول الاتحاد الأفريقي والجامعة العربية.

في تطور آخر اتهمت لجنة تحقيق برلمانية في فنزويلا جهات معارضة بالحصول على ملايين الدولارات من الولايات المتحدة لتمويل أنشطة معادية لشافيز في الداخل.

وطالب رئيس اللجنة بإجراء تحقيق عميق في الأمر على أساس أن (تسلم أموال من بلد أجنبي يعد خيانة للأمة وفقا لقانون العقوبات الفنزويلي).

واتهمت السلطات الفنزويلة السفارة الأميركية في كراكاس بنقل أوراق غير قانونية عبر الحقائب الدبلوماسية إلى داخل البلاد.

وكان شافيز واصل حملته لكشف عملاء أميركا في القارة اللاتينية، واختص رئيس بيرو بهجوم حاد نظراً لدوره في تخريب الجهود الفنزويلية الرامية إلى وحدة القارة في مواجهة اليهمنة، وقالت صحيفة الجمهورية القاهرية في تقرير لها من بنما:

وصف الرئيس الفنزويلي (هوجو شافيز) نظيره رئيس بيرو (آلان جارسيا) بأنه (كلب واشنطن المدلل) وأنه أداة في أيدي الاستعمار.. كما استبعد إقامة أي علاقات مع الحكومة في بيرو في أحدث تراشق بالألفاظ بين الزعيمين.

اتهم (شافيز) (جارسيا) بأنه يحاول الإيقاع بينه وبين زعماء أميركا اللاتينية وبصفة خاصة رئيس البرازيل لويس لولا دي سيلفا، ورئيس الأرجنتين (ناستور كيرشنر) ورئيس تشيلي (ميشيل باشيلت).

أضاف الرئيس الفنزويلي أن جارسيا سيتحطم إذا حاول إشعال الخلاف بينه وبين (لولا) أو (كيرشنر) أو (باشيلت).

وقعت العلاقات بين البلدين في أزمة في وقت سابق من العام الجاري ١٩٠٦ بعد أن نشب اشتباك بين شافيز و(جارسيا) بشأن علاقات التجارة الحرة مع الولايات المتحدة.. كما أن الرئيس الفنزويلي كان يدعم مرشحين منافسين لـ (جارسيا) في الانتخابات التي جرت في بيرو الآونة الأخيرة.

السياسة الخارجية لفنزويلا

خارجيا يعمل شافيز على إحداث تغيير نوعي في السياسة الخارجية؛ فقد أعاد الحيوية لمنظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك)، كما سعى لبناء روابط مباشرة مع الدول الأخرى المصدرة للبترول خارج أوبك مثل روسيا، والوصول لأسواق جديدة مثل الصين؛ للتقليل من أهمية السوق الأميركية كأكبر مشترٍ للنفط الفنزويلي. وتنظر فنزويلا إلى الولايات المتحدة في الوقت الراهن باعتبارها التهديد الرئيسي لأجندتها الخارجية والأسئلة التي تطرح نفسها الآن هي: إلى أي مدى تشكل السياسة الخارجية البوليفارية لفنزويلا قطيعة تاريخية مع الماضي؟ وما مدى أهمية هذا التحول؟ وهل يمثل تهديدا لمصالح الولايات المتحدة؟

إن الأهمية الإستراتيجية لفنزويلا ظهرت فقط وبشكل حقيقي بعد اكتشاف النفط في عام ١٩١٤ . ومنذ الحرب العالمية الثانية راهنت فنزويلا على دورها كمزود بارز للنفط للأسواق العالمية، وعلى حضورها الدبلوماسي لمتابعة مصالحها القومية. وقد ساعد النفط فنزويلا على لعب سياسة خارجية قوية؛ فعند ارتفاع أسعاره في السبعينيات شاركت في مجموعة عدم الانحياز وانتقدت السياسة الأميركية بالقارة، ودعمت علاقتها مع كوبا، ولعبت دورا نشطا في إجراءات الأمن الإقليمي بالقارة، ورغم أنها لم تعترض في كثير من الأحيان على ما تبغيه الولايات المتحدة من دمقرطة في الكاريبي وأمريكا اللاتينية، فإنها كانت تقتنع بأن استقرار المنطقة له الأولوية على الأجندة الأميركية.

السياسة الخارجية الفنزويلية أخذت منحى آخر منذ وصول شافيز للحكم، واستخدامه لمصطلح "البوليفارية"؛ حيث يسعى شافيز إلى الدفاع عن الثورة في

فنزويلا، وتشجيع دور قيادي مستقل لبلاده في أمريكا اللاتينية ومعارضة العولمة والسياسات الاقتصادية الليبرالية الجديدة، وأخيرا العمل على نشوء عالم متعدد الأقطاب يمكن من خلاله مواجهة الهيمنة الأميركية.

لذا شهدت فنزويلا نمطا متغيرا يقوم على التقارب المتزايد مع أعداء الولايات المتحدة التقليديين مثل كوبا وإيران ومتحديها المحتملين مثل روسيا والصين، وهذا يزعج الكثيرين داخل مؤسسة السياسة الخارجية الأميركية خاصة بعد تشكك فنزويلا في الحرب العالمية على الإرهاب ومعارضتها الرسمية للحرب في العراق.

وقد كان الهدف الأول لسياسة شافيز الخارجية هو ضخ حياة جديدة في شرايين أوبك وقد نجح تماما في ذلك، رغم أنه لم يستفد كثيرا بالطلب المتزايد على الطاقة في الصين والهند والدول الغربية، كما مد شافيز يديه للأعضاء الآخرين في أوبك حتى أولئك الذين تعاديهم واشنطن مثل ليبيا وإيران والعراق قبل إطاحة صدام حسين.

شافيز أنفق قدرا كبير من الوقت في بناء علاقات مع روسيا والصين، الأولى بسبب طاقتها الإنتاجية البترولية المهمة، والثانية بسبب كونها مستهلكا كبيرا محتملا لصادرات فنزويلا من الطاقة. وبعيدا عن الطاقة، فإن الدولتين شريكتان أساسيتان لفنزويلا في سياستها الخارجية البوليفارية، لأنهما يمثلان مصادر بديلة للتكنولوجيا والعتاد العسكري، وفي ذات الوقت فإن قراراتهما بالتعاون مع فنزويلا من غير المحتمل أن تخضع أو تتأثر بالاعتراضات الأميركية.

ويرى المراقبون أن الهدف المنطقي من هذه السياسة هو تقليل اعتماد فنزويلا السياسي والاقتصادي والعسكري على الولايات المتحدة. وهنا يقول مسؤول

فنزويلي سابق: "علينا أن نتذكر أن فنزويلا من الصعب عليها الهروب من صلاتها بالولايات المتحدة، لماذا؟ لأن المصافي القادرة على معالجة الخام المنتج في فنزويلا توجد كلها تقريبا في الولايات المتحدة".

وداخل القارة اللاتينية، سعت فنزويلا لحشد الدعم من أجل سياسات ومؤسسات إقليمية تستثني الولايات المتحدة. وتمثل منطقة التجارة الحرة للأمريكتين التي ترعاها الولايات المتحدة إحدى نقاط الاحتكاك والخلاف. كما عمل شافيز على إقامة تحالف لشركات البترول المملوكة للدولة في دول أمريكا اللاتينية (Petrosur) لتشجيع تكامل إقليمي أقوى في قطاع الطاقة.

وبشكل مشابه اقترحت حكومة شافيز خلال اجتماع وزراء دفاع دول نصف الكرة الغربي عام ٢٠٠٠ تكامل جيوش أمريكا اللاتينية، وإقامة حلف دفاعي إقليمي بدون مشاركة الولايات المتحدة، وكذا علقت فنزويلا كل ارتباطاتها العسكرية مع الولايات المتحدة وبحثت عن مصادر بديلة للخبرات والمعدات العسكرية من البرازيل والصين وروسيا.

كذلك نبذ حكم شافيز الاتجاه السياسي الإقليمي نحو المؤسسات التي تدافع عن الديمقراطية التمثيلية في المنطقة مثل (منظمة الدول الأمريكية) لصالح خيار الديمقراطية التشاركية كبديل أرقى.

وبعد نجاحه في تحقيق الاستقرار الداخلي في أعقاب فوزه في استفتاء ٢٠٠٤ على قيادته واكتساح الانتخابات المحلية والتشريعية، يركز شافيز على توصيل رسالته للمجتمع الدولي، فقد أطلقت الحكومة الفنزويلية قمرا صناعيا بديلا باسم (Telesur) ليحل محل وسائل الإعلام الأمريكية من قبيل CNN، كما تنظر الحكومة الفنزويلية لمشروعها الإعلامي البديل باعتباره آلية مهمة لتطويق دور

الشركات الإعلامية الفنزويلية الخاصة التي تنظر إليها الحكومة باعتبارها معادية للثورة.

وسعت فنزويلا لاستخدام ثروتها النفطية في جلب التأثير عن طريق شراء الديون الدولية لدول في جوارها الإقليمي، مثل الأرجنتين والإكوادور، واستخدمت هذه الثروة أيضا في تنشيط سياستها في إمداد دول الكاريبي وأمريكا الوسطى بالبترول المدعم.

وقد أثارت هذه السياسة النزاع مع عدد من الدول المجاورة بسبب الاشتباه بأن حكومة شافيز تمول جماعات سياسية إما مشكوك بولائها (بوليفيا وبيرو) أو غير موالية على الإطلاق (كولومبيا) للأنظمة الديمقراطية المحلية.

وخلال الفترة ذاتها دخلت فنزويلا من الناحية الفعلية في تحالف مع كولومبيا التي اتسمت علاقتهما خلال العقدين الأخيرين بالتوتر، وأقامت تحالفا آخر مع كوبا؛ حيث تشكل الأخيرة لفنزويلا مصدرا للخبرة التكنولوجية المطلوبة لدعم الثورة البوليفارية، كما يساعد تدفق الأطباء والمعلمين والمدربين الرياضيين وخبراء الأمن الكوبيين إلى فنزويلا شافيزَ في الوفاء بمتطلبات جماهيره وناخبيه، وعلى وجه الخصوص تمد كوبا فنزويلا بكادر يمكن التعويل عليه في البرامج الحكومية الجديدة للحد من الفقر. وفي المقابل تحصل كوبا على حوالي ٩٠ ألف برميل من البترول يوميا إما بشروط دفع تفضيلية وإما مقابل سلع.

المأزق الأمريكي

ما هو الاستخلاص الأخير لدى الولايات المتحدة عن ثورة فنزويلا البوليفارية؟ يرى الباحث "هارولد ترينكناس" أنه من المهم لدى مناقشة سياسة فنزويلا

الخارجية أن نتذكر أن المصالح الوطنية الفنزويلية لا يمكن أن تتطابق مع مصالح الدول المتقدمة، وعلينا أن نتوقع الاختلاف حتى في علاقة (يقصد العلاقة بين فنزويلا والولايات المتحدة) اتسمت تاريخيا بالاعتماد المتبادل الذي تمخض عن وجود البترول؛ إذ يبدو واضحا بشكل متزايد أنه عندما يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية البوليفارية فإن الأفضلية تكون للسياسة على حساب الاقتصاد.

وإذا أخذنا في اعتبارنا أن شافيز من المرجح أن يفوز في انتخابات ٢٠٠٦، فإنه يبدو أنه سيظل مصدر إزعاج لواشنطن لفترة كبيرة من الوقت. وهذا يضع واشنطن في موقف صعب عند تعاملها مع الثورة البوليفارية، وخاصة أن هناك تعاطفا -ولو قليلا- داخل أمريكا اللاتينية أو دوليا مع سياسة المواجهة مع الحكومة الفنزويلية كما يشير الباحث.

ولا يعني هذا المأزق الأمريكي أن السياسة الخارجية البوليفارية من المرجح أن تحقق نجاحا معقولا أو مرضيا، ففنزويلا لم تنجز سوى الحد الأدنى من أهداف سياستها الخارجية وهو حماية الثورة، ودورها القيادي في أمريكا اللاتينية لا يزال محدودا في أحسن الأحوال، وجهودها لبناء مؤسسات إقليمية بديلة تواجه الإخفاق، كما أن نجاح فنزويلا في ضخ حيوية جديدة في أوبك كان سيتم حتى في غياب شافيز لعوامل تعود للطلب العالمي على الطاقة منذ عام ٢٠٠٠ .

أما فيما يتعلق بالتحالف مع كوبا، فإن من شأنه -كما يرى تقييم الباحث- أن يقوي على الأغلب حكومة شافيز بالداخل وليس على المسرح العالمي. وعلى الجانب الكولومبي، فقد ضعف سريعا النفوذ الفنزويلي؛ لأن الدولة الكولومبية أصبحت أقوى وأفضل استعدادا للتعامل مع العنف داخل حدودها، فيما فقد معارضوها الداعون للعنف قاعدتهم منذ وصول شافيز للحكم.

أما فيما يختص بأحلاف فنزويلا الجديدة مع روسيا والصين، فليس من المرجح أن تعود بالكثير بالنسبة لتحقيق تفوق عسكري مقابل جيرانها، خاصة لو أخذنا بالاعتبار قوة كولومبيا المتنامية، وحتى التطور الخاص بإيجاد أسواق بديلة لصادرات البترول الفنزويلي، فإنه يبدو من الصعب أن تسوغ أو تبرر على أي أسس غير سياسية.

ومن جانب آخر، يستبعد الكاتب الأميركي أن ينتشر هذا النموذج البوليفاري بالمنطقة لسببين؛ الأول: هو أن الثورة البوليفارية لا تمثل نموذجا لأيديولوجية متماسكة يمكن أن تتكرر في الدول الأخرى؛ لأنها تعتمد على شخصية كاريزمية مثل شافيز. والسبب الثاني: هو أن هذه الثورة تعتمد بشكل متزايد على توزيع كميات كبيرة من دخل البترول على الناخبين الأساسيين في فنزويلا، فيما تفتقد دول أمريكا اللاتينية الأخرى هذا المستوى من الموارد، كما أنها لم تظهر في الماضي نجاحا كبيرا في إعادة توزيع الثروة.

لكن يقر الكاتب، وإن استبعد أثر المتغير الخارجي، بأن ذلك لا يعني أن المنابع الأساسية لإثارة الغضب السياسي في أمريكا اللاتينية -مثل الفقر وعدم المساواة الحاد في توزيع الدخل، والسياسات الاقتصادية العقيمة- سوف تختفي أو تتوارى قريبا، وهو ما قد يدفع إلى احتمال ظهور حكومات بالمنطقة تتعاطف أو تتجانس مع بعض عناصر سياسة فنزويلا الخارجية؛ وهو الأمر الذي من شأنه أن يثير ذعر واشنطن

موقع إيران في سياسة فنزويلا الخارجية

على الرغم من أن فنزويلا دأبت منذ فترة طويلة على تنمية علاقات طيبة مع حكومات الشرق الأوسط، التي كانت تشاركها اهتماماتها في المحافظة على

ارتفاع أسعار النفط، إلا أن قيام كاراكاس بتوثيق علاقاتها مع إيران في الفترة الأخيرة، ينهض كدليل رئيسي على رغبتها في القيام بجهود لبناء تحالف للحد من النفوذ الأميركي في الدول النامية. وأثناء الزيارة التي قام بها الرئيس الفنزويلي "هوجو شافيز" ووزير نفطه "رافائيل راميريس" إلى إيران صيف ٢٠٠٦، وافقت الدولتان على إنشاء مشروعات مشتركة لإنتاج ١٢ منتجاً مختلفاً تشمل النفط الخام والأدوية. وفي إشارة أخرى على أن علاقاتهما قد اتخذت بعداً جديداً، بدأت الدولتان تتحدثان بلغة أكثر تقارباً من ذي قبل عند نقدهما لإسرائيل والولايات المتحدة الأميركية. وتعزيز الروابط بين الدولتين جعل إيران هي حليف فنزويلا الأوثق خارج أميركا اللاتينية، ومنح المزيد من التأثير لجهود الرئيس شافيز داخل منظمة "الأوبك" الرامية لزيادة عوائد النفط. علاوة على ذلك نجد أن فنزويلا قد أصبحت أعلى المدافعين عن البرنامج النووي الإيراني صوتاً، في وقت تشعر فيه إيران بخطورة السعي الأميركي إلى عزلها على الساحة الدولية. وعلى الرغم من أن فنزويلا تحتفظ بعلاقات اقتصادية وثيقة مع الولايات المتحدة، إلا أن العلاقات بينهما توترت بسبب التراشق اللفظي المستمر بين إدارة بوش والرئيس شافيز. علاوة على ذلك أظهر شافيز مؤخراً رغبة في تقوية علاقته مع سوريا حيث أرسل نائب وزير خارجيته "ألسيديس روندون" إلى دمشق قبل أن يزورها. كما أنه زار الصين زيارة رسمية، تهدف إلى إيجاد طرق لشحن المزيد من النفط الفنزويلي إلى المصافي الصينية، كما ينوي أيضاً أن يقوم بزيارة إلى ماليزيا وأنجولا.

والآن ومع زيادة الاستثمارات الإيرانية في فنزويلا، فإن ما بدا في البداية كخيط رفيع من المشروعات، قد تطور الآن ليصبح نموذجاً شديد الوضوح لتحرك

فنزويلا لإعادة صياغة سياستها الخارجية، والنأي بنفسها عن الولايات المتحدة الأميركية، من خلال التواصل مع الدول التي تقع على هامش النفوذ الأميركي مثل روسيا البيضاء، وزيمبابوي وكوبا. وتعزيز العلاقات مع إيران أدى إلى المزيد من الاحتكاكات مع الولايات المتحدة. ففي شهادته أمام الكونجرس قال "فرانك إيربانسيك جي آر"، نائب المنسق الرئيسي لمقاومة الإرهاب في وزارة الخارجية الأميركية إن علاقة فنزويلا الوثيقة مع إيران وكوبا، والتي شملت المشاركة في عمليات استخبارية مشتركة، تقدم دليلاً على الافتقار شبه الكامل للتعاون مع الجهود الأميركية لمقاومة الإرهاب. وقد أقدمت الولايات المتحدة على خطوة استفزازية جديدة ضد شافيز، وذلك عندما قامت بتعيين "باتريك ماهر" الموظف السابق الذي أمضى مدة طويلة في خدمة وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية للإشراف على عمليات جمع المعلومات الاستخباراتية عن فنزويلا وكوبا. والنهج الأكثر استفزازاً وعدائية الذي تنتهجه الولايات المتحدة في التعامل مع فنزويلا، أدى إلى العديد من ردود الفعل الحادة من المسؤولين في هذه الدولة، الذين يرون أن الولايات المتحدة تقوم بهذه الاستفزازات تمهيداً للقيام بعمل عسكري ضد بلادهم في إطار خطة للسيطرة على مصادر الطاقة فيها باعتبارها أكبر دولة تمتلك احتياطياً للنفط خارج منطقة الشرق الأوسط.

يذكر أن فنزويلا قد ساعدت إيران في مجال تسعير صادراتها النفطية بـ"اليورو" بدلاً من الدولار، في خطوة تهدف إلى إضعاف نفوذ بنوك الاستثمارات الأميركية، وحماية أرصدتها المالية، وخلق بورصة نفطية في إيران للتعامل في مثل هذه العقود. وحول هذه النقطة يقول السيد "ألبيرتو جاريدو" المؤرخ الذي يقوم في الوقت الراهن بكتابة كتاب عن علاقات فنزويلا بالدول الإسلامية: "من

الناحية الجيوبوليتيكية فإن أهم جبهة لشافيز في العالم هي إيران... فتحالفه الاستراتيجي مع هذه الدولة يعتبر -على حد تعبيره هو وتعبير مستشاريه- وسيلة لمواجهة القوة الأميركية". والعلاقات القوية بين فنزويلا والعالم الإسلامي ليست بالشيء الجديد إذ ترجع إلى إنشاء منظمة "الأوبك" في الستينيات، أما التقارب مع إيران، فقد بدأ في منتصف التسعينيات بفضل "نوربيترو سيريبسول" عالم الاجتماع الأرجنتيني المعروف بآرائه المعادية للسامية، والذي عمل لفترة مستشاراً لشافيز قبل أن يتوفى عام ٢٠٠٣ . وبعد انتخاب شافيز رئيساً لفنزويلا عام ١٩٩٨ فإنه جعل العلاقات مع إيران أولوية من أولوياته في إطار محاولته لدفع منظمة "أوبك" لرفع أسعار النفط. بيد أن التصريحات الأخيرة التي أدلى بها شافيز حول العالم الإسلامي وإيران تثير قلق البعض في فنزويلا، الذين يرون شافيز يقترب أكثر من اللازم من القادة المسلمين في حين أنه لا يوجد سوى القليل من الأشياء المشتركة بين نظمهم وبين النظام السياسي الفنزويلي القائم على التعددية. يذكر أيضاً أن شافيز أدلى عندما كان في زيارة لقطر، بتصريح وصف فيه ما تقوم به إسرائيل من عمليات عسكرية في لبنان بأنه "هولوكوست جديد" ضد هذا البلد، وأنها تنفذ تلك العمليات بأسلوب هتلري وبطريقة فاشية.

ويقول المحللون السياسيون في كاراكاس إن التعليقات الأخيرة ضد إسرائيل والخطوات الأخيرة التي قام بها شافيز مثل تعيين "نيكولاس مادورو"، الذي كان قد زار إيران لإظهار دعم بلاده الصريح لبرنامجها النووي، تعد دليلاً على رغبة فنزويلا في إضفاء المزيد من الراديكالية على سياستها الخارجية، وجعل علاقاتها مع إيران نقطة محورية في هذه السياسة

اختراق فنزويلي لبريطانيا العظمى

لقد قوبلت زيارة الرئيس تشافيز للندن بحماس عظيم. إذ جاء آلاف المؤيدين لرؤية الرئيس خلال زيارته التي دامت يومين واستقبله خلالها محافظ مدينة لندن، كين ليفنستون.

لقد نظمت حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا خمس مسيرات ترحيبية بالرئيس في مناطق مختلفة يومي الزيارة بمساندة مطلقة من طرف الحلقات البوليفارية وحملة التضامن الفنزويلية. بدأ هذا بمسيرة حاشدة نظمت أمام الفندق حيث يقيم الرئيس وسط لندن. أتى المتظاهرون بالأعلام واللافتات واليافطات، مرتدين أقمصة حمراء وبوجوه ملونة. استمرت الأغاني والشعارات طيلة ثلاث ساعات قبل أن يأتي الرئيس أخيرا ليتردد صدى شعار: Uh! Ah! Chavez no se va! بشكل متواصل في مدخل فندق سافوي.

قام روب سويل من قيادة حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا، بالترحيب بالجميع باسم الحملة، ووضح أن زيارة تشافيز هذه مناسبة تاريخية لتحية الثورة الفنزويلية. وقال: «قبل ليلتين، نظمت ارفعوا أيديكم عن فنزويلا في النمسا لقاء ضم ٥٠٠٠ شخص للترحيب بالرئيس. يجب علينا أن نواصل حملة الترحيب هذه في بريطانيا، وهو ما يجب أن يوظف لبناء الدعم للثورة»

إذ ذاك وصل الرئيس، وكان الجمع قد وصل إلى ٢٠٠٠ شخص، العديد منهم كانوا يحملون رايتهم ويافطاتهم. وبمجرد ما خرج الرئيس من سيارته، اندفع الجمع إلى الأمام واستقبلوا الرئيس بعاصفة من الترحيب. كان الأمر أشبه بتدافع لاعبي الرجبي. الرئيس، من جهته، ضرب بجميع أنظمة البروتوكول عرض الحائط وامتزج بالجمع مصافحا ومرحبا بالجميع وخاصة ممثلي حملة (ارفعوا أيديكم عن فنزويلا).

رحب إيسبي إيسبيغار القيادي في حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا، بالرئيس تشافيز نيابة عن الحملة وتقدم بالترحيب الحار نيابة عن جميع الحاضرين. بعد هذه المحادثة القصيرة شكر الرئيس الحملة على العمل الهائل الذي تقوم به لدعم الثورة الفنزويلية وقال: «أشكركم على ما تقومون به وأحثكم على أن تواصلوا لأن هذا هام جدا لنا وللثورة».

بالنظر إلى تأخر مجيء الرئيس، فقد ألغيت الزيارة التي كانت مبرمجة لـ Mi-randa House وسار الجمع إلى Camden Centre مئات الأشخاص اصطفوا حول البناية، يرفعون الشعارات ويلوحون بالأعلام.

لقد كان الذنب ذنب المنظمين الذين لم يستمعوا لطلبات منظمات التضامن التي كانت تضغط من أجل تمديد فترة الزيارة. فعندما سمعنا نحن حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا بالزيارة لأول مرة، اتصلنا مباشرة بالسفارة الفنزويلية بلندن وحاولنا توفير قاعة The Royal Albert للقاء جماهيري مع تشافيز. لكن مع الأسف، وبالرغم من إرسالنا لتمثيليتنا، فإن جهودنا ذهبت سدى. وتم إخبارنا لاحقا بأن تنظيم الزيارة قد وضع حصرا في يد كين ليفنيستون محافظ لندن العظيم. لقد جهزت حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا الملصقات والمنشورات لهذا اللقاء، لكن أخبرونا بأنه من غير المسموح به القيام بأية دعاية. وبالرغم من إصرارنا على ضرورة أن يكون اللقاء مفتوحا، فإن مكتب المحافظ قرر، بشكل أحادي، أن الحضور سيكون بالدعوات فقط.

القدرة الاستيعابية لمركز Camden، هي ٨٠٠ شخص، لكن أكثر من ٥٠٠٠ شخص سجلوا طلباتهم للحضور عبر عنوان سلطات لندن المبجلة. من الغريب أن محافظ مدينة لندن لم يتمكن من إيجاد مكان أكبر من هذا. وبسبب ذلك

تم إقصاء مئات الأشخاص عن الحضور. لم يخصص لحملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا سوى ١٠٠ تذكرة، نفدت كلها خلال ساعة واحدة. وقد سجل مئات آخرون طلباتهم على موقع ارفعوا أيديكم عن فنزويلا، لكن وبسبب النقص الفاضح للتذاكر فقد كنا عاجزين على تلبية طلباتهم. القاعة نفسها غصت بحضور متحمس يرفع اللافتات ويلوح بالأعلام. لقد قيل لحملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا أن الرايات ستكون ممنوعة في اللقاء، لكن الحالة لم تكن كذلك، ومن ثم قمنا بسرعة بإحضار رايتنا الكبيرة ونشرناها على الشرفة المقابلة للمنصة.

كين لفنستون، الذي ترأس الحدث، طلب من اثنين من الخطباء تقديم اللقاء، الأول كان هو كيث سونيت، مساعد الأمين العام لـ Unison، عن مركز المعلومات الفنزويلي، الذي أراد أن يخبر أولئك الذين هددوا فنزويلا أن يعرفوا أنهم واجهوا معارضة كبيرة. والثاني كان هو جيريمي دير، الأمين العام للاتحاد الوطني للصحفيين، ممثلا عن حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا.

أكد جيريمي على أن زيارة الرئيس تشافيز لها تأثير محفز. نوه بمجهودات كين لفنستون كمضيف، لكنه أشار إلى أن قاعة أكبر كانت ستكون أكثر ملاءمة بالنظر إلى الآلاف من الناس الذين يريدون سماع تشافيز وقال: «هناك آلاف الأشخاص خارج هذه القاعة يتحرقون لسماع تشافيز». وطلب من الرئيس أن يعود لزيارة لندن مستقبلا حيث سينظم له استقبال أكبر من هذا بكثير.

عندما تم تقديم الرئيس تشافيز، لوقي بترحيب حماسي من طرف الجموع. شكر تشافيز الشعب البريطاني على حسن ضيافته وألقى خطابا دام ثلاث ساعات، أشار فيه إلى خلفية الثورة البوليفارية والنجاحات التي حققتها. في

مستهل خطابه، أشار تشافيز إلى اللقاء الذي نظم في فيينا والذي ضم ٥٠٠٠ شاب. وشكر علانية آلان وودز وحملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا على تنظيمهم لذلك اللقاء الرائع.

وانكب هوجو تشافيز على تحليل الثورة البوليفارية وإسهامات سيمون بوليفار وفرانسيسكو ميرندا، الذي زار لندن وأقام فيها. وشرح كيف أن الثورة الصناعية العظمى في بريطانيا والثورة الفرنسية العظمى أثرت في كبار مفكري ذلك العصر. لقد استوحى نضال بوليفار الدروس من تلك الأحداث التي عرفتها أوروبا. كما نوه تشافيز بالاشتراكية العلمية لماركس وإنجلز التي يجب ألا تعامل بدوغمائية. وتحول نحو مهاجمة الرأسمالية والإمبريالية بسبب الدمار الذي تسببه لكوكب الأرض. وأشار إلى روزا ليكسمبورغ وإسهامها العظيم وردد جملتها: « الاشتراكية أو الهمجية ».

أكد تشافيز على إيمانه بالاشتراكية وأعلن: « إنني اشتراكي. نحن جميعا اشتراكيون ». وقال إن الاشتراكية هي الطريق الوحيد لإنقاذ العالم، وإنقاذ المستقبل المهدد بالرأسمالية. وواصل إلى أن قال بأن الفكرة التي تتحدث عن نهاية التاريخ خاطئة تماما. وفي إشارته إلى قوة الأفكار العظيمة، أكد تشافيز إلى أن كارل ماركس، وإنجلز ولينين وشي غيفارا لم يموتوا. إنهم أحياء اليوم من خلال أفكارهم. وقدم تشافيز عرضا غير متوقع لإمداد الأحياء الفقيرة بلندن بالنفط بأثمان مخفضة من اثنتين من مصافي النفط التابعة لشركة PDVSA ببريطانيا، وهو ما قبله المحافظ. وهذا مشابه للعرض الذي سبق تقديمه في الولايات المتحدة. ومع وصول اللقاء إلى نهايته، تقدم تشافيز إلى واجهة المنصة لمصافحة المساندين. بالرغم من جميع المشاكل كان اللقاء حماسيا جدا.

تشافيز في
مقر المؤتمر النقابي

في اليوم التالي دعت حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا إلى تظاهرة استقبال أمام مقر المؤتمر النقابي وسط لندن.

إلا أن تشافيز لم يتحدث عن العولمة، كما هو متوقع بل عمل على إعطاء المجلس العام للنقابات درسا في التاريخ، بدءا بالثورة الفرنسية. وأشار إلى أن الثوري الفنزويلي العظيم ميراندا كان قد أقام في لندن كمنفي سياسي، حيث تأثر بالثورة الصناعية البريطانية والأفكار الجديدة المرتبطة بها. وقال إنه حتى خلال تلك الفترة، ظهر جليا أن الأفكار التي طرحها كانت تذهب إلى أبعد من حدود النظام الرأسمالي. وهو ما شكل نقطة الانطلاق لبوليفار.

أكد تشافيز أن تلك الأفكار كانت في جوهرها أفكارا قبل اشتراكية. ربما لم يسمع أعضاء المجلس العام أبدا باسم ميراندا، لكنهم سمعوا بالتأكيد باسم المنفي السياسي الآخر الذي ذكره تشافيز: « لقد عاش ماركس هنا ودفن هنا. لقد كان واحدا من أعظم منظري الاشتراكية العلمية. لم يكن بوليفار ملما سوى بالاشتراكية الطوباوية. إلا أن بعض الناس يريدون دفن الاشتراكية. لكن هذا غير ممكن.- وأضاف- يتحدث ممثلو الرأسمالية والليبراليون الجدد عن فشل النظام الاشتراكي. لكن الذي فشل هو أفكارهم».

عندها انتقل تشافيز إلى الحديث عن المرحلة الما- قبل كولومبية للمجتمع الأمريكي اللاتيني وكيف أنه، قبل الغزو، كان هذا المجتمع يعيش في ظل نظام اشتراكي حيث لا توجد أي ملكية خاصة. وعاد مجددا إلى موضوع الاشتراكية

وخاصة الاشتراكية العلمية (أي الماركسية). وبينما أشار إلى انهيار الاتحاد السوفيتي قال إنه من المهم أن نستخلص جميعا دروس الماضي. إننا بحاجة إلى جهود جديدة وبدائل جديدة لتشييد الاشتراكية.

قال: « للطبقة العاملة العالمية، بما فيها الطبقة العاملة البريطانية، دور حاسم تلعبه في هذا السياق». وأضاف: «إننا نريد بناء اشتراكية القرن الواحد والعشرين». هناك تهديد للعالم بحدوث كارثة بيئية، ونشهد الحرب على العراق والتهديدات ضد إيران. «لا يمكننا ضمان مناصب شغل ولا سكن ولا الحياة في ظل الرأسمالية. إن هذا مستحيل كليا في ظل الرأسمالية. فقط انظروا إلى مشاكل بطالة الشباب في أوروبا، أزمات أنظمة التقاعد وغيرها. إننا معادون للإمبريالية، لكننا لسنا معادين للمواطنين العاديين في الولايات المتحدة. إنهم أصدقاؤنا».

في رده على أحد الأسئلة، أكد تشافيز أن حكومته « حكومة عمالية، مخلصة للعمال» وختم خطابه بالقول: « هناك انعطاف حاسم نحو اليسار في أمريكا اللاتينية. وسيحدث هذا في أوروبا وفي العالم أجمع كما آمل، هذا هو الأمل الوحيد للعالم اليوم » وكتعبير عن الصداقة، قدم المجلس العام لتشافيز بترجمة إسبانية للكتاب الاشتراكي الكلاسيكي الإنجليزي The Ragged Trousered Philanthropist، لروبرت تريسل.

لقد كان هذا الخطاب بالتأكيد أكثر الخطابات التي ألقت في المجلس العام جذرية خلال الخمسين سنة. بعد الاجتماع في مقر النقابة ذهب أعضاء حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا، إلى مقر البلدية، حيث كان تشافيز ينظم مؤتمرا صحفيا وإلى البرلمان لحضور الجمع الترحيبي.

حضر المؤتمر الصحفي حوالي ٢٠٠ شخص، كان أول سؤال وجه إلى تشافيز جاء من مراسل قناة CNN، الذي سأل لماذا "أهان" تشافيز توني بلير؟. فرد تشافيز بحسم إن هذا السؤال غبي وأنه كان على المراسل أن يكون أكثر اطلاعا على الأحداث. فالزيارة كانت خاصة وأنه يرفض الطريقة التي تحاول بواسطتها وسائل الإعلام خلط الأمور. بعدما ناقش هذه القضية بإيجاز، تلقى أسئلة استفزازية أخرى من بينها واحد يقول إن فنزويلا تتصرف على الطريقة الإمبريالية، حيث تستعمل النفط كسلاح سياسي للحصول على ما تريد فرد الرئيس: « ليس لدينا أي مخطط لاحتكار النفط والغاز. نحن فقط نعمل على خلق خطط اندماجية، مثل ما يحدث في أوروبا».

وعندما تم تشبيه تشافيز، من طرف أحد المراسلين الفنزويليين، بجورج بوش، رد تشافيز باستنكار: « لا تشبهني به مطلقا. هل قمت أنا مرة بمهاجمة أو اجتياح بلد آخر؟ هل قتلت أحدا؟ إن جورج بوش مجرم، إنه سفاح. يتوجب أن يحاكم على هذه الجرائم ويوضع في السجن ». لقد تم تلقي هذا الكلام بعاصفة من التصفيق من طرف المدعوين بل وحتى بعض الصحفيين. إلا أن هذا التعاطف لم يقتسمه معهم الصحفيون الأميركيون الذين حضروا الأسئلة الاستفزازية المألوفة.

بلير والطريق الثالث

بعدها وخلال فترة ما بعد الظهر، نظم اجتماع لمائة وخمسين شخصاً لأجل تشافيز في مجلس العموم استضافه كولين بورغون، النائب البرلماني وعضو الأصدقاء العماليين لفنزويلا. كانت حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا ممثلة من طرف آلان وودز، روب سويل وجيريمي دير، كما كان هناك النائب جون ماك دونيل والنائب جيريمي كوربين.

أمام تمثال وينستون تشرشل، ألقى تشافيز الخطاب الأكثر كفاحية من بين جميع الخطابات التي ألقيت على الإطلاق في محيط قصر ويستمنستر. وقد كان مشابها في خطوطه العريضة لذلك الخطاب الذي ألقاه في مقر النقابة، حيث تطرق لتاريخ النضال التحرري في فنزويلا، شرور الرأسمالية والطريق الاشتراكي الذي يجب السير عليه. إلا أنه توجه بخطابه، بشكل أساسي، إلى حزب العمال وتقاليده الاشتراكية والعمالية قائلا:

«نحن نعرف من أين أتى حزب العمال وتراثه، ونحن نتماهى كليا مع ذلك التراث». وواصل قائلا: « إنني لا أريد التدخل في الشؤون السياسية الداخلية لبريطانيا، لكنكم جميعا سمعتم شيئا ما عن "الطريق الثالث"»، في إشارة واضحة إلى أفكار توني بلير، «لقد اقنعتني تجربتي أنه لا يوجد هناك أي طريق ثالث بين الرأسمالية والاشتراكية. إن الطريق الوحيد للتقدم أمام الإنسانية هو الاشتراكية».

عندها انتقل تشافيز إلى القول: « إنهم يحاولون إخافتنا بقوة الإمبريالية، لكننا لسنا خائفين. هناك قوة أعظم من قوة الإمبريالية، هي الرأي العام العالمي والتي أعني بها قوة شعوب العالم. يجب علينا ألا نحصر نضالنا على الشوارع. يجب علينا حسم السلطة ».

إنها المرة الأولى، منذ عدة أجيال، حيث يلقى شخص مًا خطابا في أم البرلمانات يتحدث فيه عن الاشتراكية والثورة العالمية. لقد استقبل خطابه بحرارة كبيرة وترك تأثيرا عميقا في الحاضرين، خاصة عندما وصف تشافيز أحداث انقلاب أبريل ٢٠٠٢ . « لقد اعتقدت أني كنت سأموت ذلك اليوم. في الواقع لقد حاولوا قتلي في ثلاث مناسبات لكن الجنود الذين كانوا يحرسونني منعوهم من ذلك. وفي النهاية أنقذنا الشعب ».

وكما العادة تكلم دون الاعتماد على ملاحظات معدة مسبقا، بل اكتفى، بين الحين والآخر، بقراءة بعض الإحصائيات من ملفات كبيرة الحجم. بدأ خطابه بالإشارة إلى النجاحات التي حققتها الثورة البوليفارية. وبين أن منظمة اليونيسيف قد أعلنت، للمرة الأولى، أن فنزويلا قد تخلصت نهائيا من الأمية. في الماضي كان ٦٠٪ من الأطفال فقط يلتحقون بالمدرسة، أما الآن فقد تجاوز الرقم إلى ٧٥٪. ميزانية التعليم ارتفعت إلى ٨٪ من الناتج الداخلي الخام وكذلك الصحة. وقال :

«إننا نطور قطاع الصحة والتشغيل والتعليم،تتوفر عندنا مراكز تشخيص الأمراض ويمكن للشعب أن يرتادها مجانا، وذلك بفضل كوبا. عندنا ٢٠٠٠ طبيب ومعاون كوبي في فنزويلا، يوفرون الخدمات الصحية». «وخلال السنوات الثلاثة الماضية سجلت ١١٧ مليون زيارة لمستشفيات الجراحة و١٦,٨ مليون زيارة لأطباء الأسنان، أجرينا ٢٠٠٠٠٠ عملية جراحة ضد مرض الماء الأزرق (cataracts)، وهي عملية مدتها ١٥ دقيقة تمكن المرء من الرؤية بشكل سليم. لقد التقيت أناسا بكوا أمامي لأنهم اعتقدوا بأنهم لن يروا ضوء الفجر أو القمر مجددا أبدا». قال تشافيز: «إن الصحة حق للفقير كما هي للغني. لماذا لا تكون كذلك؟ يجب ألا تخوصصوا قطاع الصحة. إن الصحة حق للجميع!».

قال إن احتياطات البلاد من العملة الصعبة ارتفعت من ١٠ مليارات دولار، قبل ثلاثة سنوات، إلى ٣٠,٤ مليار دولار اليوم. معدل البطالة انخفض إلى النصف وقريبا سوف يصير رقما هزيلا. معدل التضخم انخفض من ١٠٠٪ إلى حوالي ١٠٪. الناتج الداخلي الخام ارتفع خلال تسعة أرباع متواصلة، مسجلا نموا هائلا، ليس فقط في قطاع النفط. هناك مشاريع كبيرة للبنية التحتية، يتم التخطيط لها، تتطلب استثمارات دولية.

لسنا نعلم هل سيؤدي هذا الخطاب إلى الرفع من استثمارات الرأسماليين البريطانيين في فنزويلا. إن هذا رهين بأي من هذين الأمرين هو الأقوى: طمعهم في الأرباح أم خوفهم من الثورة. قال أحد الحاضرين الذي كان يرتدي بذلة أنيقة، وهو في طريقه إلى خارج القاعة، إن نقوده ستكون آمنة في مكان آخر. لكن على كل حال، لا يمكن للرئيس أن تكون له أية أوهام حول أن الأصدقاء الحقيقيين للثورة البوليفارية ليسوا هم الجمهور الأنيق الذي حضر في القاعة، بل هم العمال والنقابيون والشباب البريطانيون.

بعد اللقاء، خرج تشافيز ببطء من البناية شاقا طريقه عبر جموع المؤيدين. وهكذا انتهت زيارة ناجحة جدا، ساعدت بدون شك في تصليب حركة التضامن مع الثورة الفنزويلية وخاصة حملة ارفعوا أيديكم عن فنزويلا، وتقوية قوى اليسار داخل الحركة العمالية البريطانية والنقابات. لقد أعادت مجددا طرح قضية الاشتراكية والثورة على جدول أعمال الحركة العمالية البريطانية بطرق لم يكن من الممكن توقعها قبل سنوات. إن التاريخ لم ينته، لقد بدأ للتو.

الفصل الثامن

أميركا وفنزويلا .. المؤامرة والنفط

شـأنهـا شـأن باقي دول أمـيـركـا الجنوبيـة، اقـتـضت الظروف والأوضـاع الجيواستراتيجية، منذ بدايات القرن التاسع عشر، أن تقبع فنزويلا داخل الفناء الخلفي أو الجنوبي للولايات المتحدة، حسبما ورد في مبدأ مونرو، ومنذ استقلالها عن الإمبراطوية الإسبانية في عام ١٨٣٤، أضحت فنزويلا مصدراً لإمداد الولايات المتحدة باحتياجاتها من البن والفواكه من خلال شركة الفواكه المتحدة التي كانت تقوم بنقل منتجات دول أميركا الجنوبية من البن والفواكه إلى واشنطن بأبخس الأسعار.

ومع اكتشاف النفط في شمال شرقي فنزويلا بكميات هائلة خلال النصف الأول من القرن المنصرم، بات البترول يمثل متغيراً مهمّاً في معادلة العلاقات الأميركية- الفنزويلية بنفس القدر الذي فرض به نفسه على مجمل تفاعلات فنزويلا الإقليمية والعالمية، بل والمحلية أيضاً، لاسيما وأن واشنطن قد أعدت عدتها من أجل ضمان تدفق النفط الفنزويلي إليها على نحو منتظم وبأقل الأسعار، ومع تفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في فنزويلا وتفجر الأزمات السياسية المتتابعة داخلها، بدأ الأميركيون يستشعرون خطورة الأوضاع في هذا البلد وما يمكن أن تمثله من تهديد لأمن واشنطن النفطي، لذلك أدرجت وكالة الاستخبارات المركزية CIAفنزويلا ضمن البؤر المهمة على خريطة نشاطاتها، فإذا بها تحيك من المؤمرات وتدبر من الترتيبات والإجراءات والأزمات المفتعلة ما يجعل الأوضاع الداخلية في هذا البلد تسير باتجاه المصالح النفطية الأميركية، تحت مظلة الجهود الأميركية لمناهضة المد اليساري في أميركا الجنوبية.

لقد كانت فنزويلا تنتج ٢,٥ مليون برميل من النفط يومياً، يذهب ١,٥ مليون برميل منها إلى واشنطن التي كانت تعتمد على فنزويلا في الوفاء بما نسبته ١٤٪ من احتياجات النفط الأميركية.

وبينما كان الاقتصاد الأميركي حالياً يسعى إلى التعافي تدريجيّاً وببطء شديد، فقد أصبح النفط الفنزويلي بمثابة واحد من بين قوارب النجاة التي يحتاجها الأميركيون في تلك المرحلة الحرجة، إذ يتطلع الأميركيون إلى أن تظل تدفقات النفط الفنزويلية إلى السوق العالمية وإلى الأسواق الأميركية منتظمة بلا توقف لئلا تختل سوق النفط العالمية ويهتز الاقتصاد الأميركي بالتبعية في وقت أحوج ما تكون فيه إدارة بوش لرضاء الناخبين الأميركيين عن أدائها الاقتصادي. ومع وصول شافيز إلى قمة السلطة في كراكاس وتبنيه سياسات مزعجة بالنسبة لواشنطن، تفاقمت المخاوف الأميركية، التي تعززت مع تولي وزير النفط الفنزويلي روديجز منصب الأمين العام لمنظمة الدول المصدرة للنفط، أوبك.

بيد أن دخول عامل النفط كعنصر مهم في العلاقات الأميركية- الفنزويلية لم يكن فقط وثيق الصلة بحاجة واشنطن إلى نفط فنزويلا ورغبتها في الإبقاء على حكومة موالية للأميركيين في كراكاس، وإنما كان كون فنزويلا خامس أكبر دولة مصدرة للنفط عالميّاً، بمثابة عامل مساعد يمكن توظيفه لخدمة سياسات كراكاس على مختلف الأصعدة، المحلية منها، الإقليمية والدولية، وهو ما لم يكن ليتسنى دون احتفاظ البلاد بتدفق إلى السوق العالمية، والأميركية تحديداً، وذلك حتى تبقى شعرة معاوية بين كراكاس وواشنطن قائمة، لا سيما بعد أن أدرك

شافيز استحالة القطيعة التامة أو العداء الحاد مع الأميركيين، فإذا كانوا في حاجة إلى نفطه، فهو أيضاً في أمس الحاجة إلى استثماراتهم المباشرة وغير المباشرة التي تعتبر مصدر الجذب الرئيسي للاستثمارات العالمية الأخرى التي سبق أن غادرت فنزويلا على إثر ما أشاعته واشنطن بشأن غياب الاستقرار السياسي والاقتصادي في فنزويلا، الأمر الذي اضطر شافيز إلى تخفيض قيمة العملة الوطنية بنسبة٥٠٪ حتى يحتفظ بأقل قدر ممكن من العملات الصعبة. علاوة على ذلك، يعي شافيز جيداً أن قطاع النفط الفنزويلي بحاجة ماسة إلى مصافي البترول الأميركية التي من خلالها يعرف الخام الفنزويلي طريقه إلى أسواق العالم كبترول مكرر، كما تحتاج المنشآت النفطية أيضاً إلى عمليات تحديث وتطوير واسعة النطاق لا يمكن لحكومة كراكاس المضي قدماً في تنفيذها، دون سيولة كافية لا سبيل إلى توفيرها بدون التدفقات النفطية الفنزويلية إلى السوق العالمية.

وفي نفس السياق، تبدو أهمية حفاظ كراكاس على إمداد السوق العالمية بأكبر قدر ممكن من حصة النفط لئلا تتعرض لدفع غرامة تقدر بثلاثة مليارات دولار، أوشكت أن تدفعها حكومة شافيز بالفعل عام١٩٩٢ إبان الإضراب الذي قام به عمال النفط، وأسفر عن وقف الدفقات النفطية الفنزويلية عالميا، أفقدت البلاد ما يربو على ٥٠٠ مليون دولار، ولا يزال الرئيس شافيز بحاجة إلى ضخ كميات هائلة من النفط إلى السوق العالمية حتى يضمن توفير الموارد المالية اللازمة لتمويل ثورته البوليفارية ومبادرة المهمات الاجتماعية التي أطلقها لتوسيع قاعدة شعبيته بين فقراء فنزويلا ولعل أفصح الدلائل تعبيراً عن أهمية النفط

في معادلة السياسة الفنزويلية داخلياً وخارجياً، هو اعتماد شافيز على وارداته في تأكيد شرعيته، ومنازعة المعارضة إياه ذلك المورد الطبيعي المهم لسحب البساط من تحت أقدامه، وذلك على نحو ما ظهر في إضراب عمال النفط عام ١٩٩٢ والذي دبرته قوى المعارضة المدعومة أميركيا، مما أسفر عن توقف العالم أجمع أمام هذا الإضراب وما يجرى داخل فنزويلا، وما إن نجا شافيز بأعجوبة من انقلاب عسكري مدبر ضده، حتى فرض على المنشآت النفطية حراسة مشددة تتناوب عليها قوات عسكرية عالية الكفاءة كثيفة التسليح.

يضاف إلى ما سبق، ان شافيز يعتبر النفط عنصر تهدئة مهماً في علاقاته مع واشنطن، فرغم علمه بأن الأميركيين غير راضين عن بقائه في السلطة ويتحرون شتى السبل الكفيلة بإزاحته منها في أقرب وقت ممكن، إلا أنه يعي جيداً أهمية انتظام إمدادات النفط الفنزويلية إلى واشنطن والسوق العالمية بوصفها سقفا وحائط صد منيعا يحول دون تصعيد التوتر بين شافيز وواشنطن.

غير أن الصيغة السحرية والفريدة التي أضفاها النفط على العلاقات الأميركية- الفنزويلية لم تكن لتمنع بروز الصدامات بين شافيز وواشنطن بين الفينة والأخرى، لا سيما وأن شافيز لم يأت إلى السلطة قابعاً فوق دبابة أميركية، مثلما لم يفز في أنتخابات زيفتها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لمصلحته عن طريق عملائها في كراكاس، وإنما وصل إلى السلطة من خلال انتخابات نزيهة، طرح خلالها أجندته الخاصة التي يناهض من خلالها العولمة التي تبشر بها أميركا، وسعى للتصدي لهيمنة القلة المسيطرة على الثروات الطبيعية في بلاده، وإفساح المجال أمام فقراء فنزويلا الذين أصبحوا أغلبية كي

ينالوا حظهم من موارد بلادهم، ويشاركوا في صنع سياستها التي كثيراً ما ظلوا غائبين ومُغَيَّبين عنها طيلة عقود طويلة من الزمن.

فعلى الصعيدالداخلي، انطلقت الشرارة الأولى للصدام بين شافيز وواشنطن، وذلك حينما تبنى ثورته البوليفارية الرامية إلى تمكين فقراء فنزويلا وإعادة توزيع الثروات بين الأغنياء والمحرومين، فأوقف سياسة خصخصة قطاع النفط، واتبع أسلوب الإصلاح الزراعي على نحو أفضى إلى إضعاف شوكة الطبقة الكومبراودرية الموالية لواشنطن داخل فنزويلا، كما طالب الشركات الأميركية والغربية العاملة في قطاع النفط الفنزويلي بزيادة العوائد النفطية التي تحصل عليها بلاده من ١٦٪ إلى ٣٠٪ حتى ينعم الفنزويليون بخيرات بلادهم النفطية.

محور نفطي مع سوريا وإيران

أعلنت فنزويلا عن تعاونها مع كل من سوريا وإيران في بناء مصفاة نفط جديدة في سوريا بطاقة إنتاجية المصفاة تصل إلى ١٥٠,٠٠٠ برميل في اليوم.

في خطوة قد تبعث القلق لدى أمريكا، أعلنت فنزويلا، التي تعتبر الدولة الرابعة في تزويد الولايات المتحدة بالنفط، بأنها ستعمل مع إيران لتطوير وبناء مصفاة نفط جديدة، وذلك بحسب ما ذكر وزير النفط الفنزويلي رافال راميريز.

إن هذا المشروع المشترك كان من بنات أفكار الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز ونظيره الايراني محمد أحمدي نجاد. في البداية أعلن كلا الرئيسين عن

اهتمامهما بتوسيع جهودهما المشتركة في التنمية في الشرق الأوسط وذلك خلال اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث أطلق كل منهما انتقادات أدانا فيها سياسة الولايات المتحدة الخارجية ومعالجة إدارة بوش للحرب على الإرهاب التي تقودها أمريكا.

الرئيس أحمدي نجاد زار فنزويلا قبل انعقاد الاجتماع السابق وأجرى محادثات مع شافيز ودشنا مشروعاً مشتركاً في فنزويلا تمثل بمشروع تنقيب عن النفط في حقل يمتد نحو ٢٢٥ ميلاً جنوب العاصمة كاراكاس.

وكانت منطقة حقل أورينوكو التي تم اكتشافها قبل عامين تحوي نحو ١,٥ مليار برميل من النفط، الأمر الذي يجعلها أحد أكبر احتياطيات النفط في العالم.

وكان الرئيس الإيراني قد انتهز فرصة الاحتفال كي يدين مرة ثانية "هيمنة" الولايات المتحدة على العالم.

حيث قال " إن الرسالة التي تشير إلى ما يحدث اليوم تتضمن أن الشعوب الثورية والمستقلة قادرة على دعم نفسها بنفسها من خلال التساعد بين بعضها البعض. إن فنزويلا وإيران تظهران ذلك معاً بعيداً عن سيطرة الولايات المتحدة وإمبرياليتها، بإمكانهما العمل معاً والتقدم".

ويبدو أن شافيز ماضٍ في نقل الرسالة نفسها لسوريا، سوريا التي لقي فيها ترحيباً حاراً من قبل آلاف السوريين الذين ملئوا شوارع دمشق بصوره وأعلام بلاده لدى وصوله إلى عاصمتهم.

وفي دمشق قال شافيز للصحفيين بأن سوريا وفنزويلا "تمتلكان الرؤية

السياسية نفسها" وتعهد بتقديم الدعم لسوريا كي يتمكنا سوياً من مقاومة "العدوان الأمريكي الامبريالي".

إن جزءاً من رأي شافيز الظاهري لمقاومة ما يسميه بالامبريالية الأمريكية في العالم يبدأ في بلده التي ما تزال الولايات المتحدة زبونها الأول في شراء النفط.

ولكن شافيز عبر بوضوح في الآونة الأخيرة عن رغبته بتقليص اعتماده على الدولار الأمريكي وتوسيع نفوذ النفط الفنزويلي في بلدان مثل إيران وسوريا التي تمتلك نفس الإيديولوجية المعادية للولايات المتحدة.

ووفقاً لوزارة الطاقة الأمريكية فإن شحنات النفط الواردة من فنزويلا إلى أمريكا تشكل ٦٪ من الواردات خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام الحالي. إن فنزويلا أرسلت أكثر من ١٧٨ مليون برميل من النفط الخام وغيرها من المشتقات النفطية للولايات المتحدة خلال الفترة المشار إليها. وخلال الفترة ذاتها من العام الماضي قامت تلك الدولة الواقعة في أمريكا الجنوبية بإرسال أكثر من ١٩٠ مليون برميل.

كما أن شافيز وطد علاقات في نفس المجال مع دول أخرى مثل بوليفيا، كولومبيا والبرازيل.

كما أن شافيز أكد على نقطة هامة وهي ضرورة تقليص دول أمريكا اللاتينية في اعتمادها على الولايات المتحدة وتأسيس علاقات تجارية أفضل بين بعضها البعض ومع شركاء تجاريين بديلين مثل الصين.

ويظهر أن آسيا والصين هم عملاؤه الجدد الذين يطمح في كسبهم لشراء النفط الفنزويلي. فقد أكد بأنه مع نهاية عام ٢٠٠٦ ستصل واردات النفط من

فنزويلا إلى الصين إلى ٣٠,٠٠٠ برميل من النفط يومياً.

ولكن يرى بعض المحللين أنه على الرغم من انتقادات شافيز سياسات البيت الأبيض، إلا أن فنزويلا يجب إن تبقى مخلصة لعميلها الأول وذلك كي تحافظ على استمرار ثروتها، ففنزويلا لا تستطيع الاعتماد على عقود صغيرة نسبياً مثل تلك التي تتمتع بها حالياً مع الصين أو على صفقات أبرمتها حديثاً مع كل من سوريا وإيران. قال المحلل روجر تيسوت المختص بأمور الطاقة " إن الاحتمال الوحيد (لقطع التعامل مع أمريكا) هو العثور على سوق مربح مثل الموجود تماماً".

٦٠

فقراء نيويورك

قال الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز إن حكومته ستفرض ضرائب جديدة على شركات النفط لزيادة العائدات القومية من القطاع الحيوي.

وأعلن شافيز خلال كلمته الأسبوعية أن عائدات الضريبة الجديدة ستبلغ مليار دولار قائلاً إن تفاصيل القانون الجديد فيها حقوق وواجبات للشركات.

وأضاف "سنفرض ضريبة نفطية جديدة، سيطلق عليها اسم ضريبة استخراج.. الشركات التي تستخرج النفط في فنزويلا تجني أموالاً طائلة."

وبدوره قال وزير النفط الفنزويلي رافائيل رامريز إن الحكومة تنظر في فرض ٣٣,٣ في المائة كضرائب استخراج النفط، وأنه يحق لشركات النفط خصم حقوق الامتياز من فاتورة الضرائب .

وقال الرئيس الفنزويلي إن حكومته تخطط لرفع ضرائب عائدات النفط المفروضة على الشركات النفطية العاملة من ٣٤ في المائة إلى ٥٠ في المائة، وتعزيز الضرائب المفروضة على الغاز الطبيعي.

واتهم شافيز شركات النفط الأجنبية باستغلال الموارد النفطية الهائلة في بلاده دون دفع ضرائب كافية وبدأ في تبني خطوات تضمن زيادات عائدات الحكومة من القطاع النفطي.

وأشاد بقرار نظيره البوليفي، إيفو موراليس، بتأميم قطاع الغاز الطبيعي، في خطوة أدت لهز المستثمرين الأجانب والدول الأخرى في منطقة أمريكا الجنوبية.

وفي هذا السياق قال شافيز "آمل أن يتفهم جميع الفنزويليين أن تلك خطوة هامة لمستقبل بلادهم.. تماماً كما نقوم به وهو مهم لمستقبل فنزويلا."

وأبطلت الحكومة الفنزويلية عقود استخراج النفط المبرمة مع الشركات الخاصة واستبدلتها بـ"نموذج الشركات المختلطة" الذي منح شركة النفط الوطنية ٦٠ في المائة من حقوق استخراج النفط من ٣٢ حقلاً.

كما بدأت في رفع حقوق الامتياز والضرائب بصورة حادة فضلاً عن تقليص مساحات التنقيب بواقع الثلثين.

وفي الجانب الآخر، أظهر شافيز تعاطفاً مع فقراء أميركا ومثلما قرر دعم لندن بحصص نفطية بأسعار زهيدة قرر شافيز إمداد الفقراء الأميركيين بملايين الجالونات من النفط برنامج سيقوم على مدى الأسابيع الشتوية بتوفير وقود التدفئة الرخيص بأسعار مخفضة للفقراء في بوسطن ونيويورك خلال شتاء ٢٠٠٦، وأعلنت شركة سينجو التابعة لشركة النفط الفنزويلية،

ومقرها هيوستن إطلاق برنامج يقوم على توفير وقود التدفئة بأسعار مخفضة تضامنا من فنزويلا مع فقراء أميركا ، ورحب عضو الكونجرس عن الحزب الديمقراطي خوزيه سيرنو بهذا القرار موضحا أن سكان برونكس سيحصلون على ٨ ملايين جالون من وقود التدفئة في المنازل بأسعار مخفضة. وتعتبر هذه الخطة من أهم الأمثلة على كيفية استخدام شافيز لعوائد النفط الكبيرة بعد ارتفاع أسعار النفط كأداة دبلوماسية.

وقال المحلل السياسي الأميركي اللاتيني باتريك استرولاس إن هدف شافيز الأساسي تأجيج النار،لاسيما بين الفئات المهمشة في الولايات المتحدة حسب ما آوردته صحيفة واشنطن بوست.

ويحظى الزعيم الفنزويلي شافيز بشعبية واسعة في أوساط الجالية الإسبانية في الولايات المتحدة، وأوساط الزنوج والجالية العربية في حين تناصبه إدارة الرئيس بوش العداء.

الفصل التاسع

شافيز العربي

قصة العلاقات

العربية - الفنزويلية

إذا كانت الروح الثورية التي يمتلكها الزعيم الفنزويلي ملهمة لثورات أخرى في القارة اللاتينية، فإنها دافعة لإنجاز مرحلة جديدة في علاقات فنزويلا بشكل خاص والقارة اللاتينية بشكل عام مع الأمة العربية، وتعتبر مصر وسوريا ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية من أكثر الدول العربية تمثيلاً ديبلوماسياً بسفارات مقيمة في عدة دول، ومصر لها ١٣ سفارة مقيمة، وقسم رعاية مصالح في السلفادور وقنصلية في ريودي جانيرو، أي لها ١٥بعثة، وهناك عشرات الاتفاقات الاقتصادية، كما تلعب السعودية دوراً مهماً في توطيد العلاقات الاقتصادية والنفطية من خلال التنسيق مع فنزويلا داخل منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك).

وكانت العلاقات الاقتصادية العربية- اللاتينية تتسم بالتواضع فعلى الرغم من أن منطقة الخليج العربي تمثل سوقاً للعديد من المنتجات اللاتينية مقابل وارداتها من البترول من الدول العربية،إلا أن هذه الحركة لا يزيد حجم التبادل التجاري عن٥,٢٪ فقط من حجم تعامل الدول اللاتينية مع العالم ويميل الميزان التجاري لصالح الدول اللاتينية بشكل كبير يصل إلى١٠ أضعاف.

إن المثير هو أنه على الرغم من تدني مستوى العلاقات السياسية الاقتصادية القائم بين الجانبين، ثمة وجود عربي قوي داخل أميركا اللاتينية يرتبط بالجاليات العربية (الشامية) التي هاجر أبناؤها في شكل موجات واسعة إلى تلك الدول منذ نهاية القرن١٩ وبداية القرن العشرين في فترات لجوء الحكم العثماني إلى العنف خاصة في منطقة الشام، والذين وصل عددهم إلى حوالي١٧ مليونا من أصل عربي وفق إحصاءات عام٢٠٠٠ .

وتوجد أكبر جالية عربية من أصول لبنانية في البرازيل، ومن أصول سورية في الأرجنتين، ومن أصول فلسطينية في شيلي وصل عدد منهم إلى مناصب سياسية عليا، ففي الأرجنتين تولى كارلوس منعم الرئاسة وهو من أصل سوري، كما أن وزيرة خارجية الباراجواي هي سيلي رستم من أصل عربي، ورئيس الإكوادور من أصل فلسطيني، وكان منافسه رجل أعمال من أصل فلسطيني أيضاً، وغيرهم الكثيرون الذين لهم تأثير قوي في الاقتصاد والسياسة في هذه القارة.

إن تلك الجاليات لا تمثل (لوبي عربي)، فقياداتها عصامية، وهي قابلة وراغبة في الاندماج في المجتمعات المهاجرة إليها، وهي في أغلبيتها لا تريد ربط نفسها عضوياً بقضايا الشرق الأوسط وصراعاته التي تؤدي إلى انقسامات واسعة بينهم، وتكتفي بالتأييد والتعاطف حفاظاً على مصالحها وانتمائها للدول الموجودة بها واهتمامها بالمشاركة في الحياة العامة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً دون شبهة ولاء لغيرها.

كما أن الجزء الأكبر من هذه الجاليات قد هاجر في ظروف قاسية، ومن ثم فإن هجرة الأغلبية العظمى منهم كانت بلا عودة، لكنهم يشكلون رغم ذلك- ولديهم بنية مؤسسية وثقافية متماسكة من الاتحادات والنوادي والمدارس والمراكز الدينية- قاعدة لمراكز قوة لو كانت هناك علاقات قوية أصلاً.

لقد كان التأثير الأساسي لوجود تلك الجاليات حتى الآن هو الدفع في اتجاه وجود علاقات قوية نسبياً لدول وأطراف مثل سوريا والأردن وفلسطين ولبنان مع هذه الدول نظراً لجالياتها المنتشرة فيها، لكن ظل مجمل الوضع يتعلق بعلاقات ثقافية وتعاون فني وتبادل تجاري محدود.

شهدت السنوات الأخيرة من القرن العشرين رغبة من جانب عدد من دول أميركا اللاتينية لتدعيم الحوار مع الدول العربية، وصولاً إلى تعميق العلاقات بين الجانبين، في ظل تطورات داخلية هامة داخل دول تلك المنطقة ترتبط بجدل حول توجهات سياساتها الخارجية، ومن الممكن التجاوب مع تلك الرغبة في عدة اتجاهات يوجد عدد هائل من التوصيات التي خرجت عن لقاءات وندوات وخبرات قديمة وحديثة، على غرار:

- إقامة حوار عربي لاتيني على المستوى غير الرسمي برعاية بعض المراكز البحثية العربية واللاتينية.
- فتح مكاتب للجامعة العربية على الأقل في عواصم الدول اللاتينية الكبرى وهي المكسيك والبرازيل والأرجنتين وشيلي وفنزويلا والتي توجد بها جاليات عربية كبيرة وتمثيل دبلوماسي لعدة دول عربية.
- استئناف زيارات كبار المسئولين العرب لدول أميركا اللاتينية، فلم يسبق أن زار رئيس عربي أي دولة لاتينية، وجعل زيارات وزراء الخارجية العرب دورية.
- عودة العرب إلى الأخذ بنظام القناصل الفخريين في الدول التي ليس لها فيها تمثيل دبلوماسي مقيم ليكون عيناً وحلقة اتصال بين رجال الأعمال بالتنسيق مع سفارات العرب المقيمة في المنطقة.
- تنشيط التبادل التجاري والاقتصادي والاستثمارات بين دول المنطقة والدول العربية، وزيادة قيمة وكمية التبادل التجاري المباشر، حيث أن الكثير منه يتم حالياً عن طريق الشركات المتعددة الجنسيات وما يعنيه ذلك من زيادة الأسعار.
- دراسة جدوى لإقامة مراكز تجارية للسلع العربية في المناطق الحرة مثل مدينة كول في بنما ومدينة زاركوزا في شيلي أو في الأرجنتين بحيث تغطي دول

المنطقة من شمالها وجنوبها ويوجد حالياً تمثيل تجاري لمصر في ساو باولو في البرازيل، وبوينوس أيرس في الأرجنتين ومكسيكو سيتي.

• عمل دراسة لحصر رجال الأعمال والصناعة الذين يتعاملون مع دول أميركا اللاتينية أو الراغبين في ذلك ومنتجاتهم والطلب عليها في الأسواق اللاتينية مقرونا بدرجة جودتها وأسعارها والقدرة على الاستمرار في إمداد هذه الأسواق بها.

• الاستفادة من التقدم الملحوظ في صناعة المنسوجات والملابس الجاهزة المصرية والسورية والتي تحتاج إلى توسعة أسواقها الخارجية وزيادة إنتاجها لتقلل تكلفتها، ويصبح عامل الجودة والسعر أساس المنافسة مع مثيلاتها في الأسواق اللاتينية سواء الإنتاج المحلي أو المستورد.

• الاهتمام بتنشيط العلاقات الثقافية بتفعيل وتنفيذ البرامج الثقافية وبنودها المتنوعة والموقعة بين العرب وعدة دول لاتينية وإمداد المعاهد والمراكز الثقافية الخاصة بالجاليات العربية بأساتذة يجيدون اللغة الإسبانية.

• الارتقاء بمستوى البرامج الموجهة للمنطقة باللغة الإسبانية والبرتغالية عن طريق الراديو ودراسة توجيه قناة فضائية تلفزيونية باللغتين الإسبانية والعربية، وطبع ترجمة باللغة الإسبانية والبرتغالية على الأفلام العربية لتيسير تسويقها وعرضها.

• تطوير نظام المنح الدراسية التي تقدم للدارسين في أميركا اللاتينية بتخصيص السنة الأولى أو سنتين من المنحة الدراسية لدراسة اللغة، حيث أن عدم معرفة اللغة (الإسبانية والعربية) من الجانبين يمثل أحد معوقات تبادل الدارسين.

• وضع برامج سنوية للتعاون بين السفارات اللاتينية في الدول العربية وجمعية الصداقة العربية اللاتينية وجمعية رجال الأعمال العرب ووزارة قطاع الأعمال وقطاع أميركا اللاتينية بوزارة الخارجية وقطاع البرامج الموجهة في الإذاعة والتلفزيون، والمركز المصري للزراعة وكلية الألسن ومعهد اللغات في الجامعات العربية، بهدف تطوير وتنمية العلاقات المصرية اللاتينية.

إن المسألة لن تحل يقينا بالتوصيات، لكل ما سبق يمثل فقط إشارة إلى أن هناك بعض الأفكار ممكنة التحقيق، بدون تكلفة كبيرة ومن الممكن أن تكون مجدية اقتصادياً إذا تمت دراستها بدقة وتم تنفيذها بجدية فهناك منطقة قارية كاملة لا نتعامل معها كما يجب.

فنزويلا ترفض
الحرب على العراق

خلال شهور الجدل والصراع الدبلوماسي التي سبقت الحرب بدت فنزويلا بعيدة كل البعد عما يحدث. فقد كان شافيز مشغولاً بمحاولاته للسيطرة على زمام الأمور في بلاد شارفت على حرب أهلية وسط معارضين استخدموا حملة الإضرابات في عدد من القطاعات الحيوية مثل قطاع البترول في محاولة لتركيعه لإجباره على التنحي عن منصبه. كما لم تظهر أي صدى للمسيرات الدولية المعارضة للحرب في شوارع فنزويلا التي سادته مصادمات عنيفة بين مناهضي شافيز ومؤيديه.

ولكن بعد يومين من بدء الهجوم الأميركي البريطاني على العراق ٢٠٠٣خرج شافيز عن صمته مهاجما ما وصفه بالعدوان الأميركي على الشعب العراقي

،وتحدث بلغة انتقادية شرسة لم يجرؤ آيا من زعماء أميركا اللاتينية رغم اتفاق أغلبهم على رفض الحرب على ترديد مفرداتها. فقد ظهر شافيز في برنامجه الأسبوعي ،وهو ممسك بصورة لطفل عراقي مصاب من جراء القصف ليعيد إلى ذاكرة الجميع صور الأطفال التي عرضها على شعبه، وهو يندد بالحرب الأميركية في أفغانستان. كما سخر من "غباء" القنابل الأميركية "الذكية" والتي ضلت سبيلها إلي الأحياء السكنية وطالب الأمم المتحدة وأمينها العام كوفي آنان بإعلان إدانة رسمية للعدوان الأميركي ضد العراق.

وهكذا عاد العراق من جديد واحدة من أبرز القضايا الخلافية بين شافيز اليساري الشرس، العسكرى السابق وواشنطن. فمنذ توليه الحكم عام١٩٩٨ سعى شافيز إلى تحقيق الاستقلال لسياسته الخارجية والداخلية والخروج على القوانين "غير المكتوبة" والتي جعلت من الولايات المتحدة ولعقود طويلة الموجه الأول لسياسات الدول داخل القارة اللاتينية.

ففي عام ٢٠٠٠ وجه شافيز صفعته الشهيرة لوجه الأخ الأكبر وتوجه لزيارة العراق في إطار جولته التي شملت ١٠من الدول الأعضاء في منظمة الدول المصدرة للبترول OPEC ليكون بذلك أول رئيس دولة يخترق العزلة السياسية والاقتصادية التي فرضتها واشنطن على العراق منذ حرب الخليج الثانية ١٩٩١ ويفتح الباب إلى العراق أمام العشرات من الوفود والمسؤولين الدوليين.

وواصل شافيز تمرده بشكل لم يسبقه إليه أحد من معارضي السياسات الأميركية. وقام بزيارة كلاً من ليبيا وكوبا ليعقد علاقات اقتصادية وسياسية مع زعيمي الدولتين ويمد الرئيس الكوبي فيدل كاسترو بشاحنات البترول الرخيص

غير مكترث بالعزلة السياسية والاقتصادية التي تفرضها واشنطن على الدولتين ويلتزم بها أصدقاء الولايات المتحدة وحلفاؤها.

وإن كان ما سبق قد أثار غضب الولايات المتحدة إزاء تصرفات شافيز المتعنتة إلا إن بداية الصدام الحقيقي بين الجانبين بدأت في أعقاب ١١سبتمبر. كانت حكومة شافيز في طليعة الدول التي أدانت الهجمات الإرهابية على مدينتي نيويورك وواشنطن بل وعرض شافيز تقديم مساعدات استخباراتية للولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب. ولكنه رفض الاستسلام لصدمة ١١سبتمبر والقبول بالتصنيف الأميركى الجديد للعالم. فلم يستجب إلى مطالب معارضيه داخل فنزويلا وخارجها ويقطع أو تقليص حجم علاقاته مع الدول المغضوب عليها مثل إيران والعراق "ضلعين في محور الشر الأميركي الشهير" أو كوبا وليبيا اللتان يتصدران قائمة الدول المارقة. وظل شافيز متمسكا بتعريفه لهذه الدول على أنهم أصدقاء وشركاء فنزويلا.

هذه السياسات دعمت رغبة إدارة جورج بوش التي يسيطر عليها تيار اليمين المتشدد في الضرب على يد شافيز بقوة وإزاحته إذا أمكن، خاصة وأنها تجد فيه تهديدا لمصالحها في المنطقة اللاتينية.

فشافيز يسعى منذ بداية حكمه إلى ترويج فكرة إقامة ما يشبه الكيان الفيدرالي لدول أميركا اللاتينية وأن تكون ثروات المنطقة في أيدي شعوبها لا في أيدي واشنطن. ولكن ما دفع الولايات المتحدة للوقوف أمام هذه الدعوة التي رددها من قبله كثيرون هو أن صاحبها يقبض بيديه على ثروات فنزويلا النفطية والتي جعلت من كارا كاس صاحبة خامس أكبر احتياطي بترولي في العالم. فوفقا لأحدث الإحصائيات يقدر الاحتياطي الفنزويلى بـ٧٧ مليار برميل وهو

أكبر احتياطي تملكه دولة خارج نطاق الشرق الأوسط، ولم تغفل الإدارة الجديدة مساعي شافيز خلال فترة توليه رئاسة منظمة OPEC إلى إقناع الدول المصدرة للبترول بتقليص حجم إنتاجها وكسر حاجز الأسعار التي تعمل واشنطن على الحفاظ عليه في إطار معدلات تتماشى مع متطلبات اقتصادها.

وقد ظهر التضامن مع العرب منذ أمد طويل بتأييد معظم دول أميركا اللاتينية للقضايا العربية في الأمم المتحدة، وفي الإضرابات التي حدثت في معظمها ضد احتلال العراق وفي الاضرابات التي حدثت أخيراً في بيونس إيرس وسانتياجو، ومعظم مدن البرازيل احتجاجا على العدوان الإسرائيلي على لبنان في يوليو ٢٠٠٦ .

وقد أعلن هوجو شافيز في فنزويلا أنه سيقطع العلاقات مع إسرائيل، إذا لم توقف العدوان، وأعلن عن فتح باب التبرعات للشعب للتبرع لإعادة بناء لبنان. وفي الإضرابات الأخيرة، اتهم بوش بالفاشية، ومساعدة إسرائيل ضد لبنان، وطلب محاكمته كمجرم حرب.

ويظهر تحرك قادة دول أميركا اللاتينية، مثل زيارة الرئيس البرازيلي للدول العربية سنة ٢٠٠٥، والرئيس الفنزويلي لليبيا وقطر سنة ٢٠٠٦، رغبة دول أميركا اللاتينية في التحالف مع العرب.

إن الحضور العربي لاجتماع مؤتمر الحوار العربي- اللاتيني سنة ٢٠٠٥ بالبرازيل لم يكن بالتجاوب المفترض، حيث لم يسافر إلى البرازيل غير رئيس عربي واحد، هو الرئيس الجزائري. ولكن الآن، فقد أصبح من الضروري في المرحلة المقبلة عقد اتفاق استراتيجي مع دول أميركا اللاتينية، باعتبار أن بها احتياطي القمح والغذاء الذي يحتاج إليه العرب في حالة تعثر العلاقات مع

أميركا، خاصة أن بأميركا اللاتينية أكثر من ٢٥ مليونا من أصل عربي، يمكن اعتبارهم همزة وصل فعلية.

آن الأوان لأن تضع الدول العربية استراتيجية نشيطة تجاه دول أميركا اللاتينية، خاصة مصر إذ أنها أولى الدول العربية التي أنشأت سفارتها بها، وهي المؤهلة لاستضافة مؤتمر للتعاون الاقتصادي العربي- اللاتيني، لتكون مناطقها الحرة همزة وصل بين دول أميركا اللاتينية والدول العربية والإفريقية. وتوجد للغالبية العظمى من دول أميركا اللاتينية سفارات بمصر، الأمر الذي يسهل عقد مؤتمر اقتصادي عربي- لاتيني، مما يحقق مصلحة الشعوب العربية واللاتينية.

شافيز والعلاقات العربية- اللاتينية

إذا كان الرئيس البرازيلي اينا سيولول داسيلفا هو صاحب مبادرة إنشاء قمة للحوار اللاتيني العربي، بعدما زار مصر وسوريا ولبنان وليبيا٢٠٠٣، وعقدت القمة الأولى في عام٢٠٠٤، فإن الرئيس شافيز كان أكثر ديناميكية عندما دفع العلاقات على الطريقة السريعة من خلال مواقف ثورية أعادت الوهج مرة أخرى لعصر الثورات وحركات التحرر الوطني التي سادت في حقبة الخمسينيات.

عندما كان عبدالناصر يقود مصر، وكاسترو في كوبا، ونهرو في الهند وماوتس تنج في الصين وجوزيف بروزتيتو يحكم يوغسلافيا فتشكلت دائرة من الزعامات الوطنية المستقلة، ويملك شافيز رؤية حول تطوير العلاقات العربية، الفنزويلية، وكذلك العلاقات العربية، اللاتينية، انطلاقاً من وجود جذور تاريخية أو مظالم تاريخية تعرضت لها وأفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية.

نظرة تاريخية

لمسيرة العلاقات

بدأت أولى محاولات التقارب العربي- اللاتيني في منتصف القرن التاسع عشر حينما قام إمبراطور البرازيل بزيارة عدة دول في المنطقة العربية من بينها مصر والشام آنذاك التي هاجر منها عدة آلاف إلى منطقة الأميركتين في بدايات القرن التاسع عشر واقتصرت أهداف هذه الزيارة آنذاك على تعزيز العلاقات التجارية بين مصر والبرازيل اللتين بدأتا مرحلة نهضة شاملة في المجالات الصناعية والزراعية والعسكرية، وتدعيم العلاقات السياسية بينهما خاصة بعد بزوغ نجم كل منهما كفاعل إقليمي حيوي على الساحة الدولية آنذاك، ومساندة مصر لمطالب بعض الدول في أميركا اللاتينية الرامية لتحقيق الاستقلال عن إسبانيا وبريطانيا، وهو المطلب الذي وضعه الخديوي إسماعيل موضع التنفيذ بإرساله قوات عسكرية مصرية لمساندة بعض الدول في أميركا اللاتينية في الحصول على استقلالها، ومن أبرز هذه الدول المكسيك.

وباستثناء الزيارة السابقة، تقطعت أواصر العلاقات والتواصل بين الدول العربية ودول أميركا اللاتينية بسبب وقوع أغلب الدول العربية تحت الإدارة الاستعمارية البريطانية والفرنسية والإيطالية، بدءا من عام١٨٨٢ وحتى أوائل عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين.

وعقب حصول مصر على استقلالها بعد يوليو١٩٥٢، بدأت في اتباع سياسات داخلية تركز على التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبناء جيش وطني قوي، وسياسات خارجية نشطة في تأييد حركات التحرر القومي ولوقوفها ضد سياسات الولايات المتحدة والغرب في الشرق الأوسط ومناطق

أخرى من العالم ومنها منطقة أميركا اللاتينية وبفعل هذه السياسات أصبحت القاهرة مركزا للمؤتمرات الآسيوية والأفريقية واللاتينية ذات البرامج واللغة المعادية للغرب.

وقد تزايد هذا الدور المصري المعادي للاستعمار والهيمنة الأميركية على دول أميركا اللاتينية بعد قيام الشركات الأميركية متعدية الجنسية بتوجيه استثماراتها إلى منطقة أميركا اللاتينية واقتصارها على مجالات استخراج واستنزاف الموارد الطبيعية دون المساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية المرجوة من هذه الدول، وبعد تزايد دعم الولايات المتحدة للأنظمة السياسية اليمينية الموالية لها والقضاء على القيادات الثورية والتي جاء أكثرها عن طريق انتخابات ديمقراطية ونزيهة لذا تطلعت مصر في ظل قيادة الرئيس جمال عبدالناصر- ذي التوجه المعادي للاستعمار بكافة أشكاله وأنماطه- إلى تبني (دور المدافع الإقليمي والعالمي) والذي يعني مسؤولية مصر عن حماية مجموعة من الدول الصغيرة في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية في مواجهة العدوان الخارجي عليها من الدول الاستعمارية عموماً والدول الغربية الاستعمارية خصوصاً.

وقد استمر تركيز مصر في ظل قيادة عبدالناصر- على هذا التوجه السياسي الخارجي المستقل والنشط خلال الفترة من١٩٥٧ وحتى عام ١٩٦٧، وقد مثل هذا التوجه- وفق إحدى الدراسات- أكثر التكرارات في الإشارات الناصرية للدور المصري (٣٩٪)، ويليه الإشارة إلى دور مصر كدولة معادية للاستعمار (٢٩٪)، ثم دور مصر كقائد إقليمي عربي سواء للدفاع عن العرب أو قيادة التكامل العربي الوحدوي (١٦٪).

وقد تبلورت هذه السياسة الخارجية النشطة لمصر في مفهوم عدم الانحياز، والذي كان يعني عند عبدالناصر بُعْدَين أساسيين هما أن تكون السياسة الخارجية المصرية بعيدة عن التأثير المباشر للقوى الخارجية، مع الحكم على أي قضية سياسية دولية طبقا لما تمليه مصالح مصر، كما أنها تعني ثانياً العمل النشيط في السياسة الدولية عن طريق توسيع نطاق التعاون الدولي، وتكثيف دور مصر في حل الصراعات الدولية، والوساطة بين الدول المتنازعة.

وكانت الأمم المتحدة بكافة منظماتها المتخصصة هي الساحة التي مارست منها السياسة الخارجية المصرية ودول أميركا اللاتينية حشد كافة طاقتها ومواردها لاستصدار قرارات مؤيدة لقضاياها السياسية والاقتصادية وحجب القرارات والمواقف المناوئة لها خاصة فيما يتعلق بمفاوضات تحرير التجارة الدولية أو بالتدخل السياسي والعسكري من جانب القوتين الأعظم في قضاياها الداخلية.

استمرت مصر خلال حكم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر- همزة الاتصال السياسي الوحيدة بين الدول العربية ودول أميركا اللاتينية بحكم التوجهات السياسية التي كانت مهيمنة على فكر قائدها إبان هذه الفترة.

وفي ظل هذا التواجد المصري النشط تجاه أميركا اللاتينية سائداً حتى نكسة يونيو عام ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل لأراضي ثلاث دول عربية، مما أدى إلى تراجع الدور المصري الخارجي عموماً والدور المصري مع دول أميركا اللاتينية خصوصاً، وانشغال مصر بقضية تحرير أراضيها أكثر من تحرير أراضي الآخرين، لذا حشدت مصر كافة مواقف الدول التي دعمتها في مرحلة سابقة لتعزيز الموقف

العربي الهادف إلى تحرير أراضيها في الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن وكذلك في منظمة دول عدم الانحياز.

وتعتبر الفترة الممتدة من عام١٩٦٧ إلى عام١٩٨٠ فترة انحسار علاقات التعاون العربي اللاتيني، ولكن بعد عام١٩٨٠ وقيام الدول العربية بتجميد عضوية مصر في جامعة الدول العربية إثر إبرامها لاتفاقيات السلام مع إسرائيل، اتجهت السياسة المصرية- في ظل تعيين د. بطرس غالي وزيراً للشؤون الخارجية مع بعض المناطق التي سقطت من مجالات سياستها الخارجية في المرحلة السابقة، وكان من أبرز هذه المناطق منطقة أميركا اللاتينية التي قام د. بطرس غالي بعدة زيارات خارجية لها طوال الفترة من عام١٩٨٠ وحتى عام١٩٩٠، بهدف تنسيق المواقف العربية واللاتينية في مفاوضات تحرير التجارة العالمية، وتدعيم العلاقات السياسية والاقتصادية المحدودة آنذاك.

في حين ركزت بعض الدول العربية الأخرى مثل السعودية في حوارها مع بعض دول أميركا اللاتينية على قضية: أسعار لبترول في السوق العالمية، بينما اتجهت دول سوريا ولبنان والمغرب على التباحث والتواصل فيما يخص أبناء جالياتها في دول أميركا اللاتينية.

وقد أدى ضعف الوجود والتواصل العربي مع دول أميركا اللاتينية إلى نجاح إسرائيل في التغلغل السياسي والاقتصادي في هذه الدول باعتبارها فناءً خلفيا للسياسة الأميركية، المؤيدة والداعمة لسياسات إسرائيل في مواجهتها مع الدول العربية، وكذلك بهدف كسر إحدى حلقات الحصار العربي لها على الساحة العالمية والتي تعد منطقة أميركا اللاتينية إحدى

أبرزهذه الحلقات، ونجحت إسرائيل في إقامة علاقات دبلوماسية لها مع أغلب هذه الدول والتي من أبرزها: الأرجنتين والبرازيل وبيرو وشيلي وأورجواي.

ورغبة من بعض الدول النامية مثل البرازيل وأندونيسيا وتركيا ونيجريا ومصر في توطيد وزيادة التنسيق والتشاور حول القضايا الاقتصادية التي تهم الدول النامية وتدعيم التعاون التكنولوجي بين الأعضاء خاصة بعد بدء مفاوضات تحرير التجارة العالمية في جولتي طوكيو وأورجواي، قررت هذه الدول في عام١٩٨٩ إنشاء تنظيم دولي فيما بينها أطلق عليه مجموعة الـ١٥، وذلك بعد تراجع أدوار منظمة دول عدم الانحياز ومجموعة الـ٧٧ في القيام بهذه الوظائف، إلا أنه بسبب عدم وجود هيكل مؤسسي وميثاق يحدد أسس التعاون والتنسيق وواجبات الأعضاء حال دون التفعيل الكامل والاستفادة المرجوة من هذه المجموعة حتى الآن.

الفصل العاشر

مستقبل شافيز والراديكالية الجديدة

إذا كان صعود الثورة الكوبية في الخمسينيات من القرن الماضي قد شكل تحولا مهما في الخارطة السياسية في أميركا اللاتينية لجهة النزوع نحو المزيد عن الاستعمار بصوره المختلفة ، ومواجهة الهيمنة الأميركية التي غذت ظاهرة الانقلابات العسكرية، فإن صعود الزعيم هوجو شافيز إلى سدة الحكم في كاراكاس مثل طفرة مهمة في الاشتراكية الثورية، سواء على صعيد صفاء الرؤية للاستعمار أو تقديم الدعم لحركات التحرر الوطني ، فالإمكانات المادية التي يتيحها النفط الفنزويلي وفر فرصة للتكامل مع الخبرات الكوبية خاصة في المجالين الطبي والتعليمي كي تقدم نموذجا لتعاون الجنوب الجنوب، ويشمل كوبا - فنزويلا-نيكارجوا-شيلي والإكوادور وذلك بعد فوز الزعيم دانيال اورتيجا ورافاييل كوريا في نيكارجوا والإكوادور شتاء ٢٠٠٦.

تعاون الجنوب -جنوب

ويتضمن هذا البرنامج التعاوني مقايضة النفط الفنزويلي مقابل الخدمات الطبية والتعليمية الاتفاق على تكرار البرنامج مع بوليفيا والإكوادور، مايؤكد إمكانية توسيع رقعة التعاون بين الدول اللاتينية.

ثانيا: تدخل عملية تأميم قطاع الغاز في بوليفيا في إطار التعاون الأميركي - اللاتيني في مجال " البنية التحتية "، إذ يتم توزيع فائض الغاز الطبيعي البوليفي في البرازيل بواسطة شركة "بتروبراس" البرازيلية الرسمية حيث يلبي٨٠في المائة من حاجات مدينة ساو باولو العاصمة الفنزويلية.

ومن جهته قال صديق شافيزالرئيس الإكوادوري كوريا:"سننضم إلى منظمة أوبك إذا كان الأمر ممكنا لأنه فقط إذا كنا موجودين يمكننا أن نفرض أنفسنا أمام الدول النفطية".

وكان كوريا أكد أنه سيعيد التفاوض في العقود النفطية مع الشركات المتعددة الجنسية العاملة في الإكوادور، خامس دولة منتجة للنفط في أميركا اللاتينية، والتنسيق مع فنزويلا في هذا الشأن، وانسحبت الإكوادور من أوبك في ديسمبر ١٩٩٢.

لقد مثل نجاح شافيزفي الانتخابات هزيمة واضحة للمفهوم الأميركي للديمقراطية ، فقد جاءت الانتخابات الحرة بحكومات مناهضة للهيمنة الأميركية ، سواء تم ذلك في الشرق الأوسط حيث فازت حركة حماس في فلسطين المحتلة أو في أميركا اللاتينية حيث صعدت القوى اليسارية المنحازة إلى الطبقات الفقيرة، ومثلت مأزقا حقيقيا للاتجاه اليميني المحافظ الحاكم في واشنطن وأطروحات النيو-لبرالية، والشركات العابرة للمحيطات التي احتكرت تجارة النفط اللاتيني، واستثمرته لمصلحتها ،ما أدى إلى اتساع رقعة الفقر بين الأوساط الشعبية،وغياب العدالة الاجتماعية، وهو الأمر الذي كان دافعا للثوار الراديكاليين لقيادة عملية التغيير في القارة وبرز بين هؤلاء القائد الفنزويلي شافيز، الذي طرح برنامجا اقتصاديا يتسم بالكفاءة والحرفية فضلا عن توجهه صوب المحرومين والمهمشين، ولم تكن صدفة أن يستعين الرئيس البوليفي بالبرنامج الفنزويلي في التنمية المستقلة ، خاصة وأن بوليفيا تعتبر من أفقر بلدان القارة.

شافيز يهدد واشنطن

والواقع أن شافيز يقود خطة للتنسيق بين سبع دول لاتينية في اتجاه تجمع لاتيني يحقق التكامل الاقتصادي نظرا لتنوع الإمكانات والخبرات والثروات المعدنية في البرازيل وبوليفيا وتشيلي والأرجنتين وكوبا والمكسيك وفنزويلا، وقد انتقد شافيز بعنف السور الذي تنوي الولايات المتحدة بنائه بامتداد حدودها مع المكسيك ووصفه بأنه جدار عنصري على غرار الجدار الذي شيدته العصابات الصهيونية في الضفة الغربية في فلسطين.

ويرد الخبير الاقتصادي العربي محمود عبد الفضيل في مقال بمجلة المصور المصرية على الانتقادات التي وجهها خبراء غربيون للنماذج اللاتينية في التنمية المستقلة بقوله:" أن الاتهام الذي تروجه الدوائر الغربية باتهام حكومات يسار الوسط التي وصلت إلى الحكم بأنها تتبع سياسات شعبية مآلها الفشل المحتوم، هو اتهام ظالم إذ أن الانصياع لمطالب وطموحات الطبقات الوسطى والشعبية التي يعبر عنها تحالف يسار الوسط هي سياسات أكثر مصداقية من السياسات التي تعبر عن مصالح رأس المال الكبير المحلي والعالمي، ضاربة عرض الحائط باعتبارات العدالة الاجتماعية،ولكن التحدي الحقيقي هو إدارة عملية التحول والانتقال بكفاءة سياسية وعلمية بعيدا عن الارتجال والحسابات غير الرشيدة"

وعلى صعيد آخر هدد الرئيس شافيز الولايات المتحدة مجددا بحرمانها من النفط الفنزويلي في حال ما إذا حاولت إطاحته عن الحكم أو رفضت الاعتراف بنظامه، وقال في كلمة ألقاها وسط آلاف الموظفين في القطاع النفطي في مدينة بروبرتو لاكروز التي تقع شرق العاصمة انه" لن يرسل نقطة نفط واحدة

إلى الولايات المتحدة إذا حاولت تنفيذ انقلاب أو لم تعترف بنتيجة الانتخابات، موضحا أن المعارضة الفنزويلية تتآمر عليه لهذا الهدف وبدعم من الولايات المتحدة،وأضاف: أوصي الشيطان (التسمية التي يطلقها على بوش) بان يضبط المجانين المعارضين الذين هزموا في انتخابات نزيهة ، لان إمبراطورية الشر سوف تندم إذا تدخلت في الشؤون الداخلية لبلد حر يمتلك قراره ولا يخضع لأحد.

تأميم النفط والغاز في بوليفيا

في الاحتفال بعيد أول مايو ٢٠٠٦، أعلن الرئيس البوليفي إيفو موراليس الجيفاري (نسبة إلى الثائر جيفارا)التوجه، تأميم النفط والغاز في بلاده؛ فقامت الدنيا ولم تقعد وكشرت الولايات المتحدة عن أنيابها وأبدت قلقها وانزعاجها الشديدين، وأعلنت أن هذا الإجراء يسبب اضطرابا كبيرا في السوق العالمية للبترول، وحقيقة الأمر فإن أحد الأسباب المباشرة لقلق الولايات المتحدة إنما يتمثل في أن إعلان الرئيس البوليفي هذا القرار جاء مباشرة بعد اجتماع عقده مع الرئيس الكوبي فيدل كاسترو والرئيس الفنزويلى هوجو شافيز، الأمر الذي يعنى قيام محور جديد في أمريكا اللاتينية يضم كوبا وفنزويلا وبوليفيا، التي تقوم فيها نظم حكم يسارية ووطنية تقدمية، تعرف طريقها جيدا لتحقيق استقلالها الاقتصادي وإبعاد السيطرة الأمريكية عن مواردها الطبيعية.

ويزيد من انزعاج الولايات المتحدة أن هذا المحور الجديد قد يستقطب دولا أخرى تقوم فيها أيضا حكومات وطنية تقدمية، مثل البرازيل والأرجنتين وشيلي، كما يمكن أن تكون هناك على الطريق دول أخرى من المتوقع أن ينجح فيها

المرشحون اليساريون فئ انتخابات الرئاسة القادمة في بلادهم مثل بيرو ونيكاراجوا والمكسيك، وقد تفكر هذه الدول في الانضمام أيضا إلى المحور المشار إليه.

وفى تعليقها على هذه الأحداث أشارت جريدة نيويورك تايمز الأمريكية إلى أن هوجو شافيز لم يعد وحده هدفا رئيسيا للولايات المتحدة للإطاحة به، بل انضم إليه الرئيس البوليفي كهدف رئيسي آخر سوف تعجل الولايات المتحدة بالإطاحة به أيضا.

ومما يزيد من قلق الرأسمالية الأمريكية أن بوليفيا تحتل المرتبة الثانية في أمريكا اللاتينية بعد فنزويلا من حيث حجم احتياطي الغاز بها، أيضا مما يزيد من قلق دوائر استعمارية أخرى أنه يعمل في بوليفيا في قطاع النفط والغاز ٢٠ شركة أجنبية من أهمها شركتا بريتش جاز وبريتش بتروليم البريطانيتان، وشركة توتال الفرنسية.

إزاء هذا الوضع وإلى أن تتاح للولايات المتحدة الفرصة لإزاحة الرئيس البوليفي، تلجأ إلى بث الفرقة وإحداث الوقيعة بين بوليفيا وبعض جاراتها، فمثلا حاولت الولايات المتحدة الإيقاع بين بوليفيا والبرازيل حيث تمتلك الأخيرة شركة بترو براس والتي تعد أكبر شركة تعمل في مجال الغاز في بوليفيا، بالإضافة إلى أن البرازيل تعد أكبر مشتر للغاز البوليفي، لكن هذه المحاولة لم تفلح، إذ عقد رؤساء بوليفيا والبرازيل والأرجنتين وفنزويلا اجتماعا لمناقشة النتائج التي قد تترتب على تأميم الغاز البوليفي، واتفق الرؤساء الأربعة على الأسس التي تحدد بموجبها أسعار الغاز الطبيعي، بالإضافة إلى ضمان تدفق البترول لبلدان أمريكا اللاتينية، ودافع الرئيس البرازيلي عن حقوق بوليفيا في السيطرة على مواردها الطبيعية وفى الدفاع عن شعبها الفقير.

رفض السياسات النيوليبرالية

ومما يزيد من أهمية أبعاد القرار البوليفي إعلان الرئيس موراليس أن هذا القرار يأتي في إطار رفض بوليفيا للسياسات النيوليبرالية التي تفرضها الرأسمالية الأمريكية ومن ورائها المؤسسات الاقتصادية الدولية كصندوق النقد الدولى والبنك الدولى ومنظمة التجارة العالمية، تلك السياسات المعروفة بسياسات التكيف الهيكلي، والتي يتمثل جوهرها في إطلاق الحرية الكاملة لآليات السوق في تحديد اتجاهات الاستثمار والإنتاج، وإطلاق حرية تحديد السياسات النقدية والمصرفية والجمركية سياسات الأجور وتصفية شركات القطاع العام.. إلخ، وحيث أعلن الرئيس البوليفي أن هذه السياسات النيوليبرالية تقف وراء إفقار شعوب البلدان النامية وتردى أحوالها الاقتصادية والاجتماعية.

وترتيبا على رفض الفكر النيوليبرالى أعلن الرئيس البوليفي أن عوائد النفط والغاز ستوجه لتمويل خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية بهدف إعادة هيكلة الاقتصاد البوليفي والارتقاء بمستوى معيشة الفقراء.

مثل هذا التوجه التنموي من جانب الحكومة اليسارية الجديدة في بوليفيا يزعج مختلف القوى الاستعمارية وذلك أن نجاح التجربة البوليفية، بالإضافة إلى نجاح التجربة الفنزويلية سوف يشجع دولا أخرى ليس فقط في أمريكا اللاتينية ولكن في بلدان أخرى في آسيا وأفريقيا على محاكاة مثل هذه التجارب، الأمر الذي يؤدى حتما في النهاية إلى إضعاف سيطرة الرأسمالية العالمية على الاقتصاد العالمي.

ثلاثة أرباع أميركا الجنوبية
في ظل أنظمة يسارية

وهكذا، يصبح ثلاثة أرباع سكان أميركا الجنوبية، وهم زهاء الـ٣٧٠ مليون نسمة، يعيشون في ظل أنظمة يسارية، كلها جاءت عن طريق الانتخاب الديمقراطي، وبتأييد شعبي واسع، وتحت شعارات مكافحة الفقر ومواجهة سياسات العولمة الرأسمالية و"الليبرالية الجديدة" ووصفات البنك الدولي وصندوق النقد. وحتى تشيلي، التي يحكمها حالياً نظام تقدمي معتدل، من المتوقع أن يفوز اليسار فيها في الانتخابات القادمة، كما في بوليفيا، وحتى المكسيك، ثاني أكبر بلد في أميركا اللاتينية بعد البرازيل، والجار الجنوبي المباشر للولايات المتحدة.

ولا شك أن بإمكان الطبيب الأرجنتيني الذي شارك في قيادة الثورة الكوبية، ارنستو جيفارا المعروف بلقب "تشي"، والذي استشهد في العام ١٩٦٧على أيدي رجال المخابرات المركزية الأميركية وأعوانهم المحليين وهو يحاول تنظيم صفوف المناضلين ضد البؤس والفقر والاستغلال الخارجي الأميركي الشمالي في بلد أميركي جنوبي فقير، هو بوليفيا، بإمكانه أن يستريح في قبره، ويعتبر أن تضحيته الكبرى وتضحيات العديد من الثوار مثله في هذه القارة المنكوبة طوال عقود عديدة بالتدخلات الأميركية الشمالية وبالديكتاتوريات العسكرية الدموية، هذه التضحيات لم تذهب سدى، والرسالة التي أراد إيصالها باستشهاده قد وصلت.

ولا يمكن أن نفصل هذا الانجاز لإرنستو تشي جيفارا ما بعد استشهاده عن

الدور الكبير الذي لعبه ويلعبه في إبقاء جذوة اليسار وتطلعاته التحررية حية في هذه المنطقة رفيق سلاحه وقائد ثورة كوبا الأول، فيدل كاسترو، الذي استوعب متطلبات وشروط نجاح قوى اليسار بانتصار الولايات المتحدة في "الحرب الباردة"، وأن شعوب القارة الفقيرة والمستغلة من جارها الشمالي المتجبّر قادرة على التأقلم مع الظروف الدولية الجديدة، ليس بمعنى الرضوخ والتسليم بواقع جديد، مؤقت حتماً، هو واقع التفرد الإمبراطوري الأميركي بالنفوذ الكوني، وإنما بمعنى ابتداع أشكال جديدة من التنظيم والعمل النضالي لمواصلة مهمات التحرر والتطور وانتصار الإنسان في المعركة ضد الظلم والاستغلال والجشع حتى تتحقق أهداف شعوب القارة بالحرية الحقيقية وديمقراطية الغالبية الساحقة من الشعب وليس القلة الثرية الجشعة.

الفصل الحادي عشر

نجوم جدد تسطع

في السماء اللاتينية



"نهاية التاريخ" ليست غدا، هذا مار سمته الأيام على جبين الكون ، في تطور متناقض مع خطط مراكز الدراسات الأميركية التي أنفقت مليارات الدولارات من أجل رسم لوحة عالمية تكون فيها واشنطن نقطة الضوء الوحيدة مع الاحتفاظ للآخرين بمكان في الظلال أو في مساحة الظلام ، هذه اللوحة لأسباب إلهية لم تتم ولأسباب شعبية نضالية في فلسطين والعراق ولبنان لم تتم ولأسباب إنسانية تتعلق برفض الإنسان هيمنة إنسان أخر عليه فسدت ألوان اللوحة في أميركا اللاتينية، وخرجت من بين الظلال قوى كبرى كالصين وروسيا تقول(لا) وخرجت زعامات في أميركا اللاتينية تنفي نظرية نهاية التاريخ وتدحض النيوليبرالية التي ارتبطت بالرأسمالية الوحشية التي نهبت أحشاء العالم الفقير وأوقعته في أخطر أزمة اجتماعية هي إدمان الديون ، وظهرت قوى في أميركا اللاتينية تعترض على فوائد القروض وعلى الربا الرأسمالي الدولي، وجاهرت بنظام عالمي جديد بديل للفوضى العارمة.

وهكذا يتبين أن الواقع، كما نراه في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، مختلف تماماً عما استخلصه بعض منظّري النيوليبرالية (من نمط فرانسيس فوكوياما)، صاحب كتاب "نهاية التاريخ"، الذي صدر في نهاية القرن العشرين ليبشر بان نهاية "الحرب الباردة" وانهيار الإتحاد السوفييتي وحلفائه في أوروبا الشرقية شكّلت انتصاراً نهائياً للنموذج السياسي والاقتصادي الرأسمالي الليبرالي الغربي، السائد في شمال القارة الأميركية ومعظم أوروبا وبعض البلدان الأخرى المتطورة اقتصادياً في العالم.وانه لم يعد أمام العالم كله سوى الدخول في التاريخ الرأسمالي باعتباره التاريخ الوحيد الصحيح.

فالصورة التي تعطيها أوضاع الخارطة العالمية الآن، كما رأينا بالنسبة للقارة اللاتينية، بعيدة تماماً عن ذلك التنظير الإيديولوجي الليبرالي لديمومة وثبات النظام الاقتصادي - السياسي الرأسمالي، كما تبلور في نهايات القرن العشرين. وبرهنت عليه تطورات الأحداث في عدد من دول العالم، لاسيما بعد أحداث ١١سبتمبر١٠٠٢ التي وقعت في أميركا وأثبتت أن البناء الإيديولوجي الأميركي مهدد من عدة اتجاهات وليس اتجاها واحدا ، وان كل ماانفقته أميركا لمواجهة حرب الكواكب لم يكن له معنى ، فالحرب في الأرض وليست في السماء،وقد ذهبت الإدارة الأميركية في الاتجاه الخاطئ مرة أخرى عندما شنت حربا دموية

تحت عنوان "القضاء على الإرهاب" في أفغانستان والعراق، وبأشكال متنوعة أخرى في مختلف أنحاء العالم، كما الحروب الأهلية والإقليمية التي انتشرت وتنتشر في أنحاء الكرة الأرضية، مترافقة مع تفاقم الفقر والبؤس بسبب الديون وارتفاع أسعار المنتجات المستوردة من الغرب في مناطق عديدة من العالم، بدءا بأميركا اللاتينية وأفريقيا السوداء، وحتى في البلدان الرأسمالية المتطورة نفسها، حيث تفاقمت نسب البطالة وحالات التهميش الاقتصادي والاجتماعي، فيما تكدست الثروات وتزايدت في أيدي عدد قليل ويزداد قلة من الناس في هذه البلدان، كلها تؤشر إلى أن بوابات التاريخ لا زالت "مشرعة"على تحولات فكرية تسعى للإجابة على سؤال الهوية... وأن صراعاته ما زالت قائمة، إن لم تكن تتفاقم، بعد انهيار النموذج السوفييتي وتفريعاته للتطور الاشتراكي ،وتفرد الولايات المتحدة بالنفوذ والقوة الكونية الفاقدة للحكمة والعدالة على امتداد الكرة الأرضية.

• لقد ثبت بالدليل القاطع عدم قدرة الولايات المتحدة فى إحكام سيطرتها على أوضاع العالم الراهن ومناطقه الإستراتيجية، كما يتضح مما يجري اليوم في أفغانستان والعراق... خاصة، ونحن نرى بوادر صعود قوى عالمية جديدة، وفي المقدمة الصين، إلى جانب تحولات ملموسة في روسيا باتجاه استقلالية أكبر عن المشروع التابع للغرب ومحاولة كبح جماح الفوضى غير البناءةالتي سادت في مطلع التسعينات، وكادت تؤدي إلى كارثة اجتماعية وسياسية في القطب الثاني الذي لم يتمكن من سداد مديونيته لصندوق النقد الدولي بسبب تعمد جهات محددة في موسكو إلى تسريب النقد الأجنبي خارج البلاد.

ويضاف إلى ذلك تنامي موجة الكراهية والرفض الشعبي للإدارة الأميركية في العالم كله وهذا مادفع المثقفين الأميركيين إلى طرح السؤال: لماذا يكرهوننا؟ وقد ظهرت تجليات الرفض للسياسة الأميركية إبان التظاهرات المناهضة للحرب على العراق، والتي شملت جميع الدول التي توفر للمواطنين أساليب التعبير عن الرأي، وكما يظهر في استطلاعات الرأي المتلاحقة، حتى في البلدان التي تتحالف حكوماتها مع واشنطن في الحرب العراقية، مثل بريطانيا وإيطاليا وإسبانيا حيث تعرضت الأحزاب الحاكمة التي شاركت في الحرب إلى هزيمة في الانتخابات بما في ذلك الحزب الجمهوري الأميركي الذي خسر انتخابات مجلسي الكونجرس والشيوخ وقبلها سقط بيرلسكوني واثنار في روما ومدريد، وخسر حزب العمال البريطاني أغلبيته في مجلس العموم، وباتت واشنطن تبحث لنفسها عن نهاية للورطة العراقية أكثر من بحثها عن نهاية التاريخ..

ولعل أبرز متغيرفي السياسة الدولية هو صعود اليسار في أميركا اللاتينية، متزامنا مع صعود التيار الديني في المنطقة العربية عن طريق الانتخابات ، وهي

الآلية المعتمدة أميركيا للبرهنة ديمقراطيا، ومن خلال هذه الآلية الليبرالية ظهر تياران متعارضان تماما مع فلسفة نهاية، بل على العكس أعطت للتاريخ خصوبة وربما ولادة جديدة، أثبتت رغبة الشعوب في الخلاص من منظومة الاستبداد والتبعية والنهب المنظم .

وفي هذا السياق ظهرت قيادات جديدة في أميركا اللاتينية تتبنى منهجا اقتصاديا استقلاليا، وأسلوبا ديمقراطيا يتسم بالشفافية ومع توفر مراقبة دولية للانتخابات، وسعي إلى فتح كل الملفات الشائكة، وأهمها ملف انتهاكات حقوق الإنسان، وتعذيب المعارضين، وتجارة الأطفال وتهريب المال العام وتزوير نتائج الانتخابات ، بمعنى أن الصفحات السياسية لا تطوى بسهولة ولا تترك فحسب لمحكمة التاريخ ، فالحاضر له آلياته ومثلما أن الديمقراطية تعني شفافية الانتخابات فهي تعني أيضا شفافية محاسبة الماضي، وترشيد سلوك السلطة بأجهزة ومؤسسات الرقابة الشعبية، وهنا أبرز قادة المرحلة الجديدة في أميركا اللاتينية

كيرشنر الأرجنتيني يتحدى
صندوق النقد الدولي

كثيراً ما يوصف الرئيس الأرجنتيني نستوركيرشنر في الدوائر الأميركية، بأنه متطرف مناهض للرأسمالية، وذلك لأنه طالب بإسقاط ما يزيد على تسعين في المائة من قيمة ديون الأرجنتين الخارجية، والتي تخلفت عن سدادها.

ولكن فلنتأمل معاً حالة الأرجنتين، التي عانت أربع سنوات عجاف من الكساد، بدأت في عام ١٩٩٨ . فبفضل رفض نستور كيرشنر لمطالب صندوق النقد الدولي

برفع أسعار الفائدة ورفع أسعار المرافق وتضييق الميزانية والحفاظ على الرابطة التي لا يمكن صيانتها بين البيزو والدولار الأميركي، تمكنت حكومته من رسم مسارها الاقتصادي بنفسها. وعلى الرغم من التهديدات المتكررة من قِبَل صندوق النقد الدولي، إلا أن الأرجنتين اتبعت سياسة متشددة مع الدائنين الأجانب، الذين استحق لهم آنذاك مائة مليار دولار أميركي. وفي شهر سبتمبر عام ٢٠٠٣ فعلت الأرجنتين ما لم يكن يتوقعه أحد أو يتصوره: لقد توقفت بصورة مؤقتة عن سداد ديونها لدى صندوق النقد الدولي ذاته. وفي النهاية تراجع صندوق النقد الدولي عن موقفه، الأمر الذي سمح بانتعاش اقتصادي سريع ونشط في الأرجنتين بدا واضحا في شبكة مصانع أنشأتها الدولة ما أدى إلى انخفاض معدلات البطالة،وارتفاع قيمة العملة الوطنية التي كانت تدهورت بشكل كبير.

ويعود النهوض في الاقتصاد الأرجنتيني غالى المنهج التقدمي للرئيس نستور كيرشنر، المنتخب بدعم شعبي في مايو ٢٠٠٣، بعد أن انسحب أمامه الرئيس السابق كارلوس منعم وقام بتوطيد وضعه طيلة السنتين الأخيرتين من إدارته. وحصل بالانتخابات التشريعية يوم ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٥ على ٤٠٪ من الأصوات -٣٠٪ من الناخبين- أي ضعف سنده الأول. لكن الوضع الاقتصادي والاجتماعي يتحسن تدريجيا إذ تدل المعلومات الرسمية على أنه كانت ثمة ٣٧ شهرا من النمو المتواصل وان هذا النمو بلغ عام ٢٠٠٦ نسبة ٩,١ ٪ ما يعزز التكهنات بأن منهج ترشيد النمو الرأسمالي أو كبح جماح الآليات الرأسمالية ساهم الى حد بعيد في تقليص الفجوة بين الإمكانيات والاحتياجات وهى فجوة وصفها المراقبون المحايدون بأنها كانت رهيبة قبل كيرشنر.

الأرجنتين تهاجم معايير الغرب المزدوجة

اتهم الرئيس الأرجنتيني نستور كيرشنر الدول الغنية باعتماد معايير مزدوجة في سياساتها تجاه ديون العالم الثالث والتغير المناخي.

وقال الرئيس كيرشنر في كلمة ألقاها أمام مؤتمر عقد في العاصمة الأرجنتينية لبحث مشكلة التغير المناخي إنه من غير المقبول أن تجبر الدول الفقيرة على تنفيذ كل التزاماتها تجاه دائنيها في وقت ترفض الدول الغنية تنفيذ التزاماتها فيما يخص مسألة الاحتباس الحراري.

ويقول المراسلون إن الرئيس الأرجنتيني إنما كان يوجه كلامه الى الولايات المتحدة التي ترفض بعناد الانخراط في بروتوكول كيوتو للحد من إنتاج الغازات المسببة للاحتباس.

ويتهم كيرشنر واشنطن بدعم الموقف المتشدد الذي يعتمده صندوق النقد الدولي تجاه الديون الأرجنتينية.

وفي تطور منفصل، أعلنت كل من الأرجنتين وإسبانيا أنهما اتفقا على إنشاء مرصد في إقليم بتاجونيا الأرجنتيني تكون مهمته دراسة انحسار طبقة الأوزون في الغلاف الجوي.

إعادة الجدولة

وقال الرئيس كيرشنر لدى افتتاحه الجلسة الوزارية في المؤتمر إنه من النفاق أن يطالب الأغنياء الدول الفقيرة بالوفاء بالتزاماتها تجاه دائنيها كاملة بينما "يرفضون أو يتهربون من الالتزام بالمتطلبات الأساسية لاستمرارية الحياة على هذا الكوكب كما وضعها بروتوكول كيوتو وهذا المؤتمر."

ومـضى الرئيس الأرجنتـيني إلى القـول: "لا يسـعنا قـبـول الرأي القـائل إن مـجـتـمـعـات كـاملة يـجب أن تهلك لمجـرد أن أناس في مـنطقـة أخـرى من العـالم يمتنعون عن القيام بالجهد اللازم لمنع الاحتباس الحراري."

وتأتـي تعليـقـات الرئيس كـيـرشنر قـبل اقل مـن شـهـر من مـوعـد إعـلان الأرجنتين عمـا وصف بأكبر عـملية لإعادة جـدولة الديون في التاريخ وأكـثرها تعقيدا.

يذكـر أن ديون الأرجنتين تبلغ أكـثـر مـن ١٠٢ مليـار دولار، ويقـول المحللون إن نجاح عـملية إعادة الجـدولة تعـتبـر حـيوية أذا كان لاقـتصاد البلاد أن يسـتعيد عافيته.

إجراءات أخرى

ويقول المحلل السياسي اليوت جرو سكين إنه في الوقت الذي يعلم فيه معظم المراقبين أن القضية لا تتعلق بالتغير المناخي، فإنهم يعرفون أيضا أن كيرشنر لا يضيع فرصة لمهاجمة صندوق النقد الدولي.

والمؤتمر الذي تحدث كيرشنر فيه - المؤتمر السنوي العاشر حول التغير المناخي -بحث في إدخال إجراءات جـديدة تتجاوز تلك التي وردت في بروتوكول كـيوتو للحد من انبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحراري الذي ينص على خفض مستوى هذه الغازات الى نفس مستواها في عام ١٩٩٠ بحلول عام ٢٠١٢ .

ولكن الولايات المتحدة، صاحبة اكبر اقتصاد في العالم والدولة التي تسهم أكثر من غيرها في إنتاج الغازات المسببة للاحتباس الحراري، ترفض التصديق على بروتوكول كيوتو قائلة إنه يستهدف صناعتها بشكل غير عادل.

أول رئيس يساري لأوروجواي
والـ"توباماروس" في السلطة

وبذلك، يكون فاسكيس الرئيس اليساري الأول الذي يصل إلى رأس السلطة في هذا البلد، الذي تقاسم الحكم فيه خلال أكثر من قرن ونصف القرن من الزمن حزبان تقليديان (بلانكوس وكولورادوس) اتبعا سياسة محافظة داخلياً وخاضعة للولايات المتحدة خارجياً. وذلك في مرحلة تاريخية ساد فيها "مبدأ مونرو"، المبدأ الذي يحمل اسم أحد الرؤساء الأميركيين في مطلع القرن التاسع عشر، والقاضي باعتبار مجمل القارة، بشمالها ووسطها وجنوبها، منطقة نفوذ للولايات المتحدة. والرئيس الجديد لأوروجواي جاء على خلفية موجة من الاستياء الشعبي العارم بسبب الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي عصفت بالبلد وبمعظم القارة الجنوبية بين العامين ١٩٩٩ و٢٠٠٣ بفعل سياسات "الليبرالية الجديدة" والعولمة الرأسمالية التي تتبناها وتنصح بها وصفات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

والى جانب الرئيس الجديد لأوروجواي، نجحت في انتخابات أواخر العام المنصرم أحزاب يسارية، بعضها مارس الكفاح العنيف في الماضي، في السيطرة على مجلسي الشيوخ والنواب، من خلال ما سمي بـ"الجبهة العريضة"، التي ضمت الشيوعيين والاشتراكيين وورثة حركة "توباماروس"، التي اشتهرت في ستينيات ومطلع سبعينيات القرن المنصرم بأعمالها العنيفة في المدن ضد الفاسدين وسلطتهم ولمصلحة الفئات الفقيرة والمستغلة من الشعب، التي كانت توزع عليها الأموال والمواد العينية التي يجري الاستيلاء عليها في عمليات فدائيي هذا التنظيم.

وبهذا الانتصار الانتخابي الواسع لتكتل اليسار، أصبح خوسيه موهيكا، الذي أمضى ١٥ عاماً في سجون الرجعية والدكتاتورية وقضى قسماً منها في بئر ماء قديم، أصبح رئيساً لمجلس الشيوخ... في حين أصبحت نورا كاسترو، من قيادات حركة التحرر الوطني "توباماروس"، رئيسة لمجلس النواب. والأخيرة، هي أول امرأة تحتل هذا الموقع في تاريخ البلد، صرحت لصحيفة "لوموند" الفرنسية في عددها الصادر في ٢٠٠٥/٣/١ بأنها لا زالت من "توباماروس"، بالرغم من أن هذا التنظيم غيّر من أساليب عمله وتقدم للانتخابات النيابية تحت اسم آخر هو "حركة المشاركة الشعبية". وقد تمكن من تحقيق أفضل النتائج بين أحزاب "الجبهة العريضة" المؤتلفة حيث حصل وحده على ٣٠٪ من أصوات الناخبين. هذا، وشارك في الاحتفال بتنصيب الرئيس الجديد لأوروجواي رئيس فنزويلا، هوجو شافيز، الذي استقبلته الجماهير استقبال الأبطال، بسبب جرأته وشعبيته الاستثنائية، التي جعلته ينتصر في تسع معارك انتخابية في ظرف سبع سنوات، ودفاعه عن فقراء شعبه ومواجهاته المتكررة والمتصاعدة مع سياسات الولايات المتحدة. كما حضر رئيس البرازيل المجاورة، اليساري والنقابي السابق لويس إنياسيو داسيلفا المشهور بلقب "لولا"، وكذلك رئيس الأرجنتين المجاورة اليساري أيضاً، نستور كيرشنير، وغيرهم من الجيل القيادي اليساري الجديد الصاعد في أميركا اللاتينية منذ أواخر القرن المنصرم .

لولا من قاع المدينة إلى القصر الجمهوري

عاش الرئيس البرازيلي لويس ايناشيو لولا دا سيلفا حياته في الأزقة الفقيرة وتعود من صغره على العمل الشاق ليكسب لقمة عيشه بعرق جبينه، وارتقى بين أفراد الاتحاد العمالي وترشح ثلاث مرات للانتخابات الرئاسية، ولم يحالفه

الحظ ولكنه في المرة الرابعة نجح في مسعاه عام ٢٠٠٢ وها هو الآن ينجح أيضاً في الفوز بولاية ثانية. يلقبونه بنصير الفقراء ويعرف عنه بعد نظره لكل ما يفيد بلاده اقتصادياً واجتماعياً، فوطد علاقاته مع الصين والدول العربية وكان الداعي الأول لإنشاء القمة العربية- الأمريكية الجنوبية، لكنه لم يقطع شعرة معاوية مع الولايات المتحدة الأمريكية بالرغم من علاقته الوطيدة بالزعيم الكوبي فيدل كاسترو والرئيس الفنزويلي هوجو شافيز.

ولد لولا دا سيلفا لعائلة فقيرة مزارعة أمية في كايتس في ولاية بيرنامبوكو وهناك جدل حول التاريخ الحقيقي لمولده فحسب الأوراق الرسمية ولد دا سيلفا في السادس من أكتوبر ١٩٤٥ إلا أنه يفضل استخدام التاريخ الذي تتذكره والدته وهو السابع والعشرون من الشهر نفسه، إذ كان شائعاً آنذاك في المناطق القروية البرازيلية وجود فروقات بين الوثيقة الرسمية للولادة والتاريخ الفعلي. وبعد ولادته انتقل والده للعمل في المدينة الساحلية جواروجا في ولاية ساو باولو ولحقت به العائلة المكونة من الأم وثمانية من الأولاد في ١٩٥٢ في رحلة استمرت ١٣ يوماً وهم مكدسون في صندوق شاحنة.

ورغم أن أحوالهم تحسنت قليلاً عن سابقتها إلا أنها بقيت صعبة جداً عليهم. لولا دا سيلفا لم ينل كفايته من التعليم فترك المدرسة وهو في الصف الرابع الابتدائي ولكن حياته المهنية بدأت باكراً عندما عمل وهو يبلغ من العمر ١٢ عاماً للمساعدة على الإنفاق على أشقائه وشقيقاته والطريف أنه بدأ يتعلم القراءة عندما كان عمره عشر سنوات.

عمل في طفولته ماسح أحذية في الشوارع وبائعاً للبيوكة، وهو مستحضر نشوي يستخدم في صنع الحلوى، وفي عمر الرابعة عشرة حصل على عمل رسمي

في مصنع للنحاس وكان فقد في عمر التاسعة أصبعا في يده بحادث خلال عمله في مصنع لأجزاء السيارات، إلا أن ذلك لم يمنعه من إكمال تعليمه وحصوله على شهادة معادلة للثانوية العامة. وفي ١٩٦٦ انتقلت عائلته إلى مدينة ساو باولو حيث قطن معها غرفة صغيرة وراء مطعم صغير، وخلال فترة عمله في المصانع بدأ يشارك في نشاطات الاتحاد العمالي، وبدأ شيئاً فشيئاً يتبوأ مناصب قيادية مهمة في النقابات والاتحادات العمالية قبل أن ينتخب عضواً بنقابة عمال الصناعات التعدينية ثم زعيماً للنقابة. وفي تلك الفترة كانت البرازيل ترزح تحت وطأة نظام ديكتاتوري حد كثيراً من نشاطات النقابات والاتحادات العمالية مما جعل دا سيلفا يتحرك باتجاه اليسار. وفي العام ١٩٦٩ تزوج داسيلفا من ماريا دي لورديس التي توفيت مع ابنها أثناء الولادة. وفي ١٩٧٤ تزوج مرة ثانية من ماريسا وأنجب منها ثلاثة أولاد، ثم تزوج من ميريم كورديرو وانجب منها طفلة،

وعندما انتخب دا سيلفا رئيساً وقائداً لاتحاد عمال المعادن في ١٩٧٥ نجح في إحداث فارق في النشاطات عندما حول هذه النقابة من حليف للحكومة إلى حركة مستقلة قوية ضمت نحو ١٠٠ ألف عضو آنذاك.

وفي عام ١٩٨٠ قاد إضرابا تاريخيًا استمر ٤١ يوماً وشارك فيه ١٤٠ ألفاً من العاملين في قطاع الصناعات والمصانع للمطالبة بخفض ساعات العمل اليومية، وعقب قمع الإضراب بالقوة تعرض لولا للسجن من قبل الحكومة العسكرية آنذاك، لكنه في العام نفسه نجح في تأسيس حزب العمال ليكون أول حزب رئيسي في تاريخ البلاد.

وصار دا سيلفا عضواً ناجحاً بالبرلمان الاتحادي، وطالب في ١٩٨٤ بتعديل

الدستور البرازيلي ليتسنى انتخاب الرئيس مباشرة من الشعب بدلاً من انتخابه من قبل مجلس الشيوخ والمشرعين التابعين للولايات البرازيلية المختلفة ، ونجح مسعاه ولكن في ١٩٨٩ عندما انتخب أول رئيس باقتراع مباشر من الشعب منذ ٢٩ سنة.

خاض دا سيلفا الانتخابات الرئاسية في البرازيل لأول مرة عام ١٩٩٠ وخسر أمام المليونير فيرنا ندو دي ميلو في جولة إعادة ركزت على سلوك لولا دا سيلفا الخشن وزي العمال الذي يرتديه.

ثم خاض الانتخابات الرئاسية مجدداً عامي ١٩٩٤ و١٩٩٨ عندما فاز الاشتراكي الديمقراطي فيرنا ندو هنريك كاردوسو بفترتين رئاسيتين، وفي رابعة حملاته الرئاسية ارتدى للرئاسة حلتها المناسبة ونجح في خطف الأضواء، وانتزاع المنصب السياسي الأرفع في البلاد عام ٢٠٠٢، وذلك عندما قال مقولته المشهورة "على السوق أن تفهم أن البرازيليين يحتاجون أن يأكلوا ثلاث مرات يومياً" ضد الجوع والبطالة.

برنامجه القائم على القضاء على الجوع والبطالة وتحسين الأحوال المعيشية جعله يفوز فوزاً كاسحاً ويضيف الأعباء فوق كاهله. وسلسلة الإصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي وعد بها نفذها بالفعل وان ببطء، إذ أسس برنامج المنحة العائلية الموجه لمقاومة المجاعة، حيث تقبض كل عائلة من ٥٠ إلى ٩٥ ريالاً برازيلياً (نحو ٣٢ يورو شهرياً) بحسب عدد الأبناء.

البرنامج الثاني كان الإصلاح الزراعي واستفادت ١١٧٥٥٥ عائلة من عملية توزيع الأراضي ما بين عامي ٢٠٠٣-٢٠٠٤ واستفادت عائلات أكثر في الأعوام التالية في ظل وعد الحكومة بتوزيع ٤٣٠ ألف قطعة أرض حتى نهاية الولاية

الرئاسية في ٢٠٠٦، وبموجب برنامج الزراعة العائلية حصل مليون من المزارعين الصغار على قروض منذ سنة ٢٠٠٣ وفي سنة ٢٠٠٥ تضاعف مقدار القروض.

ونجح البرنامج في إيقاف عمل ٤،٢ مليون طفل ما بين ١٩٩٩ حتى ٢٠٠٤ وهبط معدل البطالة بالقياس إلى السكان العاملين من ١٢،٢٪ في مايو٢٠٠٤ إلى ١٠،٢٪ في ٢٠٠٥، وهو ما شكل إنجازا كبيرا ومنح المواطنين الأمل في إمكانية تحول البرازيل من دولة تحتل مرتبة متقدمة في جدول الدول المديونة الى دولة مستقرة اقتصاديا بل ولديها طموحات كبيرة.

محاولا ت لغز و الفضاء

حاول لولا دا سيلفا أن يأخذ البرازيل إلى الفضاء فخلال ولايته الأولى انفجر صاروخ قضى على ثالث محاولة للبرازيل لأن تصبح قوة فضائية ولكنها أعلنت عزمها على مواصلة برنامجها الفضائي،وبكى الرئيس لولا دا سيلفا خلال حفل تأبين ضحايا الكارثة التي أصيب فيها أيضاً ٢٠ شخصاً بجروح خطيرة بالانفجار ووعد بتقديم تعويضات كاملة لعائلاتهم وتعويض عائلات القتلى. ولو كللت تلك التجربة بالنجاح لأصبحت البرازيل أول دولة في أمريكا اللاتينية تغزو الفضاء..

رئيس بأربعة أسماء

لقصة اسم الرئيس البرازيلي رواية طريفة فاسم سيلفا هو أكثر أسماء العائلات شيوعاً في البرازيل ،أما اسم لويس ايناشيو دا سيلفا فهذا هو اسمه كما بدا في وثيقة الولادة واستخدمه من ١٩٤٥ حتى ١٩٨٢ .

أما اسم لولا فكان الاسم الذي عرف به منذ صغره، واسم لويس ايناشيو لولا دا سيلفا فكان الاسم الذي استخدمه منذ ١٩٨٢ عندما أضاف اسم لولا الذي اشتهر به لضرورات الانتخاب، فحسب القانون البرازيلي هناك اسم رسمي واحد لمن يريد الترشح ولو ترشح باسم لويس ايناشيو فلن يعرفه أحد.

واتصل الرئيس الأمريكي جورج بوش بالرئيس البرازيلي دا سيلفا ليهنئه على الفوز بفترة رئاسية ثانية طالباً منه تقديم بعض النصائح حول كيفية الفوز لأن هذا ما يحتاجه الرئيس الأمريكي في هذا الوقت بالتحديد.

ويعتبر الرئيس البرازيلي انه أدى مهمته بطريقة مرضية، إذ ازداد وزن البرازيل السيادي في العالم وناضلت البرازيل في الهيئات الدولية من أجل نصرة عالم متعدد الأقطاب والمساهمة في إصلاح الأمم المتحدة ومجلس الأمن،كما عززت علاقتها مع الدول الفقيرة النامية وشنت معركة شعواء ضد الجوع لتتحقق كلمة دا سيلفا خلال حملته الانتخابية الأولى التي فاز بها عندما قال "معي كرئيس ستسترجع البرازيل فخرها وكرامتها ولن نسمح للآخرين بمعاملتنا على أننا جمهورية الموز".

بوليفيا: فوز الهندي
راعي حيوان اللامة

إنجاز تاريخي بكل معنى الكلمة شهدته بوليفيا شتاء ٢٠٠٥،عندما فاز أحد أبناء السكان الأصليين أي الهنود أصحاب الأرض قبل أن يفتح كولومبس أسرارها وأبوابها للغزاة الأوربيين،هو الرئيس ايفو موراليس، والذي حقق أملا ظل يراود أصحاب الأرض سنينا، وقد اعتبر فوزه انتصارا للاشتراكية الجديدة القائمة

على درجة من التوازن بين المصلحة العامة ومصالح المستثمرين ،فقد طمأن شركات الغاز العاملة في بلاده بأن خطته لتأميم الغاز لن تضر بالشركات النزيهة، وأنه سيمنح الشركات مهلة ١٨٠ يوما لتسوية أوضاعها بشكل قانوني تحت إشراف الدولة البوليفية أو مغادرة البلاد.

وقال موراليس أن بوليفيا لن تعود إلى سابق عهدها كدولة معوزة تتراكم فيها المشاكل الاجتماعية، ولن يقتصر الأمر على النفط بل سيتعداه ليشمل قطاع المعادن وسواها من الثروات الطبيعية التي تعود ملكيتها للشعب البوليفي

وطرح موراليس برنامجا اجتماعيا طموحا لتوظيف عائدات النفط والمعادن في برنامج اقتصادي يوفر آلاف الفرص العمل للشباب الذي يعاني البطالة.

وموراليس (٤٦ عاما) هو ابن فلاحين مقيمين في هضبة "ألتيبلانو"، وكان راعيا لحيوان اللامة في طفولته، وبقي لفترة طويلة زعيما لمزارعي الكوكا ورئيس "الحركة نحو الاشتراكية"، قبل أن يحصل على الغالبية المطلقة في الانتخابات الرئاسية في ديسمبر ٢٠٠٥

وقبل أدائه اليمين في الكونجرس في العاصمة البوليفية بحضور رؤساء دول من أميركا اللاتينية،توجه ايفو موراليس إلى تياواناكو (٧٠ كلم من العاصمة)، التي كانت المدينة المحببة إلى قلبه حيث جرت وقائع حفل تنصيب ايفو موراليس.

ووسط آثار معبد تياواناكو، تم "تنصيب" موراليس وفقا لطقوس السكان المحليين، أمام نحو عشرة آلاف فلاح، الذين منحوه ثقتهم ووقفوا معه في حملته الانتخابية ووفروا له الدعم المالي من أموالهم البسيطة، حيث سلمه أحد "الحكماء" عصا القيادة رمز سلطاته الجديدة المادية والروحية.

وبذلك، يكون ايفو موراليس المنحدر من قبيلتي أيمرا وكيتشوا، أول رئيس بوليفي يحظى بهذا التنصيب التقليدي المخصص عادة لزعماء قبيلة أيمرا.

وقد حضر قادة عشر دول أميركية لاتينية ورئيس دولة أوروبية واحدة الحفل الرسمي في الكونغرس حيث أدى موراليس الذي لطالما دافع عن قضية الهنود في أميركا الجنوبية، القسم.

وأعلنت "الحركة في اتجاه الاشتراكية" (حزب موراليس) أنه كان يأمل في أن يحضر الزعيم الكوبي إلى حفل تنصيب صديقه السياسي والمعجب به ايفو موراليس،لكن كاسترو قال "إن أميركا اللاتينية تتغير"وجاء ذلك تعليقا مهما على الفوز التاريخي لصديقه السائر على دربه - مع اختلاف الأسلوب- موراليس.

وقد دعي كل من الرئيس الأرجنتيني نيستور كيرشنير والبرازيلي لويس ايناسيو لولا دا سيلفا، والإكوادوري الفريدو بالاسيو(قبل فوز رافاييل كوريا) والكولومبي آلفارو اوريبي والتشيلي ريكاردو لاغوس (قبل فوز ميشيل بانشيليت) والبنمي مارتين توريخوس والبيروفي اليخاندرو توليدو ورئيس البار اجوي نيكانور دوارتي وفنزويلا هوجا شافيز لحضور حفل أداء القسم في الكونغرس ومن ثم إلى حفل ثان في قصر كيمادو في وسط العاصمة القديم.

ويستند برنامج موراليس الاقتصادي الاجتماعي على مجموعة ركائز هي:

×الحفاظ على دور الدولة الاقتصادي ووقف التوسع في الخصخصة مع احتفاظ القطاع العام بالمرافق الإنتاجية الحيوية.

«دعم قطاع التعليم والصحة باعتبارهما أكبر استثمار في القوى البشرية والتوسع في الخدمات التي تقدم للطبقات الفقيرة والمتوسطة.

- زيادة الضرائب المباشرة(ضرائب الدخول)والتقليل من الضرائب غير المباشرة التي يدفعها الغني والفقير.

لتوسيع العلاقات التجارية بين بوليفيا ودول أميركا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، مع الانفتاح على اقتصاديات كبيرة مثل الهند والصين وروسيا..

موراليس يدعو
لإنشاء وحدة إقليمية

الرئيس البوليفي ايفو موراليس افتتح اجتماع قمة إقليميا، بقوله أن "إنشاء مجموعة دول أمريكا الجنوبية على غرار الاتحاد الاوروبى قد يصبح أمرا واقعا خلال خمس سنوات".

وقال موراليس لسبعة من رؤساء دول أمريكا اللاتينية الاثنى عشر في مدينة كوتشابامبا البوليفية "لانريد أن يستغرق الأمر فترة طويلة مثلما حدث مع إنشاء الاتحاد الأوروبي.. وهى ٥٠ عاما. أتمنى أن يتطلب الأمر وقتا أقل منها. ثلاثة أو أربعة أو خمسة أعوام".

ووقع الزعماء ومن بينهم الرئيس الفنزويلى هوجو شافيز على بيان اتفقوا فيه على "وضع حجر الأساس لعملية تكامل أمريكا الجنوبية".

وأعرب شافيز وهو خصم الولايات المتحدة البارز في أمريكا اللاتينية عن قلقه من أن مجموعة القمة والتي تعرف باسم مجموعة دول أمريكا الجنوبية تفتقر إلى النفوذ وقال إنه لا يوجد حوار كاف بين الرؤساء.

وقال"دعونا نعترف بأننا نتخذ قرارات ولكن لا نملك القوة لتنفيذها".

وقال الرئيس البرازيلي لويس ايناسيو لولا دا سيلفا "أننى واثق أن دول أمريكا

الجنوبيـة لا تسـتطيع المضي قـدمـا إلى الأمـام فـرادى.. فـأمـا أن نجلس وننفـذ "عملية" التكامل..أو لن تكون أمامنا فرصة".

ويؤيد مـوراليس دمج الكتلتين التجـاريتين اللتين تتنافسـان على أن تكون الصوت الرئيسي وتعزيـز النمو الاقتصادي في أمريكا الجنوبية وهما مجموعة دول الانديز وميركوسور.

وتنتمي بوليفيا وكولومبيا والإكوادور وبيرو إلى مجموعة الانديز التي فقدت وضعهـا هذا العام عندمـا انسحبت منهـا فنزويلا الغنيـة بالنفط معلنة أن هذه المجموعة قد ماتت بعد أن وقعت بيرو وكولومبيـا اتفاقيتين للتجارة الحرة مع الولايات المتحدة.

وانضـمت فنزويلا بعـد ذلك إلى مـجـمـوعـة مـيـركـوسـور التي تضم أيضـا الأرجنتين والبـرازيل وباراجـواي وأوروجـواي. ولكن هذه المجـمـوعـة مـشـقلة بالخلافات بين أعضائها ولم تحقق تقدما كبيـرا كما كان متوقعا عند إنشائها قبل ١٢ عاما.

ولا تنتـمى شـيلي وهى واحـدة من اكبـر وأكـثـر اقتـصـاديات أمـريكا الجنوبيـة استقرارا إلى أي من المجموعتين.

وقال شافيـز إن كلا الكتلتين ماتتا وأن إلغاءهمـا هو السبيل الوحيد لتحقيق هدف الوحدة.

واتفق الرؤسـاء على الاجـتـمـاع في فنزويلا العـام المقبـل لبـحث تكامل الطاقة ولإنشاء مكتب في مدينة ريو دى جانيرو البرازيلية لتشجيع الوحدة الإقليمية.

اورتيجا حليف شافيز

لقد تلقت إدارة المحافظين الجدد في واشنطن صفعة قوية ، عندما عاد إلى السلطة في نيكارجوا الرئيس اورتيجا بعد١٦سنة على مغادرته قصر الرئاسة، وهو بلا شك حليف قوي لشافيز وكاسترو وموراليس في القارة اللاتينية

واورتيجا العدو اللدود لواشنطن التي بذلت جهودا جبارة لتقويض حكمه في الثمانينيات من القرن العشرين، وقد حل محل الرئيس انريكو بولانوس في انتخابات نزيهة راقبها ١٧ ألف مراقب دولي، بينهم الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر..

وتضمن برنامجه السياسي تطورا مهما هو العمل على إنهاء حقبة " الرأسمالية المتوحشة"، ولكن ليس عن طريق الثورة التي بات يعتبرها من الماضين وإنما من خلال تامين استثمارات محلية ولاتينية من أجل الحد من ظاهرة الفقر، ويتفق أورتيجا مع حلفائه كاسترو وشافيز وموراليس في رفض " نموذج الليبرالية الاقتصادية الجديدة"ومواجهة سياسات العولمة التي تدمر الشعوب الفقيرة.

وكان الرئيس الأميركي جورج بوش هدد بقطع المعونات الاقتصادية والاستثمارات عن نيكارجوا في ظل حكم أورتيجا، ويذكر أن والده - أي بوش الأب- قام بدور كبير في تمويل منظمة "كونترا" للقتلة المحترفين المناهضة لجبهة الساندنيستا بزعامة أورتيجا حين شغل منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية(سي أي إيه) وعندما تولى الرئاسة عام ١٩٨٨ كان شاهدا على سقوط حكم " الساندينستين" في انتخابات , ١٩٩٠

لقد حاولت الاستخبارات الأميركية أكثر من مرة اغتياله عن طريق فرق الموت

وهي عصابات من المرتزقة تنشط في أميركا اللاتينية كبنادق للإيجار، وتوظفها واشنطن لتصفية زعماء المعارضة ضدها، لكن اورتيجا الذي لايعتمد على قوة حراسة تلازمه قدر اعتماده على ذكائه وخبرته في التعامل مع المؤامرات استطاع أن ينجو من الاغتيال وان يعود إلى سدة الحكم من جديد وهو ما يشكل مأزقا للسياسة الأميركية في القارة اللاتينية، وكانت التدخلات الأميركية في الشؤون الداخلية لدول القارة أدى إلى تقويض أو إطاحة أكثر من ٤٠حكومة أميركية لاتينية في القرن العشرين، أشهرهم الزعيم التشيلي سلفادور الليندي، الذي نجحت الاستخبارات الأميركية في اغتياله عام ١٩٧٣ من خلال انقلاب نظمه (كما سبق القول).

عملاء واشنطن

انتصار كوريا في الإكوادور

واستمرارا لظاهرة انتصار القيادات المناهضة للنفوذ الأميركي في القارة ، انضم الرئيس الإكوادوري رافائيل كوريا إلى طابور الزعامات المناوئة لواشنطن بعد أن حقق فوزا في جولة الإعادة في انتخابات الرئاسة التي جرت في ديسمبر٢٠٠٦على منافسه الفا نوبورا الذي ينتمي إلى الاتجاه اليميني، ويعزز فوز كوريا خطة شافيز لإنشاء تحالف للحكومات اليسارية لمواجهة النفوذالاميركي في المنطقة. وكوريا الاقتصادي الذي تدرب في أميركا والذي هز "وول ستريت"بحديثه عن إعادة التفاوض على الديون،تعهد تحدي النخبة السياسية التي أنحى كثيرون من الإكوادوريين الساخطين باللائمة عليها في عدم الاستقرار في أكبر بلد مصدر للموز في العالم، ودعا كوريا من أجل الوحدة لتحقيق "ثورة

مـواطن"، وأصـر على أن هذه الانتـخابات ليست انتصـارا شـخصـيا إنما انتـصار لمشروع سياسي يؤيده الشعب

وحـصل كـوريا علـى ٥٧٪من الأصـوات، واكـتـسح منـافسـه المحـافظ الملـياردير الفـانوبوا الذي يمتلـك ١١٠شركات، مـن بينهـا ثاني أكبـر شـركة تصدير للمـوز في العـالم وتقـدر ثروته بمليـاري دولار، وحـصل علـى ٤٢٪ فـقط مـن الأصـوات، الأمـر الذي يؤكد أن المال مهما كانت سطوته لايستطيع أن يشتري إرادة الناخبين.

فـوز كـوريا شـكل انتـصـارا آخـر لليـسـار في دول أمـيـركـا اللاتينيـة، وانـضـمت الإكوادور بـذلك إلى شـيلي وبـوليفـيـا والبـرازيل والأرجـنتين وأورجـواي ونيكـارجـوا وفنزويلا التي يحكمها التقدميون مع تراجع الاتجاهات اليمينية المحافظة.

وفي تحليل لمستقبل الحكومـات التقدمية في القارة، قال ادواردو جمارا الخبير في شؤون أميركا اللاتينية بجامعة فلوريدا الدولية أن هذه الـدول تحكمها أنظمة يسارية لكنها في الوقت نفسه ديمقراطية جاءت عن طريق الانتخابات وليس عن طريق الانقلابات ،وتتبنى برامج واقعية لاسيما ما يتعلق بالإصلاح الاقتصادي، وتحـسين شـروط عـمل رجـال الأعـمـال أو بمعنى أدق تـرشـيـد وتقنين النشـاط الراسمالى المتوحش والمرتبط بالخارج بحيث يصبح نشاطا وطنيا صرفا.

وبعد فوز كوريا هنأه سفير أميركا لدى الإكوادور رغم معارضته تجديد اتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة، وتصريحه بأنه لن يسعى لتجديدها عندما تنتهي عام ٢٠٠٩ لأنها تضر بالمزارعين وأصحاب المشاريع الصغيرة، ووعد قايضا بانغلاق القاعدة العسكرية الاميركية واتخاذ خطوات لإعادة الإكوادور لعضوية منظمة الدول المصدرة للبترول.

وكوريا الذي يصف نفسه بأنه يساري مسيحي وليس ماركسيا ولد في مدينة

جواياكيل عام ١٩٦٣ودرس الاقتصاد بالجامعة الكاثوليكية بالمدينة ثم حصل على الماجستير في أميركا والدكتوراه في بلجيكا عام٢٠٠٠ .

ميشيل باشيليت
ثائرة شيلي

في يناير ٢٠٠٦ صعدت إلى الحكم في شيلي ميشيل باشيليت لتصبح أول رئيسة في قارة أميركا اللاتينية،وهي طبيبة تبلغ من العمر ٥٤ عاما، والدها كان جنرالا في سلاح الجو الشيلي، وكان مقربا جدا من الزعيم الشيلي السابق سلفادوراللليندي، وحينما قام الجنرال بينوشيه بانقلابه على الليندي عام ١٩٧٣ قام باعتقال والدها الذي توفى بعد أسابيع من اعتقاله، كانت الابنة التحقت بكلية الطب ودأبت على قيادة تظاهرات ضد الاستبداد، وألقي القبض على ميشيل وأمها ١٩٧٥وتعرضتا لأبشع أنواع وألوان التعذيب، وبعد الإفراج عنهما هاجرا إلى ألمانيا الشرقية، وتزوجت ميشيل هناك وأنجبت ابنها سباستيان١٩٧٨،وبعد طلاقها عادت إلى شيلي، ومارست عملها كطبيبة، وتزوجت مرة أخرى وأنجبت طفلين ثم طلقت بسبب خلافاتها مع زوجها الذي حاول أن يثنيها عن العمل السياسي لكنها أصرت على مواصلة الطريق.

وبعد خروج الديكتاتور بينوشيه من السلطة شعرت ميشيل أن الفرصة باتت مواتية لكي تؤسس حزبا يعكس أفكارها أو على الأرجح الانضمام إلى الائتلاف الديمقراطي الشيلي بين الحزب الاشتراكي والحزب الديمقراطي المسيحي ،وهذا ما حصل بالفعل فقد انضمت إلى الائتلاف وتبوأت مناصب تنظيمية عالية بفضل ثقافتها الرفيعة ، وتولت منصب وزيرة الصحة في عهد الرئيس ريكاردو

لاجوس ، ثم تولت منصب وزيرة الدفاع عام٢٠٠٣، ودعت إلى مصالحة وطنية شاملة بين المدنيين من كافة التيارات والعسكريين الذين حكموا شيلي بالحديد والنار في عصر بينوشيه وفي ظل أجواء تطالب بالثار جاءت دعوة المصالحة لتزيد شعبيتها.

واللافت أنها خاضت الانتخابات الرئاسية أمام منافسين من الوزن الثقيل، أولهما خواكيم لافين عمدة مدينة سالنتياجو السابق، وهو سياسي مخضرم ، أما الثاني فهو الملياردير سباستيان بنيرا الذي يملك إمبراطورية اقتصادية مكونة من ١٨ شركة وثروته تقدر بمليار دولار، وتمت الإعادة بينها وسباستيان، وفازت باغلبية٥٤٪ مقابل ٣٦٪ لمنافسها.

ويعود سبب فوزها إلى برنامجها السياسي الاشتراكي الواقعي أو العملي الذي يحدد الرؤية بناء على إفرازات الواقع واحتياجاته وليس المعطيات الإيديولوجية من هنا دعت إلى تشجيع الاستثمارات المحلية والأجنبية من خلال إجراءات ميسرة وامتيازات للقطاع الخاص كانت في السابق تعتبر جريمة في حق الفكر الاشتراكي،لكنها في نفس الوقت دعت إلى برنامج لتطوير القطاع العام ومؤسسات الدولة، والتدخل لحل مشكلة مديونياتها حفاظا على مصالح الدولة، وهي سمات تتفق مع اشتراكية القرن ٢١ التي أطلقها شافيز، ويطبقها أورتيجا وكوري وقبلهما لولا في البرازيل

وإذا كان شكسبير يقول على لسان هاملت في مسرحيته"لاشيء يحدث في الدنمارك بالصدفة"إلا أن الواقع يثبت وقوع صدفة غريبة ففي مطلع العام الذي تسلمت فيه ميشيل باتشيليت، يموت في محبسه المنزلي ديكتاتور شيلي السابق الذي قتل والد رئيسة الجمهورية الحالية (٢٠٠٦) ما يعني نهاية ضمنية

للديكتاتورية المرتبطة بالإدارة الأميركية وصعود الديمقراطية الاشتراكية على يد جيل جديد من الثوريين..

والشاهد أن المثقفين الثوريين الجدد في أميركا اللاتينية استطاعوا ببرامجهم الفوز على مليونيرات اليمين المحافظ، بما يعطي للأجيال القادمة أملا في إمكانية تحقيق الانتصار بالمبادئ وليس بسطوة المال، فالضابط شافيز الذي ينتمي إلى الطبقة الوسطى لايختلف -اجتماعيا- عن كوريا الإكوادور أو ميشيل بيشليت شيلي أو اورتيجا، فكل هؤلاء ارتبطوا بخط سميك هو الدفاع عن مصالح الفئات الكادحة وليس الانحياز إلى أثرياء المدن ومالكي القصور والتوكيلات والامتيازات الأجنبية، وهم سعوا إلى التنسيق والتعاون فيما بينهم في إطار أميركا اللاتينية ، وتنمية القدرات الذاتية من خلال التعاون المشترك وليس التنافس الاقتصادي ، وهذا ما يدعونا إلى المطالبة بخطوات عربية في اتجاه التنسيق بين الدول التي تقع في منطقة جغرافية واحدة وتربطها ظروف مشتركة،فحزمة المصالح المشتركة أكثر فاعلية من كتب القومية العربية وأغنيات الوحدة،وإذا تأملنا بعمق في التجارب التقدمية الجديدة في أميركا اللاتينية سوف نخرج بنتيجة هامة هي أن تبادل المصالح بين دول القارة كانت الايدولوجيا الواقعية التي من خلالها طورت إمكاناتها الاقتصادية من جهة وواجهت الهيمنة الأميركية من جهة أخرى،لان مقاومة الغطرسة الأميركية أو الصهيونية لا تتحقق في مجتمع مسحوق اقتصاديا أو تابع سياسيا أو مستلب ديمقراطيا ، وهذا الثالوث القديم في طبعته اللاتينية الجديدة حقق الاستقلال والتنمية والديمقراطية،وهذا ما يحتاجه المجتمع العربي اليوم وكل يوم .

وثـــائـــق

كلمة الرئيس البوليفي موراليس في مؤتمر التعاون الأفريقي ـ اللاتيني في أبوجا

إنها ساعة تاريخية ويوم مشهود تلتقي فيه أمريكا الجنوبية وشقيقتها أفريقيا..

أشكركم إخوتي الأعزاء على تلبيتكم ندائي الذي وجهته لكم منذ أكثر من ست سنوات وبعثت بعدة رسائل شفوية وتحريرية إلى إخوتي في أمريكا الجنوبية أدعوكم فيها إلى اللقاء بين أفريقيا وأمريكا الجنوبية .

عندما طرح أخي العزيز الرئيس " لولا "فكرة اللقاء بين أمريكا الجنوبية والبلاد العربية قلت له إن الأفضل والأفيد هو اللقاء بين أمريكا الجنوبية وأفريقيا.

وأشكر أخي الرئيس " اوباسانجو" ونيجيريا لتبنيهم هذه الدعوة واستضافتهم لهذه القمة وتحملهم لتكاليفها .

بهذه المناسبة أحيي وأهنيء الرؤساء أشقاءنا الذين نجحوا في الانتخابات في أمريكا الجنوبية أو في أفريقيا والذين هنأهم الرئيس " أوباسانغو " ولا أريد أن أكرر الأسماء مرة ثانية .

ولكن في هذه الساعة لابد أن نعلن تضامننا القوي مع شقيقنا المناضل الكبير "شافيز" فى فنزويلا ونوجه نداء إلى شعب فنزويلا أن يصطف وراء "شافيز" وأن نوجه نداء إلى الجماهير والشعوب المتطلعة التي تعشق الحرية وإلى الفقراء في كل مكان خاصة في فنزويلا أن يعطوا أصواتهم لشافيز لأنه حبيب الفقراء ونحن نسانده ونعاضده وأيضا نؤيده .

ولو كانت عندنا الآن أصوات لصالحه لوضعناها في صندوقه، ولكن عندنا القوة المعنوية، وهذا النداء الحار القوي الذي نوجهه إلى شعب فنزويلا بأن

يصطفوا في هذه الساعات الحاسمة إلى جانب "شافيز" فنزويلا المقاتل في سبيل الحرية وصديق الفقراء والجماهير .

هذا اللقاء التاريخي ينبغي أن يتمخض عنه صنع أرضية صلبة نقف عليها لينطلق عليها العمل المشترك من الآن فصاعدا وينبغي أن يكون هذا المؤتمر التاريخي حجر الزاوية لعمل تاريخي عظيم بين القارتين .

آن الأوان أن نسرع الخطى وأن ننجز المهام بسرعة لأن العالم يشهد تحولات دراميـة خطيرة جدا وخريطة العالم تتغير بسرعة وبشكل غير مألوف وأن الدولة الوطنية تحتضر ولم يعد لها مكان والبقاء للفضاءات الكبرى والاتحادات الكبرى.

نحن في الجنوب وهناك شمال .. الشمال يتوحد ويقوى ويصنع ونحن نتصارع ونتنازع ونضعف ونبتز ونستغل من قبل القوة التي تصنع والتي تتقدم.

أمريكا الجنوبية وأفريقيا يجب أن لا يكونا حديقتين خلفيتين لأميركا الشمالية ولأوروبا ولا يكونا مكبا لنفايات المواد الضارة ولا يكونا منجما لمصانعهم نحن يجب أن نصنع خاماتنا ونصدرها مصنعة ونحن لدينا الإمكانات الضخمة البشرية والمادية، ومن ٥٠ إلى٩٥ ٪من احتياطي المعادن في العالم موجودة في أفريقيا .. وإذا استبعدنا الشرق الأوسط فإن أمريكا الجنوبية تحتل المرتبة الأولى في احتياط النفط وأفريقيا تحتل المرتبة الثانية .

إمكاناتنا نحن نريد أن نستغلها بأنفسنا وهم يبتزوننا بإمكاناتهم ويفرضون شروطهم علينا بهذه الإمكانات .. نحن لا نريد فقط إلا أن نستغل إمكاناتنا ولا نريد أن نبتز أحدا ولا نريد أن نفرض شروطا على أحد نحن نريد فقط أن نستقل في استغلال إمكاناتنا.

هناك تحالف قوي جدا في الشمال يجب أن يوازيه ولا أقول أن يواجهه تحالف قوي في الجنوب وإلا سيكون هناك فراغ وتكون هناك خلخلة استراتيجية تترتب عليها تداعيات أخرى خطيرة تصل إلى حد المس بالأمن والسلم الدوليين، وعليه لابد من ملء فراغ ذاتي في الجنوب.

العالم كله يعرف أن هناك فراغا حقيقيا في الجنوب وهناك مناطق ضغط قوي في الشمال وستتدفق الموجات المختلفة من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض كما هو في حالة المناخ كما تعرفون.

فنحن من واجبنا التاريخي ونحن مسؤولون في هذه المرحلة الآن أن نملأ هذا الفراغ ذاتيا بقوتنا، ونعتقد أن هذا الشعور هو الذي حركنا للقاء في هذا اليوم التاريخي في أبوجا.

ويجب أن لا يكون هذا الاجتماع اجتماعا احتفاليا أو تقليديا مثل "دافوس" أو أي منتدى آخر بل يجب أن يكون اجتماعا سياسيا استراتيجيا تاريخيا يصدر عنه قرار يعيد التوازن في العالم.. يخلق قوى تملأ الفراغ خاصة في جنوب الأطلسي.

نحن نتعرض للابتزاز .. خاماتنا نبيعها رخيصة ونتعرض لسرقة عقولنا ونتعرض لإلقاء النفايات في بلادنا ونتعرض لإجراء التجارب علينا، نحن في أسوأ حال الآن ويجب أن لا يستمر.

وهذا اللقاء هو يقظة منا بأننا نتعرض لتحديات خطيرة ليس هناك إمكانية لمواجهتها إلا بملء الفراغ بتنظيم قُوَى القارتين .

نحن هناك من يرى أن الشمال يشكل عملا عدوانيا .. عملا خطيرا ولكن الشمال هو يبني نفسه على أي حال ويريد أن يدافع عن نفسه ووصل إلى دفاع فضائي

مشترك، فأمريكا الشمالية وأوروبا يعملون الآن على أن يقيموا غطاء دفاعيا جويا لهما لتسليحاتهم ويعملون الحلف الأطلسي ويقولون إنه للدفاع وإنه حلف دفاعي وإن الدفاع حق مشروع طبيعي طبقا للمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة.

فنحن أيضا من حقنا أن نقي أنفسنا دفاعيا، وهنا أشير إلى القرار الهام جدا للجمعية العامة للأمم المتحدة رقم٤١/١١ الذي صدر في الشهر العاشر من عام ١٩٨٦والذي يقول "إن منطقة جنوب جنوب الأطلسي يجب أن تكون منطقة سلم وتعاون . وعلى دول هذه المنطقة أن تتحد مع بعضها وأن تتعاون معا وأن تعمل المؤسسات والآليات التي تحقق هذا الغرض وعليها أن تملأ الفراغ".

ويدعو هذا القرار دول العالم إلى أن تحترم استقلال وسيادة دول جنوب الأطلسي وأن تسحب وجودها العسكري وأن تكون هذه المنطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل ومن سباق التسلح ومن النزاعات العسكرية والتدخلات الأجنبية وأن أية دولة ذات أهمية عسكرية في العالم عندها وجود عسكري في جنوب الأطلسي يجب أن تسحب هذا الوجود.

هذا قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقمه ٤١ / ١١ للعام ١٩٨٦ونحن يجب أن نستند على هذا القرار وأن نستفيد منه وهو في مصلحتنا .. وبين يدي مذكرة "كونسبت بيبر" من إخوتنا من أمريكا الجنوبية وزعتها البرازيل باسمهم تستند أيضا على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٤١ / ١١،وهذا يسمح لنا بأن نعمل أية اتفاقية أية معاهدة موازية ونكرر دائما كلمة موازية وليس مواجهة موازية لمعاهدة شمال الأطلسي وهذايحقق أهداف جنوب جنوب وفكرة جنوب جنوب وتعاون جنوب جنوب وربما يمتد بعد ذلك إلى تضامن مع آسيا .. تضامن اسيوي.

العالم الآن فيه شمال وفيه جنوب.. فيه شمال مصنع قوي ومسيطر ويبحث عن خامات.. ويبحث عن أسواق استهلاكية.. ويبحث عن مناطق نفوذ وفيه جنوب ضعيف مهلهل غني بالخامات وإمكانات ضخمة ولكنه مُبتز وغير قادر على تصنيعها وهذا أدى إلى خلل في التوازن الدولي.

يعني نحن الآن أمام عولمة.. أمام تهديد.. أمام تحديات ولا ننكر هذا.

وهناك تطاول وهناك تحديات وهناك تهديد.. وهناك خروج عن ميثاق الأمم المتحدة.. وهناك عمل خارج الأمم المتحدة وهناك حدود لاتُحترم..وهناك شعوب تهاجم وهي نائمة..وهناك منازل تهدم على رؤوس ساكنيها بدون أن يرتكبوا أي ذنب لأن موقعهم في المنطقة المراد احتلالها والمراد استغلالها والمراد ابتزازها من قوة جاهزة تبحث عن مناطق نفوذ وتعزز وجودها فوق الكرة الأرضية .

فنحن لابد أن نحمي أنفسنا.. نريد أن ندافع عن أنفسنا ولهذا لا مفر من عمل "سايكلو" موازٍ للناتو وهذا للدفاع عن أنفسنا .

وأنا عندما أقول دفاع ليس دفاعا عسكريا كما يتبادر إلى البعض بل للدفاع عن مصالحنا الاقتصادية وعن موقفنا التفاوضي وعن وجودنا في منظومة الأمم المتحدة.

نحن الأمم المتحدة هذه قضية مهمة جدا جدا، نحن الامم المتحدة الأمم المتحدة التي اتحدت ضد هتلر .. هذه انتهت هذه أسطورة تاريخية أن هناك أربع أمم متحدة ضد هتلر وعملت مايسمى بالأمم المتحدة الخاصة بها لكن الأمم المتحدة اليوم ليست هي الأمم المتحدة أمس.

نحن الآن الأمم المتحدة .. نحن الأغلبية الساحقة.. نحن لا نطلب من أحد أن يمنحنا عضوية أو يمنحنا مقعدا في مجلس الأمن.. نحن من يقرر هذا.

من الذى عنده الحق أن يمنح أمريكا الجنوبية أو يمنح أفريقيا مقعدا دائما في مجلس الأمن ومن الذى له الحق أن يقول هذا المقعد يتمتع بكذا أو يتمتع بكذا.

نحن نقرر هذا وبدوننا نحن ليس هناك أمم متحدة .. وإذا نحن انسحبنا من ما يسمى بالأمم المتحدة،فلا يمكن أن تكون هناك أمم متحدة.

نحن عندنا إمكانات تجعلنا أقوياء .. تجعلنا أقوياء .. أمريكا الجنوبية من حقها أن تتمتع بمقعد دائم في مجلس الأمن وبالتناوب بين دولها .. أفريقيا من حقها أن تتمتع بمقعد دائم في مجلس الأمن بكل امتيازاته وأن يكون بالتداول بين دولها، هذا لمصلحة السلام العالمي لكي يكون هناك توازن،لأن الآن يوجد خلل في الميزان الاستراتيجي الدولي فلابد أن يكون هناك توازن لمصلحة السلام والأمن الدوليين.

آسيا أيضا قد تتمتع مناطق بها مثل الهند بمقعد دائم في مجلس الأمن، في ذات الوقت ليس من مصلحة التوازن أن تزاد المقاعد الدائمة لأوروبا لأن أوروبا تتحول إلى دولة واحدة إلى اتحاد واحد وهي تتمتع الآن بمقعدين دائمين في مجلس الأمن ومن الخلل أن يضاف مقعد آخر للاتحاد الأوروبي أو دوله الأوروبية.

أما أفريقيا وأمريكا الجنوبية فهذا شيء بدون مناقشة يجب أن يكون لهم مقعد دائم في مجلس الأمن .. هذا حقنا ومن مصلحة السلم والأمن .

نحن نسمع بمجلس الأمن الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية وكل ما هو دولي .. دولي ولكن في الواقع كان هذا حكرا لمجموعة من الدول وهذا هو الخطأ فنحن لا نسلم به ويجب أن نرفضه .

صندوق النقد الدولى .. دولي ويعنى لنا نحن وهو دولي لأننا نحن اعضاء به ونساهم فيه .. المصرف الدولي دولي لأنه ملك لنا جميعا ونساهم فيه وليس ملكا لدولة أو دولتين أو ثلاث أو أربع مهما كانت نسبة مساهمتها .

فأية دولة قوية عندها إمكانات مثل أمريكا أو أية دولة أخرى تستطيع أن تعمل مصرفا خاصا بها وهي حرة أن تفرض شروطها على من تريد إذا كانت تريد أن تساعد بهذا المصرف .. هذا من حقها لكن عندما يكون مصرفا دوليا لا تفرض شروطها علينا، نحن أصحابه نحن مالكوه .

هذه مسألة يجب أن تصحح .. صندوق النقد الدولي ملك لنا نحن كلنا وليس لأحد أن يسيطر عليه ولا أن يفرض شروطه علينا .. المصرف الدولي ملك لنا جميعا ولا يمكن أن تفرض علينا شروط في الصندوق الذى نملكه نحن .

كذلك مجلس الأمن الدولي مادام دوليا إذن هو مجلسنا نحن جميعا فلا تسيطر عليه دولتان أو ثلاث أو أربع أو خمس دول وتقول مجلس الأمن الدولي.. هم أربع أو خمس من حقهم أن يعملوا مجلسا خاصا بهم ويفرضون ما يريدونه على العالم لكن مادام مجلس الأمن دوليا فهذا دولي لنا جميعا .

أنا أعتقد أن شعوبنا تتطلع في العالم كله إلى هذا اللقاء في ابتهاج وأمل وتفاؤل .. وأن هذا لقاء تاريخي وأرجو أن يتكرر هذا اللقاء كل سنتين على الأقل.

ووفقكم الله وشكرا.

ديسمبر ٢٠٠٦

كلمة الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز

أمام الجمعية العامة بالأمم المتحدة

١٧ سبتمبر ٢٠٠٥

السادة الحضور، الأصدقاء الأعزاء، عمتم مساءً

لقد تم تغيير الهدف الأساسي من لقائنا هنا، لقد فرض علينا أن نضيع وقتنا هنا في مناقشة مسألة إصلاح الأمم المتحدة للتغطية على المسائل الأكثر إلحاحا، والتي تراها كل شعوب العالم مسائل ملحة، وهي تبني الإجراءات اللازمة للتصدي للمشكلات التي تعوق وتدمر الجهود التي تبذلها بلادنا في سبيل التنمية الحقيقية والحياة الكريمة.

بعد خمس سنوات من مؤتمر الألفية، تبقى الحقيقة المؤلمة أن الجزء الأكبر من الأهداف المتوقعة - والتي كانت في حد ذاتها أهدافا متواضعة - لم يتحقق.

لقد زعمنا أننا سنخفض حتى العام ٢٠١٥ إلى النصف عدد من لا يجدون قوت يومهم في العالم والذين يبلغ عددهم ٨٤٢ مليون إنسان، وبمعدل العمل الحالي فإن هذا الحلم لن يتحقق قبل العام ,٢٢١٥ مَن منَ الحضور هنا سيكون حيا ليحتفل بهذا الإنجاز؟ هذا فقط بفرض أن جنسنا البشري سوف ينجو من الأخطار التي تهدد بيئته الطبيعية.

لقد زعمنا أننا نهدف لتوفير التعليم الأساسي لكل سكان الأرض بحلول العام ٢٠١٥ وبمعدل الإنجاز الحالي فإن هذا الهدف لن يتحقق قبل العام ٢١٠٠ دعونا إذن نستعد للاحتفال.

أصدقاؤنا في العالم، إن ما سبق يقودنا إلى نتيجة محزنة، هي أن الأمم المتحدة قد استنفدت دورها، وليست المسألة هنا مسألة إصلاح الأمم المتحدة، إن القرن ٢١ يفرض علينا تغييرات عميقة لن يمكن تحقيقها إذا لم نوجد منظمة جديدة كليا، المنظمة الحالية لا تعمل، علينا أن نعترف بذلك، إنها الحقيقة، إن المقترحات التي تقدمها فنزويلا اليوم لها جانبان، جانب فوري وجانب طويل المدى، مدينة فاضلة، الأول محدد في إطار الاتفاقيات التي وقعناها في المنظمة الحالية، نحن لا نتخلى عن تلك الالتزامات، بل نحن نقدم مقترحات قوية لتفعيل هذا الجزء في مدى قصير، لكن حلم السلام العالمي الدائم، الحلم بعالم خالٍ من عار الجوع، المرض، الأمية، العوز، يحتاج - بعيدا عن الجذور - أن يفرد جناحيه حتى يحلق، نحن بحاجة لفرد أجنحتنا وللتحليق، نحن نرى الليبرالية الجديدة العولمية المرعبة، لكننا نرى أيضا حقيقة الترابط الذي أصبح عليه العالم اليوم، والذي يجب أن نتصدى له ليس كمشكلة ولكن كتحدٍّ، نستطيع بالاعتماد على واقعنا، على تبادل المعرفة والأسواق المجمعة، والترابط بيننا، لكننا يجب أن نفهم أن هناك مشاكل لا يمكن حلها في الإطار القطري، الإشعاع، أسعار النفط العالمية، الأمراض، ارتفاع حرارة الكوكب، أو ثقب الأوزون، هذه ليست مشاكل محلية، ونحن عندما نسعى حثيثا نحو نموذج جديد للأمم المتحدة يعبر عنا جميعا أهل الأرض، فنحن نقدم إليكم أربعة مقترحات جوهرية وملحة لإعادة بناء الأمم المتحدة.

الأول هو توسيع عضوية مجلس الأمن سواء العضوية الدائمة أو الدورية، ومن ثَم قبول عدد أكبر من الدول المتقدمة والنامية كأعضاء دائمين ودوريين في مجلس الأمن.

الثاني، نحتاج إلى التأكيد على ضرورة تغيير أساليب العمل بما يتيح قدرا أكبر من الشفافية الغائبة، والثالث، هو حاجتنا إلى الوقف الفوري - وقد كررت فنزويلا هذا الطلب مرارا خلال السنوات الست الماضية - لحق الاعتراض - الفيتو - على قرارات مجلس الأمن لدول بعينها، لأن منهج النخبة هذا يتعارض مع الديموقراطية، يتعارض مع مبادئ المساواة والديموقراطية.

الاقتراح الرابع، هو حاجتنا لدعم دور الأمين العام، مهامه/مهامها فيما يتعلق بالدبلوماسية الوقائية، يجب أن نعضد هذا الدور. إن خطورة المشكلات المطروحة تحتم هذا التحول. مجرد الإصلاح لن يكفي لتحقيق تطلعات شعوب العالم. إن فنزويلا تدعو إلى تأسيس أمم متحدة جديدة، أو كما قال سيمون رودريجيز معلم سيمون بوليفار :" إما أن نبتكر أو نأثم."

أثناء قمة المجتمع في بورت أليجري، في يناير الماضي طالب الكثيرون بنقل الأمم المتحدة إلى خارج الولايات المتحدة إذا ما استمر خرقها للقانون الدولي. اليوم نحن نعرف أن العراق كان خاليا من أسلحة الدمار الشامل، لقد كان الشعب الأمريكي حريصا على معرفة الحقيقة من قادته، وشعوب العالم أجمع لديها نفس الرغبة. لم يكن في العراق مطلقا أي أسلحة دمار شامل، ومع ذلك تم تدمير العراق وإحتلاله، ولا زال العراق محتلا، كل ذلك حدث بتجاوز الأمم المتحدة، لذلك نحن نقترح على الجمعية العامة ضرورة خروج الأمم المتحدة من البلد الذي لا يحترم قراراتها.

بعض مقترحاتنا تشير إلى مدينة القدس كمدينة دولية كبديل لوضعها الحالي، وهذا الإقتراح من شأنه أن ينهي الصراع على المدينة الذي تشهده فلسطين

اليوم، مع ذلك، ربما تكون هناك بعض الخصائص التي تزيد من صعوبة الوضع هناك، لذلك فنحن نقدم اقتراح سيمون بوليفار - المحرر الجنوبي العظيم - ففي عام ١٨١٥ اقترح بوليفار تأسيس مدينة دولية تمثل رمزا لتوحد العالم.

نحن نؤمن أن الوقت قد حان للتفكير في تأسيس مدينة دولية ذات سيادة مستقلة، لها قوتها وقيمها الخاصة لتعبر عن كل أمم العالم، هذه المدينة الدولية من شأنها أن تنهي خمسة قرون من الاضطراب.مقر الأمم المتحدة الرئيسي يجب أن يكون في الجنوب.

السيدات والسادة، إننا نواجه أزمة طاقة غير مسبوقة جعلت أسعار الطاقة ترتفع بلا توقف حتى وصلت إلى حدود قياسية، أيضا لدينا العجز عن زيادة إمدادات البترول مع اعتبار النقص المستمر في الاحتياطيات المعروفة للنفط في العالم، لقد بدأ وقودنا ينفد.

في عام ٢٠٢٠ سيصل الطلب اليومي على النفط إلى ١٢٠ مليون برميل، هذه الكمية - حتى مع تجاهل الزيادة في الاستهلاك - سوف تستهلك خلال ٢٠ سنة كل كمية الطاقة التي استهلكتها البشرية حتى يومنا هذا، وهذا يعني مزيدا من انبعاث ثاني أكسيد الكربون الذي لا يمكن تلافيه، مما يرفع حرارة كوكبنا أكثر.

لقد كان إعصار كاترينا مثلا مؤلما لتكلفة تجاهل هذه الحقائق، فارتفاع حرارة المحيطات هو العنصر الرئيسي وراء زيادة القدرة التدميرية للأعاصير التي شهدناها في السنوات الأخيرة، ولتكن هذه فرصة نعبر من خلالها عن خالص تعازينا لشعب الولايات المتحدة الأميركية، فالأميركيون هم إخوتنا وأخواتنا في القارة الأميركية وفي سائر أنحاء العالم.

إنه ليس من الواقعية ولا من الأخلاق أن نضحي بالجنس البشري بالترويج بشكل محموم لنموذج اجتماعي اقتصادي له هذه القدرة التدميرية المتصاعدة، سيكون من الانتحار نشر هذا النموذج وفرضه باعتباره العلاج الوحيد الكامل لكل الشرور التي كان هو ذاته وراءها.

منذ وقت قريب ذهب رئيس الولايات المتحدة إلى اجتماع منظمة دول قارة أميركا ليعرض على أميريكا اللاتينية ودول الكاريبي مزيدا من سياسات السوق، سياسات السوق الحر - الليبرالية الجديدة - مع أن هذه السياسات هي السبب الرئيس وراء المشكلات والشرور الكبيرة التي تعانيها شعوبنا، الليبرالية الرأسمالية الجديدة بمفهوم واشنطن، كل ذلك سبب درجة كبيرة من البؤس، اللامساواة والمأساة اللانهائية لشعوب هذه القارة.

سيدي الرئيس، إن ما نحتاجه اليوم أكثر من أي وقت مضى هو نظام عالمي جديد، دعونا نتذكر الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الاستثنائية السادسة عام ١٩٧٤، منذ ٣١ سنة، عندما تم إقرار نظام اقتصادي عالمي جديد، وعندما تم إقرارا إتفاقية الحقوق والواجبات الاقتصادية للدول بأغلبية ساحقة، ١٢٠ مؤيدا، ٦ معارض، ١٠ ممتنع عن التصويت. كان ذلك وقت أن كان التصويت متاحا في الأمم المتحدة، اليوم التصويت شيء مستحيل. اليوم يقرون وثائق - كهذه التي بين أيدينا اليوم - والتي أعلن باسم فنزويلا أنها غير قانونية ولا مشروعة، هذه الوثيقة أقرت بالمخالفة للقوانين الحالية للأمم المتحدة، هذه الوثيقة باطلة، هذه الوثيقة يجب مناقشتها، سوف تنشر الحكومة الفنزويلية هذه الوثيقة على الناس، لا يمكننا أن نقبل بدكتاتورية مفضوحة ومخجلة في

الأمم المتحدة، يجب أن نناقش هذه المسائل، ولهذا فأنا أدعو زملائي، رؤساء الدول والحكومات لمناقشتها.

لقد عدت لتوي من مقابلة مع الرئيس نيستور كيرشنر، وكنت على وشك إخراج هذه الوثيقة، لقد تسلم وفدنا هذه الوثيقة منذ خمس دقائق فقط - وبنسخة واحدة إنجليزية، هذه الوثيقة أقرت من قبل دكتاتورية غاشمة أصفها هنا بأنها غير شرعية ولا قانونية.

اسمع هذا سيدي الرئيس، لو قبلنا هذا فإننا بالفعل ضائعون، دعونا نطفئ الأنوار، نغلق كل الأبواب والنوافذ، ليس من المعقول أن نقبل الدكتاتورية هنا في هذه القاعة.

الآن أكثر من أي وقت سبق - كما نكرر دائما - نحتاج أن نأخذ الأفكار التي خلفناها وراءنا كالاقتراح الذي أقر في هذه الجميعة عام ١٩٧٤ والخاص بنظام اقتصادي دولي جديد، البند الثاني من هذا المقترح يؤكد على حق الدول في تأميم الممتلكات والموارد الطبيعية التي يسيطر عليها مستثمرون أجانب، ويقترح أيضا تشكيل اتحادات لمنتجي المواد الخام. في القرار ٣٠٢١، مايو أيار ١٩٧٤، عبرت الجميعة العامة عن نيتها للعمل بكل جد لتشكيل النظام الاقتصادي الدولي الجديد المبني على - أرجو الإصغاء بحرص - العدالة، المساواة، استقلال الشعوب، المصالح المشتركة والتعاون بين كل الأمم بغض النظر عن أنظمتها الاجتماعية والاقتصادية، إلغاء التفرقة ورد الظلم بين الدول المتقدمة والنامية، ومن ثم ضمان السلام والعدل والنمو الاجتماعي والاقتصادي المتواصل للأجيال الحالية والقادمة.

كان الغرض الأساسي من النظام الاقتصادي العالمي الجديد هو تعديل النظام السابق الذي صنعته بريتون وودز.

نحن نزعم أن قضية فنزويلا الآن هي نظام اقتصادي عالمي جديد، لكن من

الضروري أيضا بناء نظام سياسي عالمي جديد، دعونا لا نسمح لدول قليلة أن تعيد تفسير مبادئ القانون الدولي لفرض أفكار جديدة من عينة الحرب الاستباقية، هل يهددوننا بهذه الحرب الاستباقية؟! وماذا عن حق الدفاع عن النفس؟ نحن بحاجة أن نسأل أنفسنا، من الذي سيحمينا؟ كيف سيوفرون لنا الحماية؟

إنني أعتقد أن إحدى الدول التي تحتاج إلى الحماية هي الولايات المتحدة ذاتها، لقد ظهر هذا بشكل مؤلم مع مأساة إعصار كاترينا، الأميركيون ليس لديهم حكومة تحميهم من الكوارث الطبيعية المتوقعة، إذا كنا سنتحدث عن حماية بعضنا البعض، هذه أفكار في غاية الخطورة تشكل الإمبريالية والتدخل في شئون الغير كما يحاولون تقنينها لخرق السيادة الوطنية، سيدي الرئيس، إن الاحترام الكامل لمباديء القانون الدولي ومعاهدة الأمم المتحدة يجب أن يكون حجر الزاوية في العلاقات الدولية في العالم اليوم، والقاعدة للنظام الدولي الجديد الذي نقترحه الآن.

من الضروري أن نحارب بكل فاعلية الإرهاب الدولي، ومع ذلك يجب علينا ألا نستغل الحرب على الإرهاب لشن عدوان عسكري غير مبرر بالمخالفة للقانون الدولي. لقد كان هذا هو الفكر الذي ساد بعد ١١ سبتمبر/ أيلول، فقط التعاون الحقيقي والصادق وإنهاء إزدواجية المعايير التي تنتهجها بعض بلاد الشمال في التعامل مع الإرهاب، هذا فقط هو السبيل لمواجهة هذا الخطر المشؤوم.

بعد سبع سنوات فقط من الثورة البوليفية بإمكان الشعب الفنزويلي أن يزعم لنفسه تقدما إجتماعيا وإقتصاديا حقيقيا.

مليون وستة آلاف وأربعمائة فنزويلي تعلموا القراءة والكتابة، تعدادنا الكلي

٢٥ مليون، والبلاد خلال أيام قليلة سوف تعلن خالية تماما من الأمية، ثلاثة ملايين فنزويلي كانوا دائما مستبعدين بسبب الفقر هم اليوم منخرطون في التعليم الإبتدائي والإعدادي والمراحل التالية.

١٧ مليون فنزويلي - حوالي ٧٠٪ من السكان - يتلقون - وللمرة الأولى - أرقى رعاية صحية شاملة الدواء، وخلال سنوات قليلة سيحظى كل فنزويلي بأرقى الخدمات الطبية بالمجان، أكثر من مليون وسبعمائة طن من الغذاء تم توفيرها لنحو ١٢ مليون مواطن - نصف عدد السكان تقريبا - بأسعار مدعومة، منهم مليون يحصلون عليها مجانا بالكامل بسبب ظروفهم الاستثنائية، تم توفير أكثر من سبعمائة ألف وظيفة بما هبط بمعدل البطالة تسع نقاط، كل هذا وسط عدوان من الداخل والخارج بما فيها محاولة قلب نظام الحكم ووقف إنتاج البترول بتآمر من الولايات المتحدة، ناهيك عن المؤامرات والأكاذيب التي تروجها آلة الدعاية القوية والتهديد المستمر من الإمبراطورية وحلفائها، حتى دعوا إلى إغتيال الرئيس، البلد الوحيد الذي يمكن للشخص فيه أن يدعوا علانية لاغتيال رئيس دولة أخرى هو الولايات المتحدة، هذا ما فعله المحترم بات روبرتسون المقرب من البيت الأبيض، لقد دعى لاغتيالي ولازال حرا طليقا، هذا هو الإرهاب الدولي.

سوف نقاتل من أجل فنزويلا، من أجل أميريكا اللاتينية والعالم أجمع، نعيد التأكيد على إيماننا المطلق بالإنسانية، إننا متعطشون للسلام والعدل لتنجو سلالتنا، سيمون بوليفار، الأب المؤسس لدولتنا والملهم لثورتنا أقسم ألا يسمح لعزمه أن يلين ولروحه أن ترتاح حتى يكسر القيود التي تغلنا بها الإمبراطورية، اليوم حان الوقت ألا نسمح لعزائمنا أن تلين ولا لأرواحنا أن ترتاح حتى ننقذ البشرية.

شافيز يصف بوش بوحش إمبريالي و يؤكد أن بلاده تقاوم أي غزو أميركي

هاجم الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز الرئيس الأميركي جورج بوش واصفا إياه بأنه وحش إمبريالي في خطاب ألقاه في هانوي أكد فيه أنه سيقاوم أي غزو قد تشنه الولايات المتحدة كما قاومت فيتنام الهجوم الأميركي على أراضيها.

وانتقد شافيز، في غرفة التجارة والصناعة في هانوي بفيتنام الشيوعية في خطاب استمر لمدة ساعتين، الولايات المتحدة والرأسمالية حيث وصف الإمبرياليين الاميركيين بأنهم أشرار ويحتلون مراتب متدنية من بني البشر بل ومن الحيوانات.

وأضاف شافيز: أن الولايات المتحدة هي الوجه البغيض للرأسمالية، وإن الرأسمالية ستؤدي إلى فناء الإنسانية وتدمير كل شيء بما في ذلك الصداقة.

و كان شافيز يرد على تصريحات لجورج بوش اعتبر فيها أن شافيز لا يشكل خطرا عسكريا بل خطرا يهدد بزعزعة الديمقراطية.

وقال شافيز: إن الوحش الإمبريالي الأميركي لن يتخلى ابدا عن مؤامراته ضدنا، سمعنا تصريحا جديدا لبوش موجها مرة جديدة ضد فنزويلا وضدي.

وأضاف: إذا اجتاحوا بلادي ،سنفعل ما فعلت فيتنام، سنقاوم ونلحق بهم الهزيمة.

رسالة شكر موجهة إلى الرئيس هوجو شافيز

في ظل موقف شافيز المشرف، الذي استنكر فيه الحرب الإسرائيلية الوحشية على لبنان وانتقاده اللاذع للهمجية الصهيونية، قام مجموعة من المفكرين اللبنانيين بتحرير الرسالة التالية حتى يقوم كل العرب بإرسالها إلى سفارة فنزويلا في كافة الأقطار، حيث جاء نصها كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

فخامة العقيد هوجو شافيز رئيس الجمهورية البولفارية الفنزويلية

القصر الرئاسي- كراكاس

فخامة الرئيس الموقر

إن وطننا لبنان، ذلكم البلد المستقل والحر ذو السيادة المعترف بها من قبل كل الدول أعضاء المجتمع العالمي والعضو بهيئة الأمم المتحدة وكافة المنظمات الدولية، يواجه منذ شهر تقريبا هجمة إبادة وحشية صهيونية غاشمة طالت المواطنين الأبرياء والعزل ودمرت البنى التحتية من مطارات وموانئ ومدارس وطرقات ومستشفيات وكافة مرافق الدولة الحديثة في محاولات يائسة من العدو لمسح لبنان من الخريطة الكونية ،ولأكثر من مرة إذ تعد هذه الحرب السادسة التي يشنها على لبنان المسالم.

ونحن إذ نثمن لفخامتكم عاليا موقفكم النبيل من العدوان الجاري وطردكم للسفير الإسرائيلي بل وعزمكم قطع العلاقات الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني لنشكر لكم باسم الشعوب العربية قاطبة مساندتكم لنا في محنتنا ونهتف بهذه الخطوة الرائدة في زمن الظلم والإستعداء ...

تفضلوا فخامة الرئيس بقبول أسمى مشاعر الاعتزاز والتقدير ممتنين للشعب الفنزويلي البطل بكل معاني الشكر والإكبار وشكرا جزيلا ...

EN EL NOMBRE DE ALLAH -DIOSGRACIABILISIMO MISERICORDIOSISIMO

EXMO SENHOR PRESIDENTE

VENEZUELANA BOLIVARIANA REPUBLICA LA DE

COLONEL HUGO CHAVES

PALACIO PRESIDENTIAL

EL LIBANO NUESTRO PAIS SOBERANO, INDEPEN- CARACAS - VENEZUELA

DENTE E RECONECIDO POR TODOS LOS GOVIERNOS DEL MUNDO INTERO, E

PRINCIPALMENTE EL GOBIERNO VENEZUELANO DESDE SU SURJIMIENTO,

E INDEFE- INOCENTE ESTAS SOFRENDO BARBAROS ATAQUES CONTRA LA

CIVIL LIBANESA,,,DECENAS DE PONTES DESTRUIDAS ION¡SA POPULA

IN- IOS DEMOLIDOS ,AEOROPUERTOS PUERTOS E QUASE TODA LA¡,EDIFI

O PAIS YA ESTA ACABADAì.ر FRA-ESTRUCTURA DEL PEQUE

DELANTE DE VUESTRA POSITION HUMANA E CAVALERA DE CORTAR LAS

RELATIONES DIPLOMATICAS CON EL ESTADO DE ISRAEL, POR SER EL ASSA-

SINO E MASSAQUIADOR , REPUDIADO POR TODOS LOS MOVIMIENTOS LI-

PLANETAì BRES DE LA

PARA SU EXLENCIA IEMENTOS¡QUEREMOS EXPRESAR NUESTROS AGRADE

E PARA TODO EL PEUBLO VENEZUELANO AMIGO E CORAJOSO ì

ION , JUNTO CON¡PRECIOSA ATEN MAS UNA VEZ, VALORISAMOS VUESTRA

MAS ELEVADA ESTIMA E DISTINTA CONSIDE- LA NUESTROS VOTOS DE

ION.¡RA

IAS.¡MUCHISSIMAS GRA

شافيز يهدد بقطع النفط عن الولايات المتحدة

حذر الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز من ان استمرار الهجمات الأميركية ضد حكومته قد يؤدي إلى تدهور العلاقات الثنائية بين البلدين وإلى وقف صادرات النفط الخام من فنزويلا إلى الولايات المتحدة والتي تبلغ حاليا ١,٥ ملايين برميل يوميا.

وقال شافيز "لا نريد قطع العلاقات مع حكومة الولايات المتحدة، ولكن إذا ما استمر تصاعد الاعتداءات كما حدث مؤخرا، فالعلاقات بين فنزويلا والولايات المتحدة ستتعرض للخطر".

وأضاف أن هجمات واشنطن قد تؤدي إلى "شيء أخطر من ذلك، فناقلتا النفط المحملتان بالنفط الفنزويلي واللتان تتوجهان يوميا إلى الولايات المتحدة، قد تتوجهان إلى مكان آخر".

وكرر الرئيس الفنزويلي الذي تعتبر بلاده رابع مزود للولايات المتحدة من النفط "أن سوق أميركا الشمالية ليست ضرورية بالنسبة لنا"، وأضاف "ليس لدينا أي سبب لقطع الامدادات، إلا إذا دفعنا إلى ذلك السيد دنجر"في إشارة إلى الرئيس الأميركي جورج بوش.

وذكر أن فرع "سيتغو بتروليوم" التابع للشركة الحكومية الفنزويلية "بتروليوس" يملك ثماني مصاف و١٤ محطة بنزين في الولايات المتحدة.

و المعروف أن العلاقات بين كراكاس وواشنطن قد توترت منذ وصول شافيز الى الحكم عام ١٩٩٩ فالولايات المتحدة تتهم الزعيم الفنزويلي بالسعي لزعزعة استقرار القارة فيما يقتنع شافيز بأن واشنطن تريد الإطاحة به.

المشروع المناهض: البديل البوليفاري

سمات النضال في أميركا اللاتينية

تتسم هذه المرحلة باشتداد الرياح القادمة من الجنوب الاميركي وتتسارع التطورات والمتغيرات التي تنذر بفجر جديد، وهي رياح حبلى بالتغيير وإن تفاوتت من حيث مصدرها واتجاهها وسرعتها سواء تلك التي تهب من فنزيلا وبوليفيا أو الأخرى القادمة من الأرجنتين والبرازيل.

يتميز النمط الجديد لنضال شعوب أميركا اللاتينية بميزتين أساسيتين:

دور الشعوب: يكتسب نضال هذه الشعوب ثوبا جديداً يعيد لها دورها في صياغة التغيير والإمساك بمصيرها.

القيادة: نهوض قيادات وأحزاب وبنَى سياسية، من نمط جديد، تنطلق من تربتها الطبيعية وثقافتها الوطنية وتعبر عن مصالح الفقراء والمهمشين وتلتحم مع جماهيرها في نضالاتها ومعاناتها اليومية.

وقد شهدت فنزويلا، منذ أن تولى هوجو شافيز رئاسة الجمهورية عام ١٩٩٨، تحولاً جذرياً شمل كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. فللمرة الأولى في تاريخ البلاد يتم استثمار عائدات النفط لتأمين الخدمات الاجتماعية (الرعاية الصحية والتعليم وتوفير المياه الصالحة للشرب والمواد الغذائية للفقراء وضمانة الأمن الغذائي للمجتمع والطاقة الكهربائية) وغيرها من الخدمات الاساسية للمواطنين.

تؤمن الثورة البوليفارية أن نتائج وعائدات هذا التحول (وهذه السياسات) لا تعود بالنفع على المواطنين الفنزويليين فحسب، بل على مجمل القارة اللاتينية،

ويشكل هذا التضامن الإقليمي والأمني البعد الأساسي الذي يميز الرؤية الفنزويلية لمستقبل القارة اللاتينية والكاريبي: البديل البوليفاري كنقيض للنيوليبرالية وعولمة راس المال.

لم تجلب اتفاقيات FTAA و NAFTA لشعوب الأميركتين سوى المزيد من الأزمات الأقتصادية والتخلف وأشكال تجميلية من التنمية المحتجزة والمشوهة، ورغم إخفاقاتها وانفضاح ادعاءاتها في تخفيض الفقروالجوع والبطالة وتعثر مساعيها التوسعية في نصف الكرة الغربي الذي لم يحرز أي تقدم منذ عام ٢٠٠٣، ما زالت هذه الاتفاقيات تتربع على رأس أولويات الإدارة الأميركية منذ عام ١٩٩٤ .

فما زال ٤٣٪ من سكان أميركا اللاتينية يعيش تحت خط الفقر في حين يعيش خمس القارة (٩٧ مليونا) على أقل من دولار واحد يوميّاً، كما تؤوي هذه القارة ما يقارب ٢٢٢ مليون جائعاً وفقيراً، و٥٠ مليون عاطل عن العمل، ٢٠٠ مليون مواطن يتعرض للموت جرّاء الامراض والأوبئة الفتّاكة، وملايين لا تحصى من الأميين.

ما هي "البا"؟ وماذا تريد؟

جاءت اتفاقية "البا" رداً على اتفاقيات نافتا NAFTAو"منطقة التجارة الحرة للأميركتين" FTAAومجمل السياسات النيوليبرالية التي تقوم على ضمانة الربح الأقصى للشركات متعددة الجنسية والانفلات من كافة القيود والضوابط الاجتماعية والإنسانية لا بل والحضارية، وعليه، جاءت "البا" للدفاع عن المواطنين وحمايتهم وأسست برامجها على الاقتصاد الموجه لبناء مجتمع أفضل

وانحازت جذريا للعدالة والمساواة الاجتماعيتين ولتوفير الرفاهية للقطاعات المحرومة في البلدان الفقيرة والمتخلفة (أغلبية المجتمع).

يمكننا إيجاز المرتكزات الرئيسية للبديل البوليفاري للقارة اللاتينية "البا" بما يلي:

١) محو الفقر وكافة أشكال التهميش الاجتماعي والاقتصادي. ويمثل إيجاد آليات محو الفقر نقطة الانطلاق في البديل البوليفاري.

٢) تعزيزقيم المساواة بين الناس والعدالة الاجتماعية ورفاهية الطبقات الشعبية (الأكثر قهراً في المجتمع).

٣) الاقتصاد الموجه: اعتماد التعاون الاقتصادي القائم على اقتصاد موجه اجتماعيّاً كبديل لنقيضه المشروع الراسمالي الأميركي المتمثل في الاتفاقيات النيوليبرالية، والتأكيد بأن التنمية في هذه البلدان لن تتحقق إلاّ بمحاربة هذه الاتفاقيات والسياسات الرأسمالية بكافة تجلياتها وآلياتها.

٤) إن مصالح شعوب القارة والكاريبي مصالح مشتركة لا تتحقق إلاّ بإزالة الفوارق بين بلدان المنطقة عبر الاندماج الإقليمي، ويتحقق هذا الاندماج بالدرجة الأولى من خلال التضامن مع البلدان الفقيرة والمتخلفة في نصف الكرة الغربي بهدف إعانتها على استنهاض بنيتها التحتية.

الاعتماد الإقليمي على الذات

يقوم البديل البوليفاري من حيث المبدأ على عقد اتفاقيات اقليمية، أو الاقتصادي والتنمية وإقامة التوازن بين هذه المجتمعات وإزالة الفوارق (اللاتماثل) بينها، وبعبارة أخرى شق درب جديد في التنمية الاقتصادية والاجتماعية يستند

إلى تعزيز القطاعات الإنتاجية المحلية والوطنية أي "التنمية من الداخل"كما تسميها وثائق الثورة البوليفارية endogenous development مثل الزراعة والصناعة على نقيض "المناطق الصناعية الحرة" أي المحتلة التي تنشأها الشركات المتعددة الجنسية بين كتل من دول اميركا اللاتينية والكاريبي، لدعم النمو ة والمعروفة عالمياً باسم ماكيلادورا maquiladoras والتي لا تسهم في استنهاض القوى المنتجة (الزراعية والصناعية) في البلدان الفقيرة ولا تعالج الاسباب الجذرية للفقر وآليات محوه كما أنها لا تعمل على بناء اقتصادات حية ومستديمة، وهذا الاتجاه مأخوذ بدرجة أو أخرى من تطويرات مدرسة النظام العالمي التي تدعو الدول القريبة جغرافياً وذات الأنظمة المتقاربة فكرياً وسياسياً إلى العمل المشترك لتحقيق تنمية متوازنة فيما بينها.

تعتبر معظم شعوب الاميركتين (باستثناء الشعب الأميركي- شعب الولايات المتحدة) الخدمات الاجتماعية حقوقاً تضمنها دساتير هذه البلدان لمواطنيها، وتشمل هذه خدمات أساسية مثل الرعاية الصحية والتعليم وتوفير المياه الصالحة للشرب والمواصلات والخدمات البريدية إضافة الى قوانين العمل وحماية المستهلك وغيرها، بالإضافة إلى كوبا، التي أصبحت مثال العصر في تأمين وضمانة هذه الخدمات رغم الأزمات الاقتصادية والحصار الإمبريالي المستديم عليها، يجدر التذكير بأن الدستور الفنزويلي لعام ١٩٩٩ يضمن "الديمقراطية الاقتصادية" والتي تعبر عن جوانب اساسية في حماية هذه الحقوق.

تتناقض هذه المفاهيم جذرياً مع نمط العولمة الراسمالية التي تسعى لاحتجاز

تطور وتنمية الشعوب الفقيرة عبر الهيمنة الاقتصادية وتقليص الديمقراطية وخصخصة القطاع العام وخدماته وهجومها المتواصل على الطبقة العاملة ومكتسباتها، وقد سقطت الخدمات الاجتماعية ضحية الجشع الراسمالي وتحت رحمة بنود اتفاقية FTAA وهكذا استطاعت الشركات الكبرى، بعد أن دمرت القطاع العام وخصخصت خدماته، تحويل مواطني تلك البلدان الى حشود من ملايين المستهلكين بغية جرهم للانزلاق في نمط وثقافة الاستهلاك الراسمالي الاميركي والذي يجعل من شعوب العالم مصدراً مستديماً للشراء والاستهلاك والربح.

تقف "البا"، إذن، على نقيض من السياسات النيوليبرالية والخصخصة وإزالة الضوابط على القطاعات الزراعية والصناعية ورفع القيود عن الشركات الكبرى (ما يسمى زوراً بتحرير التجارة) والتي تهدف في محصلتها النهائية الى الحد من التخطيط الاقتصادي وحرمان المواطنين من الخدمات الاجتماعية الاساسية. بل تؤكد على مسؤولية الدولة في توفير الحاجات الأساسية للمواطنين وترفض مبدأ الربح على حسابها، وفضلاً عن كونه مبدأ أساسيً، فإن دور الدولة هذا يشكل آلية فعّالة في تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعيتين وإزالة أسباب الظلم والاستغلال والفوارق الاجتماعية، واستناداً إلى هذا المبدأ، ترفض "البا" أية اتفاقيات تجارية من شأنها أن تحد من أو تقلص الخدمات والموارد العامة أو رفع أسعار هذه الخدمات (سعياً وراء الربح) وتصر على توفير هذه الخدمات بأسعار زهيدة، حتى ولو تطلّب ذلك تدخل الدولة ومشاركتها في تغطية التكلفة أو جزء منها، لضمانة وصولها إلى المواطنين أو على الأقل للأغلبية الساحقة من المجتمع التي لا تملك القدرة على شرائها بأسعار مرتفعة.

الاندماج الإقليمي والبعد الأمني

ينطلق البديل البوليفاري ورؤية الثورة البوليفارية في فنزويلا في الاندماج الإقليمي والأمني من كتابات وأفكار سيمون بوليفار، وترتكز هذه الرؤية في أدبيات "ألبا"، من حيث الجوهر، على المبادئ التالية:

١) إن مصالح شعوب أميركا اللاتينية تكمن في الاندماج الإقليمي لاقتصادات تلك القارة كدرب للتنمية ووسيلة لتحطيم هيمنة الشركات متعددة الجنسية والتحرر من أغلال الهيمنة الإمبريالية والعولمة.

٢) التضامن والتكامل بين الشعوب بدلاً عن الهيمنة، والتعاون بدل الاستغلال.

٣) احترام السيادة الوطنية وإنهاء هيمنة الشركات متعددة الجنسية، أدوات المركز الرأسمالي الإمبريالي الغربي.

٤) لا يتحقق هذا إلاّ بالمشاركة الإيجابية والفعّالة للمواطنين والمنظمات الشعبية فهم صانعو السياسة ومنفذوها والمنتفعون منها في آن واحد.

٥) تحدي المرتكزات الأساسية للاتفاقيات والسياسات النيوليبرالية وطرح مشروع بديل مناهض لمشروع العولمة الرأسمالي، وهكذا يقف البديل البوليفاري "ألبا"، على النقيض من البديل العولمي FTAA لانه يشترط محو الفقر والتهميش الاجتماعي كأولوية تسبق قضايا "حقوق الإنسان والنوع وتعزيز الديمقراطية وحماية البيئة" وما شابه من القضايا التي يشغلون بها شعوب المنطقة ويفتتون جهودهم عبر ادعاءات العولمة وآلياتها من منظمات غير حكومية تأتي من الغرب الرأسمالي لتغرق العالم الثالث في بحر من الفساد والاغتراب

كي تنصاع شعوبه في المحصلة النهائية لإملاءات المؤسسات المالية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وغيرهما.

إزالة المعوقات

كما هو حال الأقطار العربية في ظل سياسات العولمة وهيمنة الشركات متعددة الجنسية، فقد استعصى الاندماج الإقليمي لبلدان أميركا اللاتينية لعقود طويلة وأصبح ضرباً من المحال رغم الكفاح الطويل لتحقيقه.

وترى "ألبا" أن المعوقات الأساسية التي تحول دون تحقيق هذا الاندماج، تتمحور أساساً في التفاوتات الهائلة والهوة العميقة بين بلدان نصف الكرة الغربي (شماله ووسطه وجنوبه) حيث تقف دول فقيرة (مثل هاييتي وبوليفيا وغيرهما) لتنافس أقوى الاقتصادات الراسمالية وأعتى الإمبرياليات في العالم. تلك هي أولى المعوقات، وهنا تكون نقطة البداية في تصحيح هذه الأوضاع المختلة، وعليه تتمثل المهمة الملحة في:

١) أن تقوم شعوب المنطقة بصياغة رؤيتها الجماعية والمشتركة للمعايير التي تحدد أسباب هذا التفاوت المفجع وحالة انعدام التوازن المتفاقمة بين مجتمعاتها.

٢) تقديم تعريف واضح لـ"الاقتصاد الصغير" استناداً إلى معايير اقتصادية معينة يتم الاتفاق عليها (مثل عدد السكان، الموارد، القدرة الإنتاجية، الاستيرادات، مستوى التنمية الصناعية، دخل الفرد، مستويات الفقر وغيرها). وعلى أساس تلك المعايير يجري تخطيط وتوجيه موارد كل بلد نحو القطاعات الانتاجية الملائمة.

٣) تحديد الاقتصادات الاكثر ضعفاً والبلدان التي تعاني من نقص في الحاجات الاساسية.

٤) توجيـه موارد هذه البلدان، وعلى أساس التضامن بين شعوب المنطقة، نحو تطوير بنيتها التحتية كضمانة وحيدة لدخولها في المفاوضات والتعاقدات التجارية مع الدول الغنية وشركاتها الكبرى بشروط أفضل، أو على الأقل تحسين هذه الشروط.

٥) العمل على إيجاد "مناطق تجارية حرة" يستفيد منها كافة أعضاء المنظومة وتساهم في مزاحمة منتوجات الدول الغنية.

٦) تتبين هنا الحاجة الملحة لـ "صندوق" تشترك فيه كافة الشعوب ويصبح حجر الأساس في مشاريع "ألبا" ويوفر بديلاً عن المؤسسات المالية الرأسمالية في التمويل ومنح القروض والدعم المالي للبلدان الأضعف اقتصادياً، وهكذا، أسست "ألبا" "صندوق التعويض للتقارب البنيوي" Compensatory Fund for Structural Convergence لإغلاق الفجوات وردم الهوَّة، بين بُنى البلدان الأعضاء، ويشكل هذا الصندوق الآلية الأساسية للتعاون الإقليمي وتقديم العون للبلدان الفقيرة وإعادة توزيع الثروة بين دول القارة اللاتينية.

السيادة الوطنية

لحماية الاستقلال والسيادة الوطنية، والحد من تغلغل الشركات الراسمالية الكبرى وهيمنتها على الاقتصادات المحلية، تؤكد "ألبا" على أمرين أساسيين:

أولاً: منح الشركات المتعددة الجنسية ذات الامتيازات والتسهيلات (الأفضلية) التي تتمتع بها الشركات المحلية (الوطنية) بغض النظر عن حجم الشركات الكبرى؛

ثانياً: عدم منح الشركات الاجنبية الجديدة أية امتيازات أو تسهيلات أقل من الشركات الاجنبية التي تعمل راهناً في تلك البلدان.

حق حماية الملكية الفكرية

بدايةً لا بد من التنويه بأن الاتفاقيات التي تنظم وتضبط حقوق الملكية الفكرية والعلمية، والتي سنتها دول الغرب الرأسمالي والشركات الكبرى، لا تعترف بالكم المعرفي الهائل والخبرات التي تختزنها شعوب الأميركتين منذ قرون مديدة، كما أنها لا تعترف بحق هذه الشعوب في استخدام خبراتها ومواردها الطبيعية، وفي هذا السياق، تحرم هذه الاتفاقيات والقوانين الشعوب الفقيرة والسكان الأصليين في القارة اللاتنية من استخدام هذه المعارف والخبرات والموارد في إنتاج حاجاتها، رغم وفرة معرفتها وخبراتها العريقة في الطبيعة والبيئة والنباتات والكائنات الحية. تلك الخبرات التي تراكمت عبر التفاعل والتعايش المشترك لقرون طويلة.

وعلى أساس هذه القوانين والاتفاقيات، ومن خلال احتكارها للعلم والمعرفة والتطورات العلمية والطبية والتكنولوجية، أخذت الشركات الكبرى بنهب معارف وخبرات وموارد شعوب الجنوب، مجاناً أو بكلفة زهيدة، وإستخدامها (الأعشاب والبذور على سبيل المثال) في تصنيع منتجاتها وسلعها (العقاقير الطبية وغيرها) وبيعها للشعوب الفقيرة وفي الأسواق العالمية بأسعار باهظة وأرباح طائلة، وقد ألحق هذا أضراراً فادحة بدول الجنوب وعمق الفوارق بين الشعوب والدول وخصوصاً في المجالات العلمية والطبية التي تحتاجها هذه الدول والتي هي بأمس الحاجة لها، وقد وصف الكثير من المحللين قوانين الملكية الفكرية بأنها "البعد الأكثر ديناميكية في عملية تركيز القوى وتعميق عدم المساواة التي تميز اتجاهات الهيمنة الراهنة في حقبة العولمة".

تؤكد "ألبا"، في المقابل، على حق الشعوب والحكومات في مناهضة الخصخصة ومقاومة السياسات المنفلتة، دون ضوابط أو رقابة، في مجال حقوق الملكية الفكرية والعلمية تلك الحقوق التي تصطدم مع قدرة الحكومات على توفير الخدمات الاجتماعية الضرورية لشعوبها (توفير العقاقير بأسعار منخفضة كمثال)، وتولي "ألبا" مسألة العقاقير أهمية خاصة لكونها المثال الصارخ على وحشية وهمجية شركات الأدوية الكبرى التي تصر على بيع الأدوية للشعوب الفقيرة بأسعار باهظة لا تملك هذه الشعوب ولا حكوماتها أصلاً القدرة على دفعها مما يؤدي إلى حرمانها من العلاج واستفحال الامراض والموت من جرّائها. (نستحضر هنا مثال بيع عقاقير مرض الإيدز للشعوب الأفريقية الفقيرة حيث أصرت الشركات الكبرى، وأغلبها شركات أميركية، على أسعار لا تقوى اقتصادات القارة السمراء على دفعها).

لهذه الأسباب مجتمعةً، تقف "ألبا" ضد "حق حماية الملكية الفكرية"، كما يعرّفه ويحتكره الغرب الرأسمالي، وكما تحدد معاييره دول الشمال الغنية والمتقدمة تكنولوجياً.

وهكذا فإن القارة اللاتينية لم تتوقف على مدى خمسة قرون عن النضال من أجل الحرية والاستقلال، ولم تكل جماهيرها عن العطاء من أجل الوحدة والتضامن بين شعوبها منذ أن أطلق سيمون بوليفار صيحته قبل أكثر من مائتي عام، ثم جاء إرنستو تشي غيفارا منذ خمسة عقود باحثاً عن إنسانية جديدة، ومكملاً المسيرة نحو عولمة التضامن بين الشعوب وتوحيد أميركا اللاتينية pan-americanismo إلى أن اغتالته يد اليانكي الإمبريالي على تراب بوليفيا، وها قد

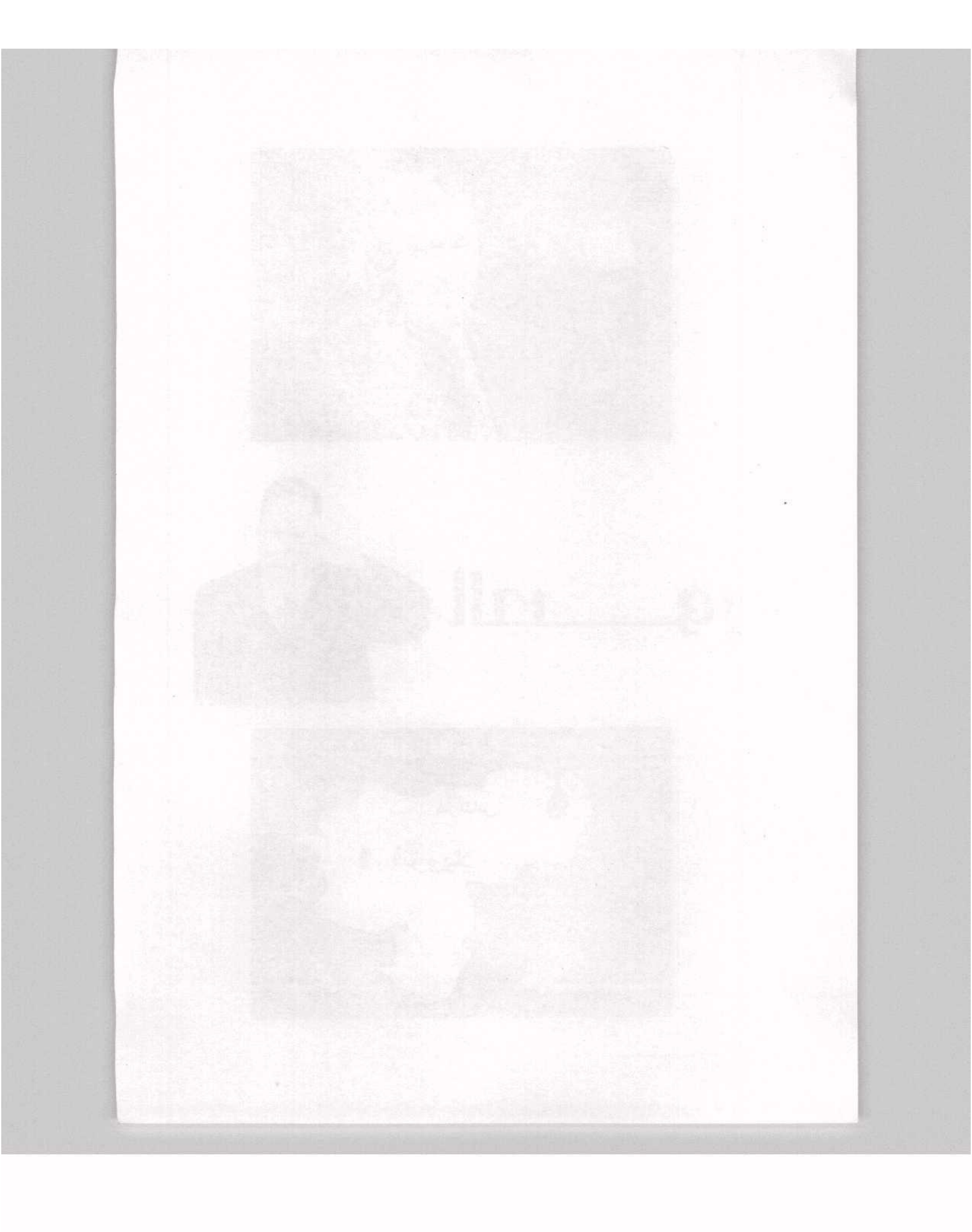
حانت اللحظة التاريخية لتجسد رؤيته الأممية التي سبقت الزمن وتعدت حدود المكان:

" لابد أن يكون الأمر واضحاً وضوحاً بلّورياً، ان الهيمنة على أقتصاد بلدٍ بواسطة رأس المال الأجنبي، وتدهور شروط التبادل التجاري، وهيمنة بلدٍ على أسواق بلدٍ آخر، إضافة إلى العلاقات القائمة على التمييز، واستخدام القوة كوسيلة للإقناع، كل هذه تشكل أخطاراً على التجارة والسلام العالميين." **(إرنستو تشي غيفارا في خطاب: " لنوقف فلسفة النهب"، مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة، ٢٥ آذار (مارس) ١٩٦٤).**



الصور







شافيز ودعوة للتلاحم



ويطلق صقر الحرية في أميركا اللاتينية



لوحة دعائية تمجد الرئيس شافيز



يخطب في أنصاره



المعلم والتلميذ



دائما ما يلاقى الترحيب فى كل المؤتمرات



صراع شافيز مع رموز الإقطاع



شافيز ومارادونا .. قائد يعرف قدر النجوم ويساندهم



أحد مناصري شافيز الفقراء ولسان حاله يقول:
مع شافيز حتى النهاية



القائد في زيارة لإحدى مدارس كراكاس



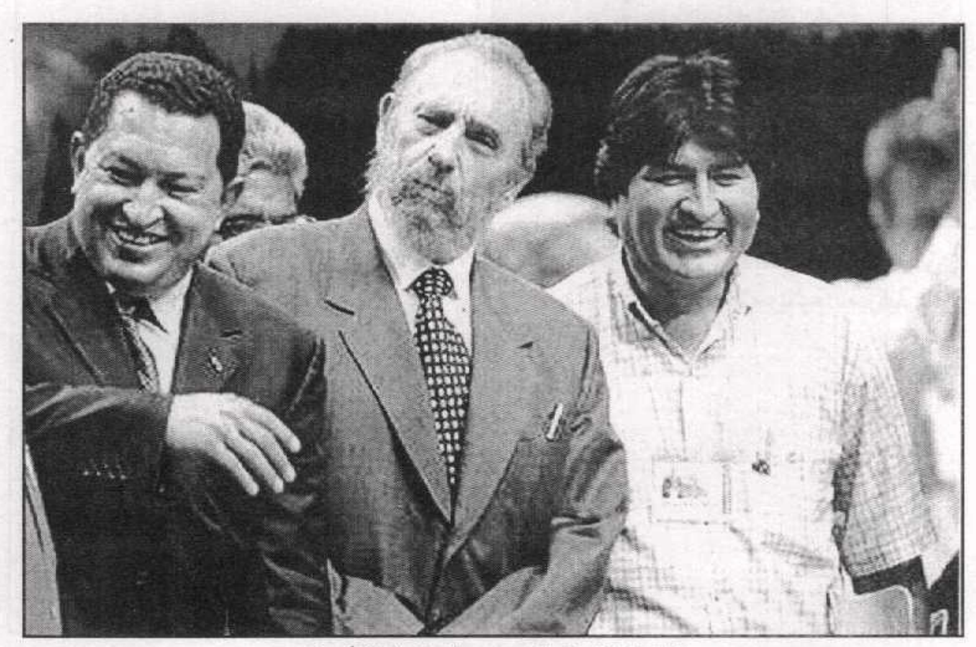
إحدى مناصرات شافيز في العالم الغربي



تظاهرات حاشدة لتأييد شافيز

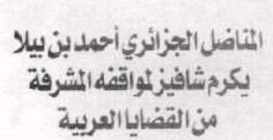


المعلم (كاسترو) والتلميذ (شافيز) والرفيق (موراليس) ونظرة للمستقبل



قنبلة الاشتراكية في الحديقة الخلفية لأميركا




المناضل الجزائري أحمد بن بيلا
يكرم شافيز لمواقفه المشرفة
من القضايا العربية



شافيز والرئيس السوري بشار الأسد وتنسيق مستمر من
أجل دعم جبهة مناهضة الإمبريالية الأميركية



تعاون فنزويلي جزائري لا يعرف حدوداً



الرئيس الروسي بوتين في حوار دائم مع شافيز من أجل إعادة بناء جبهة مناهضة للإمبريالية الأميركية



زعيم الحزب الشيوعي الصيني يرحب بأسد فنزويلا

شافيز يكرم قادة الجيش الفيتنامي



الرئيس الصيني هوجينتاو وعلاقة وطيدة بشافيز



السلام.. تحية شافيز المعتادة



شافيز يدعو لمواصلة الثورة


راؤول كاسترو زعيم كوبا المنتظر في محادثات مع شافيز


البحث عن المجهول هدف شافيز المنشود


شافيز يقلد القس الأميركي جاكسون وساما



شافيز يحتفل بإعادة انتخابه رئيسا لفنزويلا



الجنرال المثقف الثوري



العقيد شافيز وتاريخ عسكري طويل



لقاءات ومحادثات دائمة بين الرئيس الإيراني نجاد وشافيز من أجل بناء تحالف قوي ضد الأمبريالية الأميركية



عناق حار يجسد التقارب الإيراني الفنزويلي



شافيز يقلد الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي أرفع الأوسمة الفنزويلية


شافيز يطرح سياساته في أحد المؤتمرات


الأيام الأولى للرئاسة


يرفض أي مساومة على مواقفه الوطنية



حتي الأطفال يخرجون في تظاهرات مؤيدة لشافيز

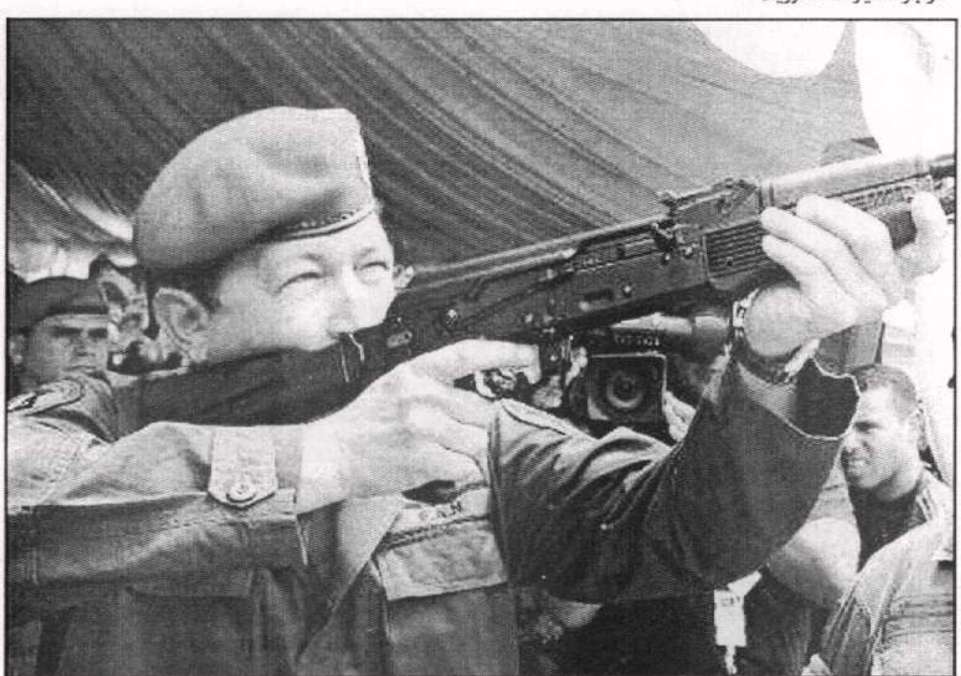


الرئيس البوليفي موراليس يوقع على اتفاقات تعاون استراتيجية مع شافيز





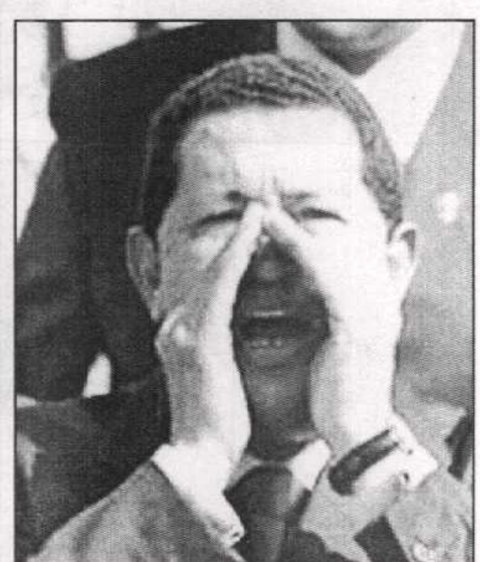
الهنود الحمر في بوليفيا عرفوا الابتسامة الحقيقية بعد مجيء موراليس



أهداف سياسية عديدة لا يتوانى شافيز عن إصابتها



يمتعض من الصلف الأميركي



صرخة مدوية.. شافيز يحشد أنصاره



شافيز يرحب بانضمام عضو جديد (موراليس) في منظومة الراديكالية اللاتينية



الرئيس البرازيلي والأرجنتيني يكملان عقد التحالف المناهض للإمبريالية



الرئيس البرازيلي لويس لولا دا سيلفا.. من الفقر إلى قصر الرئاسة



الزعيم الكوبي فيدل كاسترو رائد الحركة الراديكالية اللاتينية



الرئيس الأرجنتيني نستور كيرشنر أسقط الحسابات الأميركية



ميشيل باشيليت.. مرأة شيلي الحديدية



الرئيس الأكوادوري رفاييل كوريا وجه ثوري جديد

المصادر

١) نبيه الأصفهاني- سيمون بوليفار- محرر القارة الأميركية اللاتينية- مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية- القاهرة-١٩٨٣

٢) د. أحمد عثمان- الأدب اللاتيني ودوره الحضاري- سلسلة عالم المعرفة- رقم١٤١- الكويت ١٩٨٩

٣) توني كليف- بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية- مركز الدراسات الاشتراكية- القاهرة- ٢٠٠٥

٤) جيمس فولستن- أمريكا وحديقتها الخلفية- دار جونز-واشنطن- ترجمة دار قضايا- بيروت٢٠٠٣

٥) سيرار فرناندث مورينو- أدب أمريكا اللاتينية- قضايا ومشكلات سلسلة عالم المعرفة- الكويت١٩٨٧

٦) مجلة السياسة الدولية أعداد:

- رضا محمد هلال- انقلاب فنزويلا بين التدخل الخارجي والتحديات الخارجية- العدد١٤٩ يوليو ٢٠٠٢

- رضا محمد هلال- الحوار العربي اللاتيني- الدوافع والأهداف- العدد١٥٥ يناير٢٠٠٤

- عمرو الشربيني- التجمعات الاقتصادية ومبدأ حرية التجارة في أميركا اللاتينية -العدد١٢٥ يوليو, ١٩٩٦

- السفير أحمد الغمراوي- أميركا اللاتينية وكراهية واشنطن- العدد١٦٦ أكتوبر ٢٠٠٦

- يسرا الشرقاوي- أميركا اللاتينية والحرب الأمريكية على العراق - العدد١٥٢ - أبريل٢٠٠٣

- رضا محمد هلال- الثورة البيضاء وتراجع النفوذ الأميركي في أميركا

اللاتينية- العدد١٦٤ - أبريل٢٠٠٦

- بشير عبد الفتاح- هوجو شافيز والسباحة ضد التيار العدد ١٥٨ - أكتوبر ٢٠٠٤

• مصادر صحافية

١- مهدى دخل الله- تشافيز في دمشق: هل بدأ عصر الحالمين بزمن جديد- صحيفة الحياة اللندنية.

٢- إبراهيم السخاوي- لماذا لا يهتم العرب بأمريكا اللاتينية- ملف الأهرام الإستراتيجي- السنة العاشرة- العدد١١٧-سبتمبر ٢٠٠٤

٣- ألبير خوري- أميركا اللاتينية إلى اليسار دُرْ- مجلة (حوار العرب) أبريل ٢٠٠٦

٤- ثناء يوسف- رسالة نيويورك- معركة مقعد أم اقتراع على سياسة واشنطن- صحيفة الأخبار المصرية ٢٠٠٦/١٠/٢٤

٥- هاني محمد فرج-معركة ديوك بين شافيز وبوش - صحيفة الأهرام المسائي المصرية ٢٠٠٦/٨/٢٥

٦- جميل مطر- يقرأون في ورقة الكوكا- صحيفة الوفد القاهرة ٢٠٠٦/١٠/٢٦

٧- أحمد سيد أحمد- المحور الإيراني الفنزويلي الكوبي: هل يتحدى الهيمنة الأميركية- صحيفة السياسة الكويتية-٢٠٠٦/١٠/١٨

٨- أحمد السيد النجار- تجربة تشافيز الاقتصادية- صحيفة الأهرام المصرية- ٢٠٠٦/١٢/١٣

٩- الفونس عزيز- ضربة موجهة للاستراتيجية الأميركية- مقال على الإنترنت

١٠- د. فتحى عبد الفتاح- هوجو شافيز والبرنامج البديل- صحيفة الوفد٢٠٠٦/١٢/١٧

الفهرس